

المركز الأرثوذكسى
للدراسات الأباتية
بالقاهرة
نصوص أباتية - 77

المقالة الثانية ضد الآريوسيين للقدیس أناسیوس الرسولى

ترجمة
أ. صموئيل كامل و د. نصحى عبد الشهيد
مراجعة
د. جوزيف موريس فلتس

أبريل 2004م

- اسم الكتاب : المقالة الثانية ضد الاريوسيين
- الشهادة لأوهية المسيح
- اسم المؤلف : القديس أناسيوس الرسولى
- اسم المعرب : أ. صموئيل كامل . د. نصحي عبد الشهيد
- اسم الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس . المركز الأرثوذكسى للدراسات
الآبائية بالقاهرة : 8 (ب) ش إسماعيل الفلكى محطة
المحكمة مصر الجديدة ت: 2414023
- E-mail: santonio@link.net
- 1984 : الطبعة الأولى
- 1998 : الطبعة الثانية
- 2004 : مراجعة ومنقحة
- اسم المطبعة : دار يوسف كمال للطباعة

ش المدارس حدائق القبة 4827074 - 4865378

رقم الإيداع : 1987/5666

: الترقيم الدولي

قداسة البابا شنودة الثالث
بابا الأسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

المحتويات

صفحة	
6 مقدمة
9 مقدمة الطبعة الثالثة
10 الفصل الرابع عشر: شرح نصوص: رابعاً عب2:3
10 " كونه أميئاً للذي أقامه "
29 الفصل الخامس عشر: شرح نصوص: خامساً أع2:36
29 "جعل يسوع رباً ومسيحاً"
42 الفصل السادس عشر: مقدمة لشرح أمثال22:8
42 " أن الابن ليس مخلوقاً"
53 الفصل السابع عشر: مقدمة لشرح أمثال22:8
53 " أن الابن غير مخلوق" (تابع)
64 الفصل الثامن عشر: مقدمة لشرح أمثال22:8
64 " أن الابن غير مخلوق"
87 الفصل التاسع عشر: شرح نصوص: سادساً أمثال22:8
87 " الرب خلقني أول طريقه لأجل أعماله"
99 الفصل العشرون: شرح نصوص: سادساً: أمثال22:8
99 " الرب قناني أول طريقه لأجل أعماله" (تابع)
109 الفصل الحادي والعشرون:
109 " أول طريقه لأجل أعماله " (تابع)
136 الفصل الثاني والعشرون: شرح نصوص: سادساً أمثال22:8 ..
136 " أسسني قبل الدهر "
152 فهارس

مقدمة الطبعة الأولى

يوصل القديس أثناسيوس في هذه "المقالة الثانية ضد الأريوسيين" شرح النصوص التي كان الأريوسيون يستخدمونها للطعن في ألوهية المسيح، مدافعًا عن ألوهية المسيح وشاهدًا لها خلال الشرح والتحليل الدقيق لهذه النصوص من الكتاب المقدس. ونبه ذهن القارئ أن القديس أثناسيوس يستخدم الترجمة السبعينية في نصوص كتاب العهد القديم وهي الترجمة اليونانية لأسفار العهد القديم (تُرجمت في القرن الثالث قبل الميلاد) التي كان يستعملها كل الآباء في العصور الأولى كما أن كُتَّاب العهد الجديد أنفسهم في اقتباساتهم من العهد القديم يستخدمون النسخة السبعينية. وهذه النسخة اليونانية للعهد القديم هي التي كانت مستعملة عند الجميع في العصور الأولى بما فيهم الأريوسيين وجميع المبتدعين. ونلاحظ بعض الاختلاف بين هذه النسخة السبعينية وبين النسخة المستعملة الآن للعهد القديم وهي المعربة عن اللغة العبرانية. نذكر ذلك لأن أحد النصوص التي يشرحها القديس أثناسيوس هنا هو أمثال 22:8 " الرب خلقنى أول طريقه لأجل أعماله"، يشغل معظم مساحة هذه " المقالة الثانية ". ويرجع الفضل الأساسي في تعريب هذه " المقالة الثانية " من اللغة اليونانية القديمة إلى الأستاذ صموئيل كامل عبد السيد، أستاذ اللغة الذى اشتركت معه في عمل الترجمة، وبعد أن انتهينا من ترجمة "المقالة الثانية" في سبتمبر 1986م، توفي في 7 نوفمبر 1986م وكان يأمل رحمه الله أن يمتد به العمر إلى أن ينتهى من ترجمة المقالات

الأربعة ضد الأريوسيين. ولمناسبة انتقاله قبل صدور المقالة الثانية من المطبعة نذكر نبذة تاريخية عن دور الأستاذ صموئيل وفضله بالنسبة لمشروع ترجمة كتابات الآباء عن اليونانية.

الأستاذ صموئيل ومركز دراسات الآباء:

لما عرف الأستاذ صموئيل أهمية كتابات الآباء الموجودة باللغة اليونانية ابدى استعداداه الحار والجاد للعمل في ترجمة ما يستطيع منها إلى العربية. وبدأ الترجمة فعلاً، فترجم أولاً بعض رسائل القديس أثناسيوس عن تجسد المسيح، وصدرت بعنوان " المسيح في رسائل القديس أثناسيوس" في ديسمبر 1981، ثم بدأ العمل في ترجمة " المقالات الأربعة ضد الأريوسيين" التي صدرت " المقالة الأولى" منها في ديسمبر 1984، عن مركز دراسات الآباء وبعدها هذه "المقالة الثانية".

ولكن الأستاذ صموئيل لم يكتف بأن يترجم بنفسه فقط بل كانت عنده قناعة تامة أنه لا بد من إعداد جيل من الدارسين الشباب الذين يتخصصون في كتابات الآباء ويتمكنون من اللغة اليونانية لهذا الغرض. وبينما كنا نجلس معاً نفكر في هذا المشروع وكيفية تحقيقه، قال الأستاذ صموئيل "تعال بنا نذهب معاً لنقابل الملحق الثقافي بالسفارة اليونانية بالقاهرة فأنا أعرفه ويمكن أن يرشد إلى طريقة يمكن بها إيجاد مبعوثين لليونان لدراسة اللغة اليونانية وكتابات الآباء. كان هذا في بداية سنة 1980. وفعلاً قمنا بزيارة الملحق الثقافي. وعن طريق الإرشادات التي أعطاها لنا الملحق الثقافي اليوناني توصلنا إلى أولى خطوات تأسيس " مركز دراسات الآباء " لنشر ودراسة كتابات

الآباء، ففي شهر سبتمبر 1980 سافر أول مبعوث إلى بلاد اليونان للدراسة، (وتبعه عدة مبعوثين في السنوات التالية)، وتطوع الأستاذ صموئيل لإعطاء دروس تمهيدية في اللغة اليونانية لكل مبعوث قبل سفره.

إن مركز دراسات الآباء خسر ركنًا أساسيًا بوفاة الأستاذ صموئيل. ولكن لنا رجاء في المسيح، أن هذا العمل الذي بدأه الأستاذ صموئيل كامل يكمله تلاميذه المبعوثون للدراسة من مركز دراسات الآباء. ولإلهنا القدير الآب والابن والروح القدس كل مجد وسجود وتسبيح الآن وإلى كل الدهور. آمين.

دكتور
نصحي عبد الشهيد

بيت التكريس لخدمة الكرازة
في 11 سبتمبر 1987م
أول توت 1704 ش
عيد النيروز

ΠλΠλΠ

مركز دراسات الآباء

طبعة ثانية منقحة

أبريل 1998

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى لهذه الترجمة للمقالة الثانية ضد الأريوسيين للقديس أنثاسيوس الرسولى فى عام 1987، كما صدرت الطبعة الثانية عام 1998 ضمن كتاب واحد جمّع المقالات الثلاث.

والآن نصدر الطبعة الثالثة، بعد أن قام د. جوزيف موريس فلتس بمراجعتها على النص الأسمى وكتابة الهوامش والتعليقات فى أسفل الصفحات ويعمل فهرس للكلمات والآيات الكتابية فى نهاية الكتاب.

ولإلهنا القدير الأب والابن والروح القدس كل مجد وسجود وتسبيح الآن وكل أوان.

المركز الأرثوذكسى
للدراسات الآبائية

8 مارس 2004م
29 أمشير 1720ش
شهادة القديس بوليكاربوس أسقف سميرنا

الفصل الرابع عشر

شرح نصوص : رابعًا: " كونه أمينًا للذي أقامه "

عب2:3

1 . كنت أحسب أن أولئك المنافقين، مجانين الأريوسية، سيقنعون بالأدلة السابقة، والتي سبق أن سقتها ضدهم¹. وأنهم سيكتفون بالبراهين المتعلقة بالحقيقة، وأنهم عندئذٍ سيكفون عن الحديث ويندمون عن كل فكر رديٍّ أو كلام شرير تحدثوا به عن المخلص. إلا أنني لا أدرى كيف أنهم لم يخلجوا، بل هم يتمرغون في الوحل كالخنازير ويلعقون قياهم كالكلاب، بل وأكثر من هذا فقد اخترعوا لأنفسهم بدعًا للكفر وعدم التقوى.

إذن فلأنهم لم يفهموا حتى ما كُتب في الأمثال: " الرب أقامني أول طريقه لأجل أعماله"²، ولا حتى ما قيل بواسطة الرسول: " كونه أمينًا للذي أقامه"³، لذلك فهم يتجادلون بلا داعٍ قائلين إن ابن الله هو "مصنوع"، و"مخلوق". وكان يكفيهم استيعاب الأمور وإدراكها مما سبق

¹ كان أسلوب المجادلات والرد بالأدلة والبراهين هو الأسلوب المتبع بين الفلاسفة. أنظر كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة د. جوزيف موريس فلتنس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الإبائية، الطبعة الثانية، أغسطس 2003، فصل 25، وفصل 50، وأيضًا هذا الأسلوب استخدمه الهرطقة، انظر " ضد الأريوسيين" ترجمة أ. صموئيل كامل ود. نصحي عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء، الطبعة الثالثة 2002، 6:1، 10:3 وهنا يرد القديس أثناسيوس بنفس الأسلوب لإقناعهم.

² أم8:22.

³ عب2:3.

أن قلناه، ذلك إن لم يكونوا قد فقدوا عقلهم تمامًا. لأن الحق يشهد أن الابن لم يوجد من عدم، وهو لا ينتمى مُطلقاً إلى الأشياء المخلوقة لأنه حيث إن الابن هو إله، فلا يمكن أن يكون مصنوعاً، وليس من الصواب أن يقول أحد عنه إنه مخلوق. فالمخلوقات والمصنوعات وحدها هي التي من المناسب أن يُقال عنها أنها من "العدم" وأنها لم تكن موجودة قبل أن تنشأ.

لكن يبدو أنهم يخشون أن يتخلوا عن أساطيرهم المبتدعة، ولذلك فهم يتعللون على الدوام بالأقوال التي سبق ذكرها من الكتب الإلهية. ورغم أنها صحيحة، إلا أنهم يقومون بتحريف معناها. لذلك سوف نشرح مرة أخرى معنى الأقوال التي أوردناها لكي نذكّر بها المؤمنين ونوضح لهم بواسطة كل قول من هذه الأقوال أن هؤلاء لا يعرفون المسيحية على الإطلاق. لأنهم لو كانوا يعرفونها لما أغلقوا على أنفسهم في عدم الإيمان⁴ كاليهود المعاصرين⁵. بل كانوا سيسألون فيخبرونهم أنه "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"⁶. وهكذا بمشيئة الأب صار الكلمة نفسه إنساناً، وهذا ما قاله عنه يوحنا بحق " أن الكلمة صار جسداً"⁷. وما قاله بطرس: " جعله رباً ومسيحاً"⁸. والرب نفسه يتكلم على لسان سليمان ويقول: " الرب أقامنى أول طرقه لأجل

⁴ انظر رو 32:11.

⁵ يستعمل القديس أثناسيوس عبارة "اليهود المعاصرين" ليعبر بها عن الأريوسيين، انظر المقالة الأولى، المرجع السابق، فقرة 8 ص38، وفقرة 10 ص 24.

⁶ يو 1:1.

⁷ يو 1:14.

⁸ أع 2:36.

أعماله⁹. وبولس يقول: " بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة"¹⁰، وأيضًا: " أخلق نفسه آخذًا صورة عبد"¹¹، ومرة أخرى: " ومن ثم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية تأملوا رسول ورئيس كهنة اعترافنا، يسوع، حال كونه أميئًا للذي أقامه"¹²، لأن كل هذه الأقوال لها قوتها الذاتية ولها مضمونها الذي يقود إلى التقوى ويظهر ألوهية الكلمة، وأن ما قيل عنه بحسب بشريته قد قيل بسبب أن الكلمة صار أيضًا ابن الإنسان.

ولكن رغم أن هذه الأمور كافية من تلقاء ذاتها لدحض أى اعتراض، إلا أنهم نظرًا لعدم فهمهم لقول الرسول، يعتقدون أن كلمة الله هو واحد من المخلوقات وذلك بسبب ما هو مكتوب " كونه أميئًا للذي أقامه". لهذا رأيت أنه من الضروري أن أوصل هذا الكلام كي أخلجهم بمثل كلامى السابق مستمدًا مادة النقاش من أقوالهم نفسها.

2. فلو لم يكن هو الابن، لأمكن أن يُسمى "مخلوقًا" وكل ما يُنسب إلى المخلوقات سيُنسب إليه، ولن يُلقب وحده "ابنًا" ولا كلمة ولا "حكمة" ولن يُلقب الله أيضًا "بالآب"، بل فقط "بالخالق" و"البارى" للأشياء "الصائرة" بواسطته. وستكون الخليفة هي صورة وملامح إرادته الخلافة. ووفقًا لتعاليمهم فهو ذاته (الآب) لن تكون طبيعته مثمرة. وبذلك لن يكون لجوهره الذاتى أى "كلمة" ولا "حكمة" ولا "صورة" إطلاقًا. فلو لم

⁹ أم:8:22.

¹⁰ عب:1:4.

¹¹ في:2:7.

¹² عب:3:2و.

يكن هو "ابنًا" فلن يكون "صورة". ولكن لو لم يكن هناك وجود للابن فكيف يمكن أن تقولوا إذن أن الله خالق؟ فالمخلوقات إنما قد خُلقت قطعًا بواسطة الكلمة و"الحكمة". وبغير الكلمة لما كان ممكناً أن يوجد أى شئ. والآب كما يقولون عنده الكلمة الذي فيه وبواسطته يخلق كل شئ وإلا لكان الجوهر ليس خصباً بل عقيماً ومجدباً حسب رأيهم . كالنور الذي لا يضيء وكالنبع الجاف، فكيف لا يخلجون عندما يقولون إن الله لديه طاقة خلاقّة؟ وكيف لا يحمرّون خجلاً وهم ينكرون الذي هو بحسب الطبيعة ويريدون أن يجعلوا الذي بحسب المشيئة متقدماً عليه؟.

فإن كانت الأشياء التي معه خارج جوهر الله والتي لم تكن موجودة من قبل . قد خلقها عندما شاء أن يجلبها إلى الوجود، وأصبح هو خالقها وصانعها، لكان هو . قبل ذلك بكثير . أباً لمولود من جوهره الذاتي. لأنهم إن كانوا ينسبون لله أنه بالمشيئة يُوجد الأشياء غير الموجودة، فلما لا يقرون بأن في الله شئ أعلى من المشيئة، ألا وهو الطبيعة الخصبة، وأن يكون أباً لكلمته الذاتي؟ وعلى ذلك فإن كان الأول الذي هو بحسب الطبيعة لم يكن موجوداً بحسب جنون أولئك، فكيف يمكن أن يوجد الثاني، الذي هو بحسب المشيئة؟ لأن الكلمة هو الأول، والخليقة هي الثانية. فالكلمة كائن موجود مهما تجاسر الكافرون وتمادوا في أفكارهم، وذلك لأن الخليقة قد صارت إلى الوجود بواسطته. فمن الواضح أنه إن كان الله هو الصانع، فعنده أيضاً كلمته الخلاق الذي هو ليس من خارجه بل من ذاته هو نفسه، وهذا ما ينبغي أن نكرره كثيراً، فإن كان الله لديه المشيئة، وكانت المشيئة مبدعة وكافية

لإيجاد الأشياء المخلوقة، فإن كلمته أيضاً يكون مبدعاً وخالقاً. ومما لا شك فيه أن الكلمة ذاته هو مشيئة الأب الحيّة، وقوته الجوهرية، وهو الكلمة الحقيقي الذي به تتكون جميع الأشياء وهو يضبطها جيداً. ولن يتردد أحد في القول بأن ذلك الذي ينظم، هو سابق على التنظيم نفسه، وعلى الأشياء المنظّمة. وكما سبق أن قلنا، يكون عمل الله كخالق هو تالٍ لكونه أب. لأن الابن هو خاصته وهو حقاً من ذلك الجوهر الأزلي المطوّب. أما الأشياء المنظّمة فقد صارت إلى الوجود من مشيئته الذاتية، من خارجه، وقد خلّقت بواسطة ابنه الذي من ذات جوهره.

3. إذن فيما أن الحديث يوضح السخف الشديد للقائلين بأن الرب ليس هو ابن الله بل هو مخلوق، لذلك فمن الضروري أن نعترف نحن بأن الرب هو الابن. وإن كان هو ابن. كما هو هكذا بالحقيقة. فالابن يجب أن يُعترف به أنه ليس من خارج أبيه بل هو الذي وُلد. لذا يلزم. كما سبق أن قلنا. أن يكفوا عن تحوير الأقوال التي يستعملها القديسون بخصوص الكلمة نفسه. لأنهم يستخدمون عبارة "الذي أقامه" بدلاً من "الذي وُلده"، لأنه لا علاقة لهذه الأمور بالألفاظ طالما أن الابن قد أعترف به أنه من طبيعة أبيه. فليست الألفاظ هي التي تقلل من قدر طبيعة الأشياء، بل بالأحرى فإن طبيعة الأشياء هي التي تضيف المعنى على الألفاظ وغيرها. لأن الألفاظ ليست سابقة على جواهر الأشياء بل أن الجواهر هي الأولى والألفاظ تأتي تالية لها. ولذلك فعندما يكون الجوهر "مصنوعاً" أو "مخلوقاً" عندئذٍ فإن الألفاظ: "صنع" و"صار" و"خلق" تُقال عنه بصفة خاصة ويقصد به أنه "مصنوع". ولكن حينما يكون الجوهر مولوداً وابتناً، عندئذٍ فإن ألفاظ "صنع" و"صار"

و"الخلق" لا تُستخدم بحسب مفهومها الحرفي، ولا تعنى أنه "مصنوع"، بل تكون كلمة "صنع" قد استُخدمت بدلاً من "وُلِدَ" بدون تحديد. وفي أحيان كثيرة يلقب الآباء أبناءهم الذين ينجبونهم عبيداً لهم، دون أن ينكروا أصالة طبيعتهم. وأحياناً يجاملون عبيدهم ويسمونهم أبناء دون أن يفقدوا حق امتلاكهم منذ البداية. إلا أنهم في الحالة الأولى يسمون أبناءهم عبيداً من خلال سلطانهم كأباء، وفي الحالة الثانية يسمون عبيدهم أبناء بدوافع إنسانية، فسارة كانت تدعو إبراهيم سيِّداً¹³ رغم أنها لم تكن عبدة له، بل كانت زوجة. وكان الرسول يصف أونسييموس العبد كأخ لفليمون الذي كان "سيِّداً"¹⁴، أما بتشبع فرغم كونها أمًا دعت ابنها عبداً قائلة "عبدك سليمان"¹⁵. وكذلك ناثان النبي أيضاً بعد أن وصل قال لداود نفس كلامها بأن "سليمان عبدك"¹⁶. إنهم لم يبالوا أن يقولوا عن الابن إنه "عبد"، لأن داود الذي سمع هذا القول كان يعرف طبيعة سليمان. وهم أيضاً بقولهم هذا لم يكونوا يجهلون أصالة سليمان. وكانوا يطالبون أن يكون وارثاً لأبيه، رغم أنهم كانوا يلقبونه عبداً، إذ كان هو ابناً لداود بالطبيعة.

4 . لذلك حينما نقرأ هذه الأقوال ونتمعن فيها جيداً، وعندما نسمع أن سليمان عبد، فلا يجب أن نظن أنه كان عبداً، بل هو ابن طبيعي وأصيل. وهكذا أيضاً في حالة المخلص المُعترف به حقاً أنه ابن، لكونه

¹³ بط3:6.

¹⁴ فليمون16.

¹⁵ امل1:16و19.

¹⁶ امل1:26.

هو **الكلمة** بالطبيعة فعندما يقول القديسون عنه: " كونه أميًّا للذي اقامه"¹⁷ أو عندما يقول هو نفسه عن ذاته: " الرب قناني"¹⁸ وأيضًا: " أنا عبدك وابن أمتك"¹⁹. ومثل هذه الأقوال كثير، فإن هذا لا يجب أن يجعل البعض ينكر أصلته من الآب، بل كما حدث في حالة داود وسليمان، هكذا فلنتأمل باستقامة فيما يخص الآب والابن. فإن كانوا عندما يسمعون أن سليمان عبد يعترفون به ابنًا، أليس من العدل أن يلحقهم الدمار مرات كثيرة لأنهم لا يحفظون للرب نفس القلب؟! ولكنهم حينما يسمعون الكلمات "ابن"، و**كلمة**، و"حكمة" يسارعون إلى تحريف وإنكار البنية الأصلية التي بالطبيعة أعنى ولادة الابن من الآب. وعندما يسمعون كلمات أو أقوالاً تخص ما هو مخلوق ففي الحال يتعجلون الظن أن "الابن" مخلوق بالطبيعة، وينكرون **الكلمة** رغم أنه في استطاعتهم أن ينسبوا مثل تلك الأقوال كلها إلى بشريته . حيث إن **الكلمة** صار إنسانًا . فكيف لا يكون هؤلاء مكروهين لدى الرب. طالما أنهم هم أنفسهم يقيسون الأمور بمعيارين²⁰: بأحدهما يفسرون الأقوال الأولى وبالأخر يجدفون على الرب؟ بالواحد يفهمون كلمة عبد حسب هواهم، وبالأخر يركزون على كلمة "الصانع"²¹ كسند قوى لهرطقتهم. وهذا السند يكون كقصبة محطمة بالنسبة لهم. وذلك لأنهم سيدينون

¹⁷ عب3:2.

¹⁸ انظر أم8:22.

¹⁹ مز 116:16.

²⁰ انظر أم20:23.

²¹ يقول الآريوسيون عن المسيح إنه "مصنوع".

أنفسهم لو عرفوا أسلوب الكتاب. فقد دُعي سليمان "عبدًا" رغم كونه "ابنًا". كذلك أيضًا . ونكرر القول . قد يقول الآباء عن أبنائهم الذين أنجبوهم إنهم مخلوقون ومصنوعون وصائرون. فقد قال حزقيا وهو يصلى: "لأنه من هذا اليوم سأصنع أبناء يعلنون: يا إله خلاصى"²². فهو يقول "سأصنع" في حين أن النبي في نفس السفر وفي سفر الملوك الرابع²³ يقول هكذا: "وأبناؤك الذين يخرجون منك"²⁴، فهو يستعمل كلمة "سأصنع" بدلاً من كلمة "سألد"، ويقول عن المولودين منه إنهم "مصنوعون"، ولكن لا يشك أحد أن هذا اللفظ إنما يخص الميلاد بالطبيعة.

وعندما وُلدت حواء قايين قالت: "اقتنيت رجلاً من عند الرب"²⁵. إذن فقد قالت "اقتنيت" بدلاً من "وُلدت"، لأنها بعد أن رأت الطفل قالت إنها "اقتنيت". ولا يظن أحد أنها بسبب قولها "اقتنيت" أنها اشترت قايين من الخارج، أو أنها لم تلده من بطنها. ويعقوب البطريك قال ليوسف "والآن إذن إبنك الولدان اللذان وُلدا لك في مصر قبل مجيئي إليك في مصر هما لى: افرايم ومنسى"²⁶. ويقول الكتاب عن أيوب: "وصار له سبعة أبناء وثلاث بنات"²⁷، مثلما قال موسى أيضًا في الشريعة: "إن

²² إش 19:38 و20 (سبعينية).

²³ وهو سفر الملوك الثاني في ترجمة دار الكتاب المقدس.

²⁴ 2مل 18:20.

²⁵ تك 1:4.

²⁶ تك 48:5.

²⁷ أيوب 1:2.

صار لأحد أبناء"، إن " صنع ولدًا" ²⁸.

5 . هوذا مرة أخرى يُقال عن المولودين أنهم "صائرون" و"مصنوعون"، إذ طالما أننا نعترف أنهم أبناء فالأمر لا يختلف إن قال أحد إنهم قد صاروا سواء قيل "اقتنيت" أم "صنعت" لأن الطبيعة والحق يجعلان المعنى قريبًا منهما. ولهذا فبالنسبة لهؤلاء الذين الذين يتساءلون إن كان الرب مخلوقًا أو "مصنوعًا" فينبغي عليهم أولاً أن يبحثوا إن كان هو "ابنًا"، و"كلمة"، و"حكمة". لأنه عندما تثبت هذه الأمور، فإن الظن بخصوص "المصنوع" و"المخلوق" سيتوقف ويُطرح خارجًا في الحال. لأن "المصنوع" لا يمكن أن يكون "ابنًا" و"كلمة"، ولا الابن يمكن أن يكون "مصنوعًا"، فإن كانت الأمور تجرى هكذا فيكون البرهان واضحًا للجميع أن العبارة التي تقول "للذي أقامه"، و"الذي صنعه" لا تخدم هرطقتهم بل بالحرى تدينهم. لأنه قد اتضح أن تعبير "صنع" قد استُخدم في الكتب الإلهية عن الأطفال الأصليين بالطبيعة وهو **كلمته** وحكمته، فإنه حتى إذا قيل بخصوصه "صنع" أو "صار" فلا يُقال عنه كما لو كان كائنًا مصنوعًا. إن القديسين استخدموا التعبير بلا تمييز . مثلما حدث بالنسبة لسليمان وابنا حزقيا . لأنه مع أن هؤلاء الأبناء وُلدوا من آباؤهم أنفسهم، فقد كُتب عنهم: قد "صنعت"، و"خلقت" و"صار". إذن فإن أعداء الله الذين يتعللون كثيرًا بمثل هذه العبارات هم ملزمون الآن بعد هذا الذي قيل أن يتخلوا عما يتشددون به من أفكار بتجديفهم، وبهذا يعتقدون . بخصوص الرب . إنه ابن حقيقي **وكلمة** الأب وحكمته، وإنه

²⁸ انظر خر 4:21 (س).

ليس مصنوعًا أو مخلوقًا لأنه إن كان الابن مصنوعًا، فأية علة، وأية حكمة إذن هي التي أوجدته؟ لأن كل المخلوقات قد صارت بواسطة الكلمة والحكمة، كما قد كُتِبَ " كلها بحكمة صُنعت" ²⁹ وأيضًا " كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان" ³⁰. فإن كان هو الكلمة والحكمة الذي به قد صار كل شئ، فينتج من ذلك أنه لا ينتمى إلى الأشياء المصنوعة ولا إلى الأشياء المخلوقة إطلاقًا، ولكنه هو مولود الآب.

6 . تأملوا إذن إلى أى انحطاط وصل قولهم عن كلمة الله إنه مصنوع. فسليمان يقول في موضع ما في سفر الجامعة: " لأن الله سيحضر كل عمل إلى الدينونة بكل خفاياه، إن كان خيرًا أو شرًا" ³¹. وهكذا فإن كان الكلمة مصنوعًا أو مخلوقًا، فإنه وفقًا لكلامهم، سيُقدم هو أيضًا كغيره للدينونة. فأين تكون الدينونة إذن، إن كان الديان نفسه يُدان؟ ومن هو الذي سيُعطي البركات للأبرار والعقوبات لغير المستحقين، عندما يقف الرب نفسه . حسبما تقولون . لِيُدان مع الجميع. فبأية شريعة سيُدان واضع الشريعة نفسه؟ فإن من خصائص المخلوقات أنها تُدان أى تُثاب أو تُعاقب بواسطة الابن.

إذن، خافوا الديان، وافهموا ما سبق أن قاله سليمان. لأنه إن كان الله سيحضر كل عمل إلى الدينونة، إلا أن الابن ليس من بين المُدانين، بل هو بالأحرى الديان لكل المخلوقات. أفلا يكون واضحًا

²⁹ مز 104:24.

³⁰ يو 1:3.

³¹ جا 12:14.

أكثر من الشمس أن الابن ليس مخلوقًا بل هو كلمة الآب، والذي به
تصير المخلوقات وبه تُدان؟ وإن كانت عبارة: "كونه أمينًا"³² تثيرهم
من جديد ظانين أن لفظ "الابن" يُقال عنه كما يُقال عن جميع الناس،
وأنه، لأجل أمانته، فهو ينتظر أجر أمانته. إذن حان الوقت ليتهموا
موسى من جديد، لأنه قال "الله أمين وحق"³³. ويتهموا بولس الذي
كتب "ولكن الله أمين، الذي لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون"³⁴.
فالقديسون عندما يقولون هذا فإنهم لا ينسبون لله خصائص بشرية، بل
يعترفون أن كلمة "أمين" في الكتاب المقدس لها معنيان: المعنى الأول
أنه "مؤمن"، والآخر أنه "أمين". فالمعنى الأول يناسب البشر، والثاني
يناسب الله. إذن فإبراهيم "مؤمن" لأنه قد آمن بالله، أما الله فهو أمين
مثلما يرنم داود: "أمين هو الرب في كل أقواله"³⁵. وهو أمين لأنه من
المستحيل أن يكون الرب كاذبًا. وعندما يقول بولس: "إن كان لمؤمن
أو مؤمنة أرامل"³⁶ فالمرأة هنا تُدعى مؤمنة بسبب استقامتها. وأيضًا "
أمينية هي الكلمة"³⁷ لأن ما قاله يستوجب الإيمان، لأنه حق، ولا يمكن
أن يكون غير ذلك.

إذن فعبارة "كونه أمينًا للذي أقامه"، لا تدل على أنه يشابه الآخرين
ولا تعنى أنه لكونه أمينًا قد صار مقبولًا، بل إذ هو ابن الله الحق فهو

³² عب3:2.

³³ انظر تث4:32.

³⁴ 1كو10:13.

³⁵ مز 144:3 (سبعينية).

³⁶ 1تى5:16.

³⁷ 1تى3:8.

أيضًا أمين، ويجب أن يوثق به فيما يقول وفيما يعمل. وهو نفسه ظل ثابتًا دون أن يتغير في تدبير تجسده وحضوره بالجسد.

7 . هكذا إذن فإن من يواجه وقاحتهم يستطيع حتى من لفظ "صنع" (= أقام)³⁸ أن يدحض هؤلاء المضللين الذين يحسبون أن كلمة الله مصنوع أو مخلوق. وحيث إن القصد من هذا اللفظ هو قصد مستقيم . إذ أنه يوضح الوقت والمناسبة التي قيل فيها . فإنه بالضرورة يتضح من هذا اللفظ عدم تبصر الهرطقة لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار وقت كتابته والحاجة إليه، كما سبق أن قلنا، فإن الرسول لم يقل هذه الأقوال لكي يسرد بالتفصيل ماذا كان قبل الخليقة، ولكنه يتحدث عن الوقت الذي فيه: " صار الكلمة جسدًا"، لأنه كتب هكذا: " لذا أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أمينًا للذي أقامه (صنعه)"³⁹. فمتى صار رسولاً إذن؟ ومتى صار رئيس كهنة اعترافنا؟ وعندما بذل نفسه لأجلنا، متى أقام الجسد من بين الأموات؟ ومتى جاء بهؤلاء الذين يتقدمون إليه بالإيمان ويقدمهم إلى الآب بعد أن محررهم مكفرًا عنهم جميعًا أمام الله؟⁴⁰. فالرسول حينما قال " كونه أمينًا للذي أقامه" لم يكن يشير إلى جوهر الكلمة ولا إلى ميلاده الطبيعي من الآب، حاشا، لأن الكلمة هو الذي يصنع وليس المصنوع. ولكنه قال هذا لأنه أراد أن يُظهر نزوله إلى

³⁸ انظر عب3:2.

³⁹ عب3:1، 2.

⁴⁰ انظر عب2:17.

البشر، ووظيفة رئاسة الكهنوت التي "صارت". وهو ما يمكن لأي شخص أن يراه بوضوح من التاريخ الذي كُتب عن الشريعة وعن هارون. فإن هارون لم يُولد رئيس كهنة بل وُلد إنسانًا ثم بعد فترة، عندما أراد الله صار رئيس كهنة. وهو لم يصير هكذا ببساطة، ولم يُعرف من ملابسه العادية ولكن عندما ارتدى القميص، والصدرة، وجبة الرداء وهي الثياب التي صنعتها النساء بحسب أمر الله. وبهذه الثياب كان يدخل إلى الأقداس ويقدم الذبيحة عن الشعب وبها أيضًا كان كوسيط لمعاينة الله ولتقديم ذبائح عن الناس⁴¹. وهكذا الرب أيضًا، فإنه " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"⁴². وعندما أراد الأب أن تُقدم الفدية لأجل الجميع، وأن تُعطى النعمة لكل، عندئذٍ فمثلما ارتدى هارون الجبة. أخذ الكلمة جسدًا من الأرض⁴³، متخذًا له من مريم أمًا بالجسد كما من أرض بكر حتى إذ يكون له . كرئيس كهنة . شئٍ يقدمه، فهو يقدم ذاته للآب ويظهرنا جميعًا من الخطايا بدم نفسه وبقيمنا من بين الأموات.

8. وهذا الأمر كانت له ضلال في القديم، فإن ما حققه المخلص في مجيئه، هو الأمر الذي كان هارون رمزًا له بحسب الناموس. فلقد كان هارون هو هو نفسه، ولم يتغير بارتدائه ثياب الكهنة، بل ظل كما هو، إنما قد ارتدى الثياب فقط. فإن قال شخص ما عندما يراه وهو يقدم القرايين " ها هوذا هارون قد صار اليوم رئيس كهنة" فلا يعنى بذلك أنه

⁴¹ انظر خر 28 و 29.

⁴² يو 1:1.

⁴³ كثيرًا ما يكرر القديس أنثاسيوس هذه العبارة في كتاباته. انظر على سبيل المثال كتاب "تجسد

الكلمة"، المرجع السابق، فصل 8:2.

قد صار عندئذٍ إنسانًا، إذ أنه كان إنسانًا حتى قبل أن يصير رئيس كهنة، لكنه صار رئيس كهنة بسبب وظيفته متسرلاً بالثياب المصنوعة والمُجهزة لوظيفة رئاسة الكهنوت. وبنفس الطريقة من الممكن أن يفكر أحد جيدًا بخصوص الرب أنه لم يصر شخصًا آخر بعد أن اتخذ الجسد، بل ظل هو نفسه كما كان قبل ان يتسرل بالجسد. وإن عبارة "قد صار" و"قد صنع"، لا ينبغي أن تُفهم كما لو أن الكلمة باعتباره الكلمة قد صنع بل لكونه الكلمة فهو خالق، وفيما بعد صار رئيس كهنة مرتديًا جسدًا مصنوعًا ومخلوقًا. وهو الذى يستطيع أيضًا أن يقدم تقدمًا لأجلنا، لذلك يُطلق عليه أيضًا " إنه قد صنع". فإن لم يكن السيد قد صار إنسانًا، إذن فليحارب الأريوسيون، أما إن كان " الكلمة صار جسدًا"⁴⁴ فماذا يكون من الواجب أن يُقال عنه وقد صار إنسانًا، إلا " كونه أمينًا للذى أقامه"⁴⁵؟. لأنه كما هو لائق بالنسبة للكلمة أن يُقال عنه " في البدء كان الكلمة"⁴⁶، فإنه ما يليق بالإنسان هو أن يُولد ويُخلق. فمن إذن يرى الرب وهو يمشى كإنسان . وقد ظهر من أعماله أنه إله⁴⁷. ولا يتساءل قائلًا: "من الذى صنع هذا إنسانًا؟" ومن أيضًا لا يجيب على هذا السؤال بأن: "الآب هو الذى صنعه إنسانًا وأرسله إلينا كرئيس كهنة"؟ وما كتبه الرسول نفسه قائلًا: " كونه أمينًا للذى أقامه

⁴⁴ يو 1:14.

⁴⁵ عب 3:2.

⁴⁶ يو 1:1.

⁴⁷ يشرح القديس أثناسيوس هذه الحقيقة فى الفصول 18 . 19 من كتابه "تجسد الكلمة" المرجع السابق

(صنعه) " يوضح هذا المعنى ويحدد هذا الوقت، ويشير إلى هذا الشخص. وهذا يتضح أكثر عندما نقرأ ما كتبه الرسول قبل هذه الكلمات. إذ أن تسلسل الفكر الواحد وما جاء في هذا الفصل من الرسالة يشير إلى نفس الموضوع. فهو يكتب في رسالته إلى العبرانيين ما يلي: " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو نفسه أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل أيام حياتهم تحت العبودية. لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة، بل يمسك نسل إبراهيم. ومن ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فيما لله. حتى يكفر عن خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجريين"⁴⁸. وأيضاً " من ثم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أميناً للذي أقامه"⁴⁹.

9. فمن الذي يقرأ كل هذه الفقرة ولا يدين الأريوسيين، ولا يُبدى إعجابه بالرسول المُطوّب لأنه قد تكلم بالصواب. لأنه متى "صُنِعَ"، ومتى "صار" المسيح رسولاً إلاً عندما اشتراك هو نفسه " في اللحم والدم" بطريقة مماثلة لنا؟ ومتى صار " رئيس كهنة أو رحيماً وأميناً"، إلاً عندما صار "مشابهاً لاخوته في كل شيء"؛ ولقد حدثت المشابهة عندما صار إنساناً لابساً جسداً نحن. ولذلك فعندما يقول بولس " كونه

⁴⁸ عب2:18.14.

⁴⁹ عب3:1و2.

أَمِينًا لِذِي أَقَامِهِ " فَإِنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ تَدْبِيرِ تَجَسُّدِ الْكَلِمَةِ وَلَيْسَ بِخُصُوصِ
جَوْهَرِ الْكَلِمَةِ. إِذَنْ فَلَا يَجِبُ أَنْ تَتَخَدَعُوا وَتَقُولُوا إِنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ مُصْنُوعٌ،
لأنه بحسب الطبيعة هو ابن وحيد الجنس، ثم صار له "أخوة" عندما
ارتدى جسدًا شبيهًا بنا، والذي به بذل ذاته بذاته وحده وسُمِّي "رئيس
كهنة"، ودُعِيَ رَحِيمًا وَأَمِينًا. فَمَنْ نَاحِيَةٌ هُوَ "رَحِيمٌ" لِأَنَّهُ بَدَلَ نَفْسِهِ
عَنَا⁵⁰، وَمَنْ نَاحِيَةٌ أُخْرَى هُوَ "أَمِينٌ" لَيْسَ لِأَنَّهُ مُشَارِكٌ لَنَا فِي الْإِيمَانِ،
وَلَيْسَ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِشَخْصٍ مَا مِثْلُنَا، بَلْ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ
فِي كُلِّ مَا يَقُولُهُ وَمَا يَفْعَلُهُ. وَلِأَنَّهُ قَدَّمَ ذَبِيحَةَ أَمِينَةٍ أَبَدِيَّةٍ وَلَيْسَتْ زَائِلَةً.
لِأَنَّ الذَّبَائِحَ الْمُقَدِّمَةَ بِحَسَبِ الشَّرِيعَةِ لَيْسَتْ أَمِينَةً، إِذْ أَنَّهُا تُقَدَّمُ كُلَّ يَوْمٍ.
وَهِيَ أَيْضًا تَحْتَاجُ إِلَى تَطْهِيرٍ، أَمَا ذَبِيحَةُ الْمُخَلَّصِ فَقَدْ كَانَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً
وَأَكْمَلْتُمْ (خِلَاصَ) الْكُلِّ وَظَلَّمْتُمْ أَمِينَةً لِأَنَّهَا بَاقِيَةٌ عَلَى الدَّوَامِ.

وَلَقَدْ كَانَ لَهْرُونَ خُلَفَاءَ، وَعَمُومًا فَإِنَّ رِجَالَ الْكَهَنُوتِ بِحَسَبِ الشَّرِيعَةِ
يَحْلُونَ مَحَلًّا سَابِقِيهِمْ بِمَرُورِ الْوَقْتِ أَوْ بِسَبَبِ الْمَوْتِ. أَمَا الرَّبُّ فَلَهُ "
كَهَنُوتٌ ثَابِتٌ لَا يَزُولُ"⁵¹. لَقَدْ صَارَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا بَاقِيًا إِلَى الْأَبَدِ،
وَقَدْ صَارَ أَمِينًا حَسَبَ الْوَعْدِ لَكِي يَسْتَجِيبُ لِأَوْلَادِكَ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ إِلَيْهِ وَلَا
يُخَدَعُهُمْ. هَذَا مَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ رِسَالَةِ بَطْرُسَ الْعَظِيمِ الَّذِي يَقُولُ:
" إِذَنْ فَالَّذِينَ يُتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ فَلْيَسْتَوْدَعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقِ

⁵⁰ يذكر القديس أثناسيوس أن السيد المسيح قد قدم نفسه عنا ذبيحة خالية من كل عيب ببذله لجسده
كتقدمة مناسبة لهذا رفع حكم الموت فورًا عن نظرائه البشر، انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع

السابق، فصل 9:1.

⁵¹ انظر عب 47:7.

"أمين" ⁵²، لأنه هو أمين وغير متغير، بل هو ثابت إلى الأبد. وهو يهب تلك الأشياء التي وعد بها.

10. ومن ناحية أخرى فإن تلك التي تُدعى آلهة عند اليونانيين دون أن تستحق هذا اللقب، هي ليست أمينة لا بحسب كيانها ولا بحسب وعودها إذ أنها ليست هي بعينها في كل مكان، بل هي آلهة محلية قد أفسدها الزمن واضمحلّت من تلقاء ذاتها ⁵³، لذا يصرخ الكلمة ضدهم: إن الإيمان ليس قوياً فيهم بل هم "مياه خادعة" وأنه "لا إيمان فيهم"، أما إله الجميع إذ هو واحد في الواقع وبالحقيقة فهو إله حق وأمين وثابت إلى الأبد. وهو يقول: "انظروا إليّ فترون إنّي أنا هو" ⁵⁴، و"إنّي ما تغيرت" ⁵⁵. ولهذا السبب فإن ابنه أمين وهو على الدوام غير متغير وغير مخادع لا في كيانه ولا في وعده. وكما كتب الرسول إلى أهل تسالونيكي قائلاً: "أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً" ⁵⁶. لأنه إذ يعمل ما وعد به فهو أمين في أقواله. ولهذا يكتب عن معنى اللفظ الذي يفيد عدم التغير "إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لا يقدر أن ينكر نفسه" ⁵⁷. والرسول إذ يتحدث عن الحضور الجسدي للكلمة

⁵² 1بط:4:19.

⁵³ انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 45 حيث يوضح القديس أثناسيوس أن تجسد الكلمة أبطل أعمال الآلهة الكذبة أضلت الإنسان.

⁵⁴ 2تث:32:39.

⁵⁵ ملا:3:6.

⁵⁶ 1تس:5:24.

⁵⁷ 2تي:2:13.

يقول: " كونه رسولاً وأميناً للذي أقامه"⁵⁸، مبيّناً أنه حتى بعد أن صار إنساناً فإن يسوع المسيح " هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"⁵⁹، أى لا يتغير. ومثلما أشار الرسول بواسطة رئاسة كهنوته إلى تأنس الرب عندما كتب في رسالته، فإنه لم يسكت طويلاً عن الحديث عن ألوهيته بل اشار إليها مباشرة، لكى يكون هناك أمان من كل ناحية وخاصة حينما يتحدث عن التواضع لكى نعرف على الفور رفعة وجلاله الذى من الآب. ولذلك قال: وموسى كان خادماً أما المسيح فهو ابن. كان الأول "أميناً في بيته" أما الثاني فكان "على بيته"⁶⁰ لأنه هو الذى أقامه وشيّدته إذ هو ربه وخالقه، وكإله قد قدسه.

ولما كان موسى إنساناً بالطبيعة. فإنه قد صار أميناً بسبب إيمانه بالله الذى تحدث إليه عن طريق الكلمة، أما الكلمة فلم يكن في الجسد كأحد المخلوقات، ولم يكن كمخلوق في مخلوق، بل هو كإله في الجسد، كخالق ومشيّد وسط ما خُلق بواسطته. وإن كان البشر قد لبسوا جسداً فلكى يكون لهم وجود وكيان. أما كلمة الله فقد صار إنساناً لأجل تقديس الجسد، وبينما هو رب فقد وُجِدَ في هيئة عبد، لأن كل الخليقة التى وُجِدَت بالكلمة وخُلقت به هي عبدة له. وبهذا يتضح أن ما قاله الرسول: " للذي أقامه (صنعه)" لا يثبت أن الكلمة مصنوع، وإنما المصنوع هو الجسد المماثل لنا، الذى اتخذه، وبالتالي إذ قد صار

⁵⁸ انظر عب3:او1.2.

⁵⁹ عب3:8.

⁶⁰ انظر عب3:5و6.

إنسانًا فقد دُعيَ أَحًا لنا.

11 . فإن كان قد اتضح أنه حتى عندما يستعمل لفظ "صُنِعَ" منسويًا إلى الكلمة نفسه، فإنه يستعمله بمعنى "وُلِدَ"، فأية حيلة خبيثة سيتمكنون من تليقها زورًا في سبيل تحقيق غرضهم، في حين أن حديثنا قد ألقى الضوء على هذا اللفظ من كل ناحية، فقد اتضح أن الابن ليس مصنوعًا بل هو . بحسب الجوهر . مولود الآب، بينما بحسب تدبير التجسد ومسرة الآب الصالحة فإنه من أجلنا صُنِعَ وتشكّل كإنسان، ولذلك قيل بواسطة الرسول: "كونه أميًّا للذي صنعه" وفي سفر الأمثال "قناني"⁶¹ لأنه مادمننا نعتزف أنه قد صار إنسانًا، فلا يوجد ما يمنع أن يُقال عنه كما سبق أن قيل إنه: "قد صار"، أو "قد صُنِعَ"، أو "قد خُلِقَ"، أو "تشكّل" أو "إنه عبد" أو "ابن أمه" أو "ابن الإنسان"، أو إنه "تكوّن" أو "رجل" أو إنه "عريس" أو "أخ"، لأن كل هذه الألفاظ إنما هي الخصائص المعروفة عن البشر، وهي لا تتحدث عن جوهر الكلمة بل عن صيرورته إنسانًا.

الفصل الخامس عشر

شرح نصوص : خامسًا:

” جَعَلَ يَسُوعَ .. رَبًّا وَمَسِيحًا ”

أع2:36

وهذا المعنى نجده أيضًا في سفر الأعمال حيث يقول بطرس الرسول "إِنَّهُ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَّبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا"¹. لأنه لم يُكتب هنا: "جَعَلَ ابْنًا لِدَاتِهِ" أو "جَعَلَ كَلِمَةً لِنَفْسِهِ" حتى يتخيلوا عندئذٍ مثل هذه الأفكار. فإن كان لم يغب عن بالهم أنهم يتحدثون عن ابن الله، فليبحثوا إن كان قد كُتِبَ في موضع آخر أن "الله جعل لذاته ابنًا" أو "خلق لنفسه كَلِمَةً" أو إن كان قد كُتِبَ صراحةً في أي موضع أن "الكَلِمَةُ مصنوعة أو مخلوقة"، عندئذٍ فلينظر هؤلاء الجهلاء إن كان يمكن أن يجدوا شيئًا من هذا النوع. أما إذا لم يعثروا على شيء مثل هذا، بل هم فقط يتصيدون بعض التعبيرات المتفرقة مثل "صُنِعَ" و"قد صُنِعَ"، فإنني أخشى أنهم بعد قليل، عندما يسمعون كلمات مثل "في البدء خلق الله السماء والأرض" و"صنع الشمس والقمر" و"صنع البحر"²، فإنهم يقولون إنه السماء أو إنه هو النور الذي صار في اليوم الأول، وإنه أيضًا هو الأرض، وكل مخلوق من مخلوقاته. وبذلك فإنهم يتشبهون بالذين يُسمَّون بالرواقيين³. والرواقيون يعتبرون الله نفسه أنه منتشر في

¹ أع2:36.

² تك1:16.

³ الرواقيون هم أتباع الفلسفة الرواقية نسبة إلى رواق بوليغينوس المزخرف بأثينا والذي اتخذه زينون

كل المخلوقات. أما هم فإنهم يضعون كلمة الله في مرتبة واحدة مع كل مخلوق من المخلوقات، خاصة أنهم قد وصلوا فعلاً إلى هذه الدرجة، وذلك عندما قالوا إنه هو من بين المخلوقات.

12 . وهنا يلزم أن يسمعوا نفس الكلام مرة أخرى. وليتعلموا أولاً أن اللوغوس هو ابن الله، كما قيل أيضاً فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغي أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى ألوهيته، بل عليهم أن يفتشوا لماذا، وكيف كُتبت هذه الأقوال؟ ومما لا شك فيه أن تدبير التجسد الذي صنعه لأجلنا سيجيب على الذين يتساءلون، لأن بطرس عندما قال " جعله رباً ومسيحاً " أضاف في الحال " الذي صلبتموه أنتم "4، مما جعل الأمر واضحاً للجميع. ولعله يصير أيضاً واضحاً لهؤلاء، إن كانوا يتابعون معنى النص، إن كلمة "جَعَلَ" ليست عن جوهر الكلمة . بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى الجسد؟ فكيف يمكن أن يتحدث عن ما هو جسد في الكلمة سوى بقوله "جَعَلَ (صنع)"؟. وإلى جانب ذلك، فإن قوله هنا "جَعَلَ"، له معنى أرثوذكسي (أى مستقيم)، لأنه لم يقل كما سبق وأوضحنا "جعله كلمته"، بل "جعله رباً"، وليس هذا فحسب بل جعله "رباً لكم"، و"قيماً بينكم". وهذا هو ما يعنيه بقوله "تبرهن". فبطرس نفسه كان يشير إلى هذا عينه باهتمام، عندما بدأ هذه

(336 . 102 ق.م.) مقراً له ليجتمع فيه مع أتباعه فدُعا بالرواقيين وكانت فلسفة = = الرواقيين تدعو إلى السعى وراء الفضيلة والإصغاء إلى صوت الضمير وضبط العواطف والانفعالات، وكانوا يؤمنون أن كل الأثماء يؤدي إلى الخير. وقد اقتبس بولس الرسول عن شعرائهم في قوله: " كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً نرثيته " (أع17:28) وهي من قول الشاعر الرواقى أراتوس.
4 أع2:36.

العظة الأولى بقوله: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله به في وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون"⁵. وهذه الكلمة "صنع" التي استخدمها في نهاية حديثه شرحها في بداية حديثه بكلمة "تبرهن". لأنه من الآيات والعجائب التي كان الرب يصنعها، أثبت أنه ليس إنسانًا عاديًا، بل هو الله في الجسد، وأنه هو الرب وهو المسيح. وهذا ما قاله يوحنا في إنجيله "ومن أجل هذا كان اليهود يطارِدونه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل أيضًا لأنه كان يقول إن الله أبوه، معادلًا نفسه بالله"⁶. فإن الرب لم يصنع نفسه عندئذٍ إلهًا، ولا يمكن أن يُعقل أن يكون هناك إله مصنوع، ولكنه تبرهن أنه إله من خلال أعماله عندما قال "فإن لم تؤمنوا فأمنوا بأعمالى، لكي تعرفوا إني في الآب والآب فيّ"⁷. إذن فقد جعله الآب ربًا وملكًا في وسطنا، ولنا، نحن الذين كنا قبلاً عُصاة. فمن الواضح أن هذا الذي يظهر الآن أنه ربٌّ وملك، لم يبتدئ أن يصير عندئذٍ ملكًا وربًا، بل ابتداءً أن يظهر ربوبيته، وأن تمتد ربوبيته حتى على الذين يعصونه.

13 . وإن كانوا يعتقدون أن المخلص لم يكن ربًا وملكًا، حتى قبل أن يصير إنسانًا وقيل أن يحتمل موت الصليب، وأنه عندئذٍ بدأ أن يكون ربًا، فليتهم يعرفون أنهم يرجعون من جديد إلى أقوال

⁵ أع 2:36.

⁶ يو 5:18.

⁷ يو 10:38.

الساموساطی⁸ بصراحة. ولكن، إن كان كما سبق أن اقتبسناه وذكرناه أن الرب ملك أزلی، وأن إبراهيم كان يعبده كرب. وموسى قال " فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبریئًا ونارًا من عند الرب من السماء"⁹. وداود يقول في المزامير " قال الرب لربی اجلس عن يمينی"¹⁰. و" عرشك يا الله إلى دهر الدهور، صولجان استقامة هو صولجان ملكك"¹¹، و" ملكك ملك كل الدهور"¹². فواضح أنه كان ملكًا وربًا سرمدیًا قبل أن یصیر إنسانًا لكونه صورة الآب وكلمته. وحيث إن الكلمة هو رب وملك أزلی فیوضح أيضًا أن بطرس لم یقل إن جوهر الابن قد صُنِع، بل أن ربوبیته علينا هي التي حدثت حينما صار إنسانًا، وأنه بافتدائه الكل بالصليب، قد صار رب الجميع وملكًا عليهم، وإن كانوا یجادلون بسبب أنه مكتوب "جَعَلَ" ولا یريدون أن یقروا بأن "جَعَلَ" تعنی "أظَهر"، أو بسبب عدم فهمهم، أو بسبب ميلهم لمعاداة المسيح، فلم یسمعوا مرة أخرى أن أقوال بطرس لها معنی مستقیم. لأن الذي یصیر ربًا لآخرین، فإنه یملك على الذين هم بالفعل تحت سلطانه

⁸ كان بولس الساموساطی أسقفًا لأنطاكية (260 . 268) وأدین في عام 268 بعد سلسلة من المجمع التي من خلالها ظهر ضلال عقائده. وحسب تعليم هرطقته اعتبر أن المسيح كان مجرد إنسانًا عاديًا ثم صار إلهًا بسبب جدارة عظمة شخصيته التي استحقتها بسبب التبني (ولذلك سُميَ مشابوهه بأصحاب تعليم التبني) وهكذا أنكر الساموساطی تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.

⁹ تك24:19.

¹⁰ مز1:110.

¹¹ مز6:45.

¹² مز13:145.

الآن. أما إن كان الرب خالق الكلّ، وملك أبدى، فعندما صار إنسانًا اقتنانا نحن أيضًا. وبهذا يصير واضحًا أن ما قاله بطرس لا يعنى أن جوهر الكلمة مصنوع، بل يعنى أن خضوع الكلّ له فيما بعد وأن ربوبية المخلّص هي التي قد صارت، على الكلّ. وهذا يوافق ما سبق أن قلناه. لأنه مثلما استشهدنا هناك بالأقوال التي تقول: " كن لى إلهًا معيًّا"¹³ و" صار الرب أيضًا ملجأً للمسكين"¹⁴، واتضح أن هذه الأقوال لا تعنى أن الله مخلوق، بل تشير إلى إحسانه المُقدم منه لكل واحد، وهكذا فإن قول بطرس له نفس المعنى.

14 . ولما كان ابن الله نفسه هو الكلمة فهو رب الكل. إلّا أننا خضعنا منذ البدء "لعبودية الفساد" و"لعنة الناموس"، وروبيدًا روبيدًا، صنعنا لأنفسنا موجودات (معبودات) خدمناها¹⁵، كما قال الرسول المغبوط¹⁶، " واستُعبدنا للذين ليسوا بالطبيعة آلهة"¹⁷، فأنكرنا الإله الحقيقي وفضلنا الأشياء غير الموجودة على الحق. إلّا أنه فيما بعد مثلما تأوه الشعب القديم متضجرًا في مصر، بعد أن ثقل كاهله، هكذا نحن أيضًا الذين لدينا الناموس المغروس في الضمير، وبحسب أنات الروح التي لا يُنطق بها¹⁸ بدأنا نصرخ قائلين: " أيها الرب إلهنا امتلكننا"¹⁹. وقد "

¹³ مز 31:3.

¹⁴ مز 9:9.

¹⁵ انظر القديس أنثاسيوس: ضد الأريوسيين فصل 2:1.

¹⁶ رو 1:25.

¹⁷ غل 4:8.

¹⁸ رو 8:26.

صار لنا بيت ملجأ، و"إله معين". هكذا أيضًا قد صار الرب بالنسبة لنا، ولم يكن هذا هو بدء وجوده، بل نحن الذين بدأنا نأخذه ربًا لنا. ومن ثم لأن الله صالح وهو أبو الرب، وإذ تحنن وأراد أن يصير معروفًا من الجميع، فقد جعل ابنه الذاتي يلبس جسدًا بشريًا ويصير إنسانًا ويُدعى يسوع، لكي يبذل نفسه في هذا الجسد لأجل الجميع، ويخلص الجميع من الضلال بعيدًا عن الله، ومن الهلاك، ويصير هو نفسه ربًا وملكًا للجميع. لذلك فإن صيرورته ربًا وملكًا، هو نفس ما قصده بطرس بقوله "جعله ربًا، وأرسله مسيحًا"²⁰. وهذا مشابه للقول إن الرب إذ قد جعل منه إنسانًا . لأنه أمر يخص الإنسان أن يكون مصنوعًا . فهو لم يجعله إنسانًا فقط بل جعله هكذا لأنه يكون ربًا على الجميع ويقدّس الكلّ بواسطة المسحة. لأنه وإن كان الكلمة وهو في صورة الله، اتخذ صورة عبد، إلّا أن اتخاذه للجسد لم يجعل الكلمة وهو رب بالطبيعة أن يكون عبدًا، بل بالأحرى فإن الكلمة بهذا الحدث (اتخاذ الجسد) قد حرّز كل البشرية. إن الكلمة نفسه وهو بالطبيعة الرب الكلمة قد جُعِلَ إنسانًا، ومن خلال صورة العبد صار رب الجميع ومسيحًا، أي لكي يقدّس الجميع بالروح. وكما أن الله عندما صار إلهاً معيّنًا قائلاً: " سأكون لهم إلهاً"²¹، فإنه لم يصر في ذلك الوقت إلهاً أكثر من ذي قبل، ولم يبتدئ عندئذٍ أن يصير إلهاً، بل إن هذا هو الأمر الواقع دائماً، ولكنه صار هكذا للمحتاجين إليه حينما سرّ بذلك.

¹⁹ إش 13:26 (سبعينية).

²⁰ انظر أع 2:36.

²¹ خر 27:37.

وهكذا أيضًا المسيح إذ هو بالطبيعة رب وملك أزلي، لم يصر ربًا عندما أرسل، ولم يبتدئ عندئذ أن يكون ربًا وملكًا، بل هذا هو الأمر الواقع دائمًا، إنما قد جعل هكذا بحسب الجسد. ولأنه صار فاديًا للجميع، فقد صار رب الأحياء والأموات. ولذلك فإن كل الأشياء تخضع له، وهذا أيضًا هو ما يعنيه داود حينما يترنم: "قال الرب لربي. اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك"²². لأنه لا يجب أن يكون الفداء عن أى طريق آخر سوى عن طريق ذاك الذي هو رب بالطبيعة، لئلا بعد أن خلقنا الابن فإننا ندعو لنا ربًا آخر، أو نسقط في حماقة الأريوسية والوثنية بأن نعبد المخلوق من دون خالق جميع الأشياء²³.

15 . هذا هو المعنى المقصود من هذا القول . وذلك على قدر حقارتى . لأن أقوال بطرس هذه الموجهة إلى اليهود، لها سبب حقيقي وصحيح لأن اليهود إذ ضلّوا عن الحق وزاغوا، مازالوا ينتظرون مجيء المسيح ظانين أنه لن يقاسى ألمًا عندما يأتى، ويقولون ما لا يفهمونه: "نحن نعرف أنه عندما يأتى المسيح سيبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يُرفع"²⁴ وهم أيضًا لا يرون أنه الله الذي جاء في الجسد، بل إنه مجرد إنسان سامى مثل كل الملوك. ولذا ويخ الرب كليوباس

²² مز 11:1.

²³ رو 1:25.

²⁴ يو 12:34.

والذي معه معلماً إياهما " أن المسيح ينبغي أن يتألم أولاً"²⁵. وهكذا فعل أيضاً مع اليهود الآخرين معلماً إياهم أن الله أقام في وسطهم عندما قال: " إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم قلوب الله ولا يمكن أن يُنقِض المكتوب، فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون أنتم إنك تجدف لأني قلت إنني ابن الله"²⁶.

16. ولأن بطرس قد عرف هذه الأمور من المخلص، فقد قوّم أفكار اليهود في كلتا الحالتين وكأنه يقول: [أيها اليهود إن الكتب المقدسة تعلن أن المسيح قادم، وأنتم تظنونونه إنساناً بسيطاً كواحد من نسل داود، أمّا ما كتبت عنه فيبين أنه ليس مثلما تقولونه أنتم، بل بالحرى يعلن أنه رب وإله، وغير مائت، وهو واهب الحياة. لأن موسى يقول: " سترون حياتكم معلقة قدام عيونكم"²⁷، وداود يقول في المزمور المئة والتاسع: " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك"²⁸ وفي المزمور الخامس عشر " لن تترك نفسي في الهاوية، ولن تدع قدوسك يرى فساداً"²⁹ لأن مثل هذه القوال، في الواقع لا تعود على داود، فهو نفسه يشهد قائلاً بأن الآتي هو ربه، وأنتم أنفسكم تشهدون أن داود قد مات ورفاته موجود لديكم. فإن كان المسيح يجب أن يكون هكذا كما تتحدث عنه الكتب، فأنتم أنفسكم يجب أن تعترفوا به لأن هذه

²⁵ لو 24:26.

²⁶ يو 10:36-35.

²⁷ تث 28:66، هكذا فهم الآباء هذا النص. راجع كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 35.

²⁸ 1:110 في الطبعة المتداولة.

²⁹ مز 16:10 في الطبعة المتداولة.

الكلمات قد قالها الله، ولا يمكن أن يعترها أي كذب. فإن استطعتم أن تثبتوا أن هناك شخصاً مثل هذا قد جاء قبل ذلك، وتستطيعون أن تبرهنوا أنه هو الله، من الآيات والمعجزات التي يكون قد صنعها، فيحق لكم أن تجادلوا. أما إن لم تتمكنوا من إثبات أن مثل هذا الشخص قد أتى، بل لا تزالون تنتظرونه، إذن فاعرفوا وقت مجيئه من نبوات دانيال. لأن ما قاله إنما يشير إلى الوقت الحاضر. فإن كان هذا الوقت الحاضر هو الوقت الذي سبق الإعلان عنه، وشاهدتم الأحداث التي وقعت بيننا الآن، فإن (يسوع) هذا الذي صلبتموه أنتم، هو المسيح نفسه، وهو المسيح المنتظر. لأن داود وكل الأنبياء ماتوا وقبورهم عندهم. أما القيامة التي حدثت الآن فإنها توضح أن ما قد كُتِبَ يخبر عنه.

لأن الصلب هو المقصود بالقول: "سترون حياتكم معلقة"³⁰ وجرحه بالحربة في جنبه هو تكميل للقول "كشاة سيقت إلى الذبح"³¹. وقيامته . ليس هو وحده . بل قيامة الموتى القدامى من قبورهم (لأن غالبيتكم قد شاهدوهم)، هي ما يعنيه القول: "لن تترك نفسك في الهاوية"³². و"ابتلع الموت بقوته" وأيضاً "الرب مسح"³³. لأن هذه العلامات التي حدثت فعلاً تثبت أن هذا الذي في الجسد هو الله، وأنه هو الحياة . وهو رب الموت. فالمسيح الذي هو واهب الحياة للآخرين لا ينبغي أن يسود

³⁰ تث28:66.

³¹ إش5:7.

³² مز16:10.

³³ إش25:8.

عليه الموت. وهذا ما كان ممكنًا أن يحدث لو كان المسيح إنسانًا عاديًا كما تعتقدون أنتم، بل هو بالحقيقة، ابن الله. لأن جميع الناس خاضعون للموت. من أجل هذا لا ينبغي لأحد أن يشك فيما بعد، بل ليعلم كل بيت إسرائيل تمامًا، أن يسوع هذا، الذي رأيتموه إنسانًا في مظهره الخارجي، وهو يصنع آيات وأعمالاً مثل هذه. التي لم يصنع مثلها أحد قط. هو نفسه المسيح ورب الجميع. لأنه رغم أنه صار إنسانًا ودُعِيَ باسم "يسوع" كما سبق أن قلنا، إلا أن قدره لم ينقص بالآلام البشرية. بل بالحرى، فإنه بصيرورته إنسانًا قد برهن أنه رب الأحياء والأموات. "لأنه إذ كان العالم في حكمة الله، لم يعرف الله بالحكمة، استحسّن الله أن يخلّص المؤمنين بواسطة جهالة الكرازة"³⁴. وهكذا نحن البشر أيضًا، عندما رفضنا أن نعرف الله من خلال كلمته، ورفضنا أن نخدم سيدنا الطبيعي: كلمة الله، استحسّن الله أن يُظهر روبيته الذاتية في الإنسان، وأن يجتذب الجميع نحو نفسه³⁵. ولم يكن من اللائق أن يصنع هذا بواسطة إنسان عادي حتى لا نصير عابدي بشر باتخاذنا الإنسان ربًا، ولأجل ذلك فقد صار الكلمة نفسه جسدًا، ودعاها الآب يسوع. وهكذا جعله ربًا ومسيحًا. بمعنى أنك تقول: "جعله لكي يسود ويملك". ولأنه باسم يسوع. الذي صلبتموه. أنتم. تتحنى كل ركبة، فإننا نعترف أن الابن نفسه هو الرب والملك، ومن خلاله فقد نعترف أن الآب هو أيضًا الرب والملك].

17. وعندما سمع غالبية اليهود هذه الأقوال رجعوا إلى أنفسهم، ثم

³⁴ اكو1:21.

³⁵ انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 43.

اعترفوا بالمسيح كما هو مكتوب في سفر الأعمال³⁶. ولأن مجانيين الأريوسية³⁷ قد اختاروا أن يظلوا يهودًا، وأن يناضلوا ضد بطرس، لذلك هيا بنا نقتبس لهم عبارات مماثلة، فربما يتحولون بهذه الطريقة عندما يتعلمون أسلوب الكتب المقدسة. فقد اتضح مما سبق أن المسيح رب أرلى وملك، ولا يشك أحد في هذا القول. فلأنه هو ابن الله، فإنه يلزم أن يكون مماثلاً له، ولكونه مماثلاً فهو قطعاً رب وملك معاً. فقد قال هو عن نفسه " من رأني فقد رأى الآب"³⁸. أما وأن عبارة بطرس هذه: " جَعَلَهُ رَبًّا وَمَسِيحًا"، لا تعنى أن الابن مصنوع، فهذا ممكن أن نراه من بركة اسحق . رغم أن هذه الصورة باهتة نوعاً ما من جهة هذا الموضوع المطروح للبحث . وذلك عندما قال ليعقوب " كن سيِّداً لأخيك"³⁹، وقال لعيسو " هأنذا قد جعلته سيِّداً لك"⁴⁰.

إذن حتى لو كان لفظ "جَعَلَ" يشير إلى جوهر يعقوب وبدء وجوده فما كان ينبغي لهؤلاء أن يفكروا بمثل هذه الأفكار عن كلمة الله، لأن ابن الله ليس مخلوقاً مثل يعقوب. ومع ذلك فقد كان في وسعهم أن يستوضحوا الأمر ويعرفوه حتى لا يتمادوا أكثر في جنونهم. فإن فهموا هذه الأمور على أنها لا تخص الجوهر ولا بداية الوجود . على الرغم من أن يعقوب مخلوق ومصنوع بحسب الطبيعة . فكيف لا يكونون أكثر جنوناً

³⁶ أَع:27:37.

³⁷ راجع فصل 1:14 ص10.

³⁸ يو:14:9.

³⁹ تَك:27:29.

⁴⁰ تَك:27:37.

من الشيطان، عندما يتجاسرون أن ينسبوا لابن الله تلك الأوصاف التي لا يتجاسرون أن يلصقوها بالكائنات المخلوقة بالطبيعة، ويقولون عنه إنه مخلوق؟ فإن قول إسحق "كن" و"جعلته" لا يعنى بداية خلقه يعقوب ولا جوهره، لأنه قال هذا بعد ثلاثين سنة أو أكثر من ميلاد يعقوب، ولكن سيادته على أخيه هي التي حدثت بعد ذلك.

18 . إذن فبطرس بالأحرى . ما كان يقصد بهذه الكلمات أن جوهر الكلمة مخلوق لأنه يعرف أنه ابن الله، إذ أنه قد اعترف قائلاً: " أنت هو المسيح ابن الله الحي"⁴¹، ولكنه يقصد بها ملكوته وسيادته التي تحققت وصارت فينا بحسب النعمة. وهو حينما قال هذا لم يصمت عن الحديث عن ألوهية ابن الله الأزلية التي هي أيضًا للآب. لأنه قد سبق وقال إنه قد سكب الروح علينا⁴²، إذ ليس من طبيعة الخليفة ولا الأشياء المصنوعة أن تُعطى الروح بسلطان، بل هو عطية الله. فالمخلوقات تتقدس بواسطة الروح، أما الابن فحيث إنه لا يتقدس بواسطة الروح بل بالأحرى هو الذى يعطى الروح للجميع، لذلك فهو ليس مخلوقاً، بل هو ابن الآب الحقيقي. ورغم أنه هو واهب الروح، إلا أنه يُقال عنه أيضًا إنه قد صُنِعَ، وهذا يعنى أنه صُنِعَ ربًا فيما بيننا من خلال بشريته، في حين أنه واهب الروح لأنه كلمة الله. لأنه كما كان ابناً على الدوام ولا يزال دائماً، فهو أيضًا رب وسلطان على الجميع، لكونه مثل الآب في

⁴¹ مت 16:16.

⁴² أع 2:17.

كل شئ وله كل ما للآب كما قال هو نفسه⁴³.

⁴³ يو 16:15.

الفصل السادس عشر

مقدمة لشرح أمثال 22:8 ” الرب قناني أول طريقه ” أن الابن ليس مخلوقاً

18 (تكملة) . هيا إذن فلنتأمل ما قيل في سفر الأمثال: ” الرب قناني (خلقى) أول طريقه لأجل أعماله ” (أم 22:8 سبعينية). رغم أننا إذ قد أوضحنا أن الكلمة ليس مصنوعاً، فهذا يدل أيضاً على أنه ليس مخلوقاً. فأن يُقال عنه إنه مصنوع هو نفس معنى أن يُقال عنه إنه مخلوق، لذا فإن البرهان على أنه غير مصنوع هو نفس البرهان على أنه ليس مخلوقاً. لهذا قد يُدهش البعض مما يخترعه هؤلاء من تبريرات لكفرهم، غير مستحين من البراهين التي أقمناها لكل نقطة على حدة. لأنهم قبل كل شيء، أخذوا يمدعون البسطاء بأسئلتهم مثل: ” هل الكائن قد صنّع من غير الموجود كائناً غير موجود أم كائناً موجوداً؟ ” وأيضاً ” هل كان لك ابن قبل أن تلده؟ ”. ولما اتضح أن كلامهم هذا فاسد وبلا أساس، أخذوا يخترعون هذا السؤال ” هل يوجد واحد فقط غير مخلوق أم اثنان؟ ” وبعد أن دحضت أفكارهم سرعان ما أضافوا ” هل له إرادة حرة؟ وهل طبيعته قابلة للتغيير؟ ”¹. ولكن بعد أن رفضت هذه أيضاً يقولون في الحال ” صائرًا أعظم من الملائكة بهذا القدر ”². وحينما دحضت الحقيقة هذا الإدعاء أيضاً، فهم الآن، وقد ساقوا كل تلك

¹ انظر ” ضد الأريوسيين ”، المرجع السابق المقالة الأولى: الفصل العاشر.

² عب 1:4.

الأقوال معًا يظنون أنهم عن طريق لفظتي "مصنوع"، و"مخلوق" سيدعمون هرطقتهم. فإن هذا هو ما يعنونه أيضًا، فهم لم يتخلوا عن خبثهم وسوء نيتهم، إذ هم يحورون ويشكّلون هرطقتهم نفسها بأشكال متنوعة، لعلهم يستطيعون أن يخدعوا البعض عن طريق هذه الأشكال المتغيرة، رغم أن كل ما سبق أن قلناه يثبت بطلان حجتهم. ولكن حيث إنهم ملأوا كل مكان بهذا القول المأخوذ من سفر الأمثال حتى يبدو هذا القول لدى كثيرين من الذين يجهلون العقيدة المسيحية أنه يعنى شيئًا ما، فإنه من الضروري أن نوضح هنا القول مثلما اوضحنا عبارة "كونه أميئًا للذى أقامه"³، وبنفس الطريقة سنفحص لفظ "قنى" (خلق) كى يظهر للجميع أنهم في هذا الأمر . كما في غيره . لا يملكون شيئًا سوى الخيال.

19 . أولاً، يلزم أن نرى الإجابات التى أجابوا بها على المُطوب الذكر "الكسندروس"⁴ في بادئ الأمر عندما ابتدعوا هرطقتهم، فقد كتبوا هكذا: "إنه مخلوق ولكن ليس واحدًا من المخلوقات. إنه مصنوع ولكنه ليس واحدًا من المصنوعات، إنه مولود ولكنه ليس واحدًا من المولودين". إذن فليحذر كل واحد خبث هذه البدعة ودهائها، ذلك لأنها بعد أن عرفت مرارة انحرافها وضلالها، اضطرت أن تزين نفسها باستعمال ألفاظ تحتمل معانى مختلفة، فنقول "إنه مخلوق" وهذا ما تعتقده، ولكنها تظن أنها تستطيع أن تخفى ذاتها بقولها "ولكنه ليس كواحد من

³ عب3:2.

⁴ كان البابا ألكسندروس أسقفًا لكبرى الأسكندرية عندما ظهرت الهرطقة الأريوسية. وهو أول من تصدى لها. انظر المقدمة المنشورة عن الأريوسية في بداية المقالة الأولى ضد الأريوسيين.

المخلوقات". فهم يكتباباتهم هكذا قد كشفوا كفرهم أكثر.

لأنه إن كان وفقاً لرأيكم أنه مخلوق، فكيف تتظاهرون بقولكم "لكن ليس كواحد من المخلوقات؟" وإن كان هو "مصنوعاً" فكيف يكون "ليس كواحد من المصنوعات؟". وفي كلامهم هذا يمكن أن نرى سم الهرطقة. لأنه بقولهم "مولود" ولكن "ليس كواحد من المولودين" فإنهم يقدمون أبناء كثيرين ويقولون أن الرب أيضاً واحد من بينهم، فإنه حسب اعتقادهم ليس بعد "وحيد الجنس" بل إنه واحد بين اخوة عديدين، وإنه يسمّى مولوداً وابناً. فأية فائدة إذن من القول بانه من ناحية مخلوق، ومن ناحية أخرى غير مخلوق؟ وأيضاً لو قلتم "ليس كواحد من المخلوقات" فإنى سأثبت أن مغالطتكم هذه خالية من الحكمة. فإنكم لا تزالون تقولون "إنه واحد من المخلوقات". والأشياء التي يمكن أن يقولها أحد الناس عن سائر المخلوقات، تفكرون بها أنتم هكذا عن الابن كجهلاء وعميان حقاً. فهل أى مخلوق من المخلوقات هو مثل الآخر حتى تنسبوا هذا للابن كشيء مميز له؟ وكل الخليقة المرئية قد تكوّنت في ستة أيام. ففي اليوم الأول عمل النور الذي دعاه نهاراً، وفي اليوم الثاني كان الجّد، وفي اليوم الثالث بعد أن جمع الماء أظهر اليابسة، وأنبت فيها مختلف الثمار وفي اليوم الرابع صنع الشمس والقمر وكل النجوم. أما في اليوم الخامس فقد خَلَقَ جنس الأحياء في البحر، والطيور في الهواء. وصنع في اليوم السادس نوات الأربع التي على الأرض، وبعد ذلك الإنسان.

" إن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة

بالمصنوعات"⁵. فالنور ليس كالليل ولا الشمس كالقمر. ولا غير العاقل كالإنسان العاقل، ولا الملائكة كالعروش، ولا العروش كالسلطين، فكلها مخلوقات ولكن كل واحد حسب نوعه من المخلوقات، يوجد ويظل في جوهره الذاتي كما خُلق.

20 . وعندئذٍ إما يُستثنى الكلمة من بين المصنوعات، وكخالق يُنسب إلى أبيه ويُعترف به أنه ابن بالطبيعة، أو أن يكون مجرد خليفة وعندئذٍ يُعترف به أن له وضعه الخاص الذي للمخلوقات الأخرى تجاه بعضها البعض. فليقل إذن عن كل هذه المخلوقات كما يُقال عنه، "خليفة ولكن ليس كواحد من المخلوقات. مولود أو مصنوع وليس كواحد من المصنوعين أو المولودين؟"، لأنكم قد قلتم إن "المولود" هو نفسه "المصنوع" عندما كتبتم: "مولود أو مصنوع". وبالإضافة إلى ذلك إن كان الابن يتفوق على سائر المخلوقات الأخرى بالمقارنة فإنه كمخلوق يظل مثل سائر المخلوقات. فإنه بالنسبة لتلك المخلوقات التي هي بطبيعتها مخلوقة، ممكن أن نجد البعض يتفوق على البعض الآخر " لأن نجمًا يمتاز عن نجم في المجد"⁶. لأنه يوجد اختلاف بين سائر المخلوقات عند مقارنتها بعضها ببعض، ولكن ليس معنى هذا أن بعضها سادة، والبعض الآخر تخدم الأسمى منها، ولا يكون البعض علةً للمصنوعات والبعض الآخر ناتجًا منها. ولكن عمومًا فإن جميع الأشياء لها طبيعة صائرة ومخلوقة، وكلها تعترف في ذاتها بخالقها كما

⁵ رو 1:20.

⁶ 1كو 15:41.

يتزرم داود: " السموات تُحدِّثُ بمجد الله، والفلك يُخبر بعمل يديه"⁷. كما يقول أيضًا الحكيم زربابل: " كل الأرض تتنادى والسماء تباركه، وكل المصنوعات تتزلزل وترتعد"⁸. فإن كانت الأرض تسبح الخالق والحق وتباركه وترتعد أمامه، وإن كان خالقها هو الكلمة، وهو ذاته يقول: " أنا هو الحق"⁹، فتبعًا لذلك لا يكون الكلمة مخلوقًا، فهو الوحيد الذي من ذات الآب، والذي دبر كل الأشياء، وجميعها تسبحه كخالق، كما يقول هو ذاته: " كنت عنده مديبر"¹⁰ و" أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضًا أعمل"¹¹، إن تعبير "حتى الآن" يدل على أنه كائن **ككلمة** في الآب منذ الأزل، لأنه من خاصية الكلمة أن يعمل أعمال الآب ولا يكون خارجًا عنه.

21. وإن كانت هذه الأشياء التي يعملها الآب يعملها الابن أيضًا، والأشياء التي يخلقها الابن هي مخلوقات الآب، ومع ذلك يكون عمل الابن هو عمل الآب وخلق، فعندئذٍ إما سيصنع نفسه ويكون هو خالق نفسه (حيث إن الأعمال التي يعملها الآب هي الأعمال التي يعملها الابن)، وهذا أمر غير معقول ومستحيل. أو إن كان يخلق ويعمل مخلوقات الآب، فلا يمكن أن يكون هو عملاً ولا خليفة. لأنه إن كان هو عملاً خالقه، وفي نفس الوقت مصنوعًا = مخلوقًا (حسب قولكم) فإن

⁷ مز 19:1.

⁸ عزرا الأول 3:36 (من الأسفار القانونية الثانية حسب النسخة اليونانية).

⁹ يو 6:14.

¹⁰ أم 8:30 سبعينية.

¹¹ يو 17:5.

هذا يجعل نفس الشيء يحدث في حالة المخلوقات كما حدث معه (أى تصوير مخلوقة وخالقة في نفس الوقت) وإلا فإنه لا يكون قادرًا أن يصنع على الإطلاق. لأنه كيف يكون قد صار من العدم . كما تقولون . ويكون في إمكانه أن يخلق ويجلب إلى الوجود الأشياء غير الموجودة؟ فإن كان وهو نفسه يقوم بالخلق، فمن الممكن أن يفهم أن هذا الأمر يحدث أيضًا لكل مخلوق حتى أنه يكون في وسع هذه المخلوقات أن تخلق. فإن كنتم تريدون أن يكون الأمر هكذا، فما الحاجة إذن إلى وجود الكلمة طالما أنه يكون في وسع المخلوقات الأقل منزلة أن تخلق المخلوقات الأسمى منها . أو إن كان في إمكان كل مخلوق . على وجه الإطلاق . أن يسمع مباشرة من الله منذ البدء "كن" و"فلتُخلق"، وتكون هذه هي الطريقة التي تكونت بها سائر الأشياء ولكن هذا لم يكتب، وليس ممكنًا أن يكتب هكذا لأنه ليس من الممكن أن يكون أحد المخلوقات علّة خالقة، لأن كل الأشياء قد صارت بالكلمة، فلو كان الكلمة ذاته معدودًا بين المخلوقات كما كان في استطاعته أن يخلق كل الأشياء. بل ولا الملائكة أيضًا يستطيعون أن يخلقوا لأنهم هم أيضًا من بين المخلوقات¹²، حتى إن كان فالنتينوس¹³ وماركيون¹⁴ وباسيليديس¹⁵

¹² عن حقيقة أن الملائكة من المخلوقات وبالتالي لا تستطيع فداء الإنسان انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 7/13.

¹³ فالنتينوس: يُعد من أبرز الكتبة الغنوسيين وكثيرًا ما كان يمزج ما هو شعري بما هو تأملي. وكان يعلم في روما بين سنتي 140، 160م.

¹⁴ ماركيون: هرطوقى عاش وعلم في القرن الثاني، رغم نشأته المسيحية إلا أنه اعتنق الفكر الغنوسى فيما بعد وأنكر العهد القديم وإنجيل لوقا ورسائل بولس الرسول.

¹⁵ باسيليديس: هرطوقى غنوسى كان يعلم في ألكسندرية في أيام هادريان (117 . 138م).

يعتقدون بذلك وأنتم تتمثلون بهم. ولا الشمس لكونها مخلوق تستطيع أن تجلب إلى الوجود ما هو غير موجود، ولا يستطيع الإنسان أن يخلق إنسانًا، ولا الحجر حجرًا، ولا يتكاثر الخشب من خشب.

إنما هو الله " الذي صَوَّرَ الإنسان في الرحم"¹⁶. وهو الذي ثبتت الجبال، والذي ينمى الأشجار. أما الإنسان فلكونه قادرًا على تحصيل المعرفة، فإنه يرتب هذه المادة ويصنّفها، ويصنّع أشياء من المادة الموجودة كما تعلّم، ويكون راضيًا بصناعته لها. ولأنه عرف طبيعة نفسه، فإنه عندما يحتاج إلى شيء، يعرف أن يطلبه من الله.

22. إذن فإن كان الله أيضًا يصنع ويشكّل شيئًا من المادة الموجودة سابقًا، كما تعلّم الفلسفة اليونانية، فإن الله لن يُدع خالقًا بل فنانًا، وهكذا فإن الكلمة سيعمل الأشياء بأمر من الله وفي خدمته¹⁷.

ولكن إن كان الله قد دعا الأشياء غير الموجودة إلى الوجود بواسطة كلمته الذاتى، فلا يكون الكلمة من بين الأشياء غير الموجودة والتي دُعيت (إلى الوجود)، وإلا فلنبحث عن كلمة آخر بواسطته دُعي الكلمة نفسه أيضًا إلى الوجود. لأن كل الأشياء غير الموجودة قد صارت بالكلمة. وإن كان الأب يخلق ويصنع به، فلا يكون هو نفسه من بين الأشياء المخلوقة والمصنوعة، بل بالأحرى هو كلمة الله الخالق، ومن الأعمال الأب التي يعملها هو ذاته، يُعرف أنه " في الأب والآب فيه"،

¹⁶ إر 1:5.

¹⁷ وفي موضع آخر يؤكد القديس أنثاسيوس على حقيقة أن الله يخلق كل شيء بالكلمة من العدم وليس من مادة موجودة. انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 5 فقرة 3.

وأن " من رآه فقد رأى الآب"¹⁸، وذلك بسبب أن جوهر الابن هو جوهر الآب ومماثل له في كل شيء. فكيف إذن يخلق به إن لم يكن هو نفسه كلمته وحكمته؟ وكيف يمكن أن يكون كلمته وحكمته إن لم يكن هو مولود جوهره الذاتى، ولا يكون واحدًا من المخلوقات مثل الأشياء الأخرى؟ وإن كانت كل الأشياء قد صارت من العدم، وهي كائنات مخلوقة، وإن كان الابن . حسب معتقداتهم . هو واحد من بين المخلوقات التى لم تكن موجودة في وقت ما، فكيف يكون هو وحده الذي يُعلن الآب وهو وحده الذى يعرفه؟

لأنه إن كان ممكنًا له أن يعرف الآب بالرغم من كونه مخلوقًا، فإن جميع المخلوقات أيضًا إذن يمكنها أن تعرف الآب، بحسب قياس المخلوقات، لأن جميع المخلوقات أيضًا مصنوعة مثله. وإن كان من غير الممكن للمخلوقات أن ترى الآب وتعرفه لأن هذه الرؤية وهذه المعرفة تعلق على مستوى جميع المخلوقات، فالله نفسه قد قال: " لا أحد يرى وجهى ويعيش"¹⁹. أما الابن فقال: " ليس أحد يعرف الآب إلا الابن"²⁰. إذن فإن الكلمة مختلف عن المخلوقات، وهو وحده الذى يعرف الآب ويراه كما قال " ليس أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الآب"²¹، وأيضًا " ليس أحد يعرف الآب إلا الابن". وإن كان هذا لا يروق لأروسيوس، فكيف إذن عرفه (أى عرف الآب) هو وحده إن لم يكن

¹⁸ يو 14:9.

¹⁹ خر 33:20.

²⁰ مت 10:27.

²¹ يو 6:46.

هو نفسه من ذات الآب؟ وكيف يمكن أن يكون من ذات الآب لو كان مخلوقاً ولم يكن ابناً حقيقياً منه؟ لأنه يجب ألاّ نَمَلّ من تكرار نفس الأقوال المتعلقة بالتقوى مراراً²². ولذلك فإنه يعدّ تجديدًا أن يعتقد أحد بأن الابن هو واحد من بين جميع المخلوقات. وأنه من التجديف والغباء أن يُقال " مخلوق ولكنه ليس كواحد من المخلوقات" و"مصنوع ولكنه ليس كواحد من (المصنوعات)"، و"مولود ولكنه ليس كواحد من بين المولودين". لأنه كيف لا يكون واحد من بين تلك المخلوقات لو أنه من وجهة نظرهم لم يكن موجودًا قبل أن يُولد؟ لأن خاصية المخلوقات والمصنوعات هي أنها تكون غير موجودة قبل أن تُخلق، وأنها تُوجد من العدم، حتى لو كانت هناك فروق بين المخلوقات بسبب اختلافها في المجد، فإن هذا الفرق بين الواحد والآخر يوجد في جميع المخلوقات ويتضح في كل المرئيات.

23. ولكن إن كان الهراطقة يحسبون الابن "مخلوقاً أو مصنوعاً ولكن ليس كواحد من المخلوقات" بسبب تفوقه عنها في المجد، لكان من الواجب أن تظهره الأسفار المقدسة وتميزه في درجة أسمى بالمقارنة بالمصنوعات الأخرى، فمثلاً كان يجب أن يُقال إنه أعظم من رؤساء الملائكة، وأنه أكثر كرامة من العروش، أو أكثر بهاءً من الشمس والقمر، وأعظم أيضاً من السموات. ولكن الواقع أن الكتب المقدس لا تذكره هكذا، بل إن الآب يُظهره أنه ابنه الذاتي والوحيد بقوله: " إنك

²² يُفضل القديس أثناسيوس تكرار المعنى الذي يريد توضيحه باستخدام طرق متعددة من شرحه وهو ينيه القارئ دائماً إلى عملية التكرار. انظر فصل 80 وأيضاً تجسد الكلمة، المرجع السابق فصل

أنت ابني"²³، و " هذا ابني الحبيب الذي به سُررت"²⁴. ولهذا صارت " الملائكة تخدمه"²⁵. حيث إنه كان مختلفاً عنهم وهم يسجدون له ليس لكونه أعظم منهم في المجد، بل لأنه مختلف تماماً عن جميع المخلوقات بما فيهم أولئك الملائكة، لأنه بحسب الجوهر هو الابن الوحيد الذاتي للآب. فلو كانوا يسجدون له لمجرد أنه متفوق في المجد لكان من الواجب على كل كائن من الكائنات الأدنى أن يسجد للأسمى منه. لكن ليس الأمر هكذا، لأن المخلوق لا يعبد مخلوقاً آخر، بل أن العبد يعبد الرب، والمخلوق يعبد الله. لذا فعندما أراد كرنيليوس أن يسجد لبطرس، منعه الرسول بطرس قائلاً: "أنا أيضاً إنسان"²⁶. وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملاك في الرؤيا منعه الملاك قائلاً: " انظر لا تفعل فإني عبد معك ومع اخوتك الأنبياء ومع الذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. اسجد لله"²⁷. وتبعاً لذلك فإن السجود يكون لله وحده، وقد عرف الملائكة أنفسهم هذا رغم أنهم يفوقون غيرهم في المجد. فهم جميعاً مخلوقات وليسوا من الذين يُسجد لهم، بل هم من بين الذين يسجدون للرب. فعندما أراد منوح أبو شمشون أن يقدم ذبيحة للملاك، منعه الملاك قائلاً: " لا تقدم لى بل لله"²⁸. أما الرب فإنه يُسجد له من

²³ مز:2:7.

²⁴ مت:3:17.

²⁵ مت:4:11.

²⁶ أع:10:26.

²⁷ رؤ:22:9.

²⁸ قض:13:16.

الملائكة لأنه مكتوب: "فلتسجد له جميع ملائكة الله"²⁹. ومن كل الأمم، كما يقول إشعياء: "مصر تعبت لأجلك، وتجار الأثيوبيين، ورجال سبأ طوال القامة إليك يعبرون، وسيكونون عبيداً لك"، ثم يقول: "ولك يسجدون وإليك يتضرعون قائلين فيك وحدك الله. لا يوجد إله سواك يارب"³⁰. وعندما سجد له التلاميذ قَبْلَ منهم السجود وأخبرهم من يكون هو قائلاً: "أنتم تدعونني رباً ومعلماً وحسناً تقولون لأنني أنا كذلك"³¹، وحينما قال له توما: "ربي وإلهي"³²، سمح له بهذا القول، وبالأحرى قَبْلَهُ ولم يمنعه. لأنه كما يقول سائر الأنبياء، وكما يترنم داود: "هو رب القوات"³³، و"رب الصاباوت" الذي تفسيره "رب الجنود" وهو إله حق ضابط الكلّ حتى ولو مزق الآريوسيون ثيابهم بسبب هذا.

24. فهو ما كان ليُسجد له، أو تُقال عنه تلك الأقوال لو أنه كان من بين المخلوقات. ولكنه الآن حيث إنه ليس بمخلوق، بل هو المولود الذاتي لجوهر الله المعبود، وهو ابنه بالطبيعة، لذلك فإنه يُسجد له ويؤمن به أنه إله وأنه رب الجنود وله السلطان، وهو ضابط الكل مثل الآب، لأنه هو نفسه قد قال: "كل ما للآب فهو لي"³⁴. لأنه من خاصية الابن أن يكون له ما للآب، وأن يكون هكذا حتى أن الآب يُرى فيه، وأن جميع الأشياء تصير به، وأن خلاص الكل به يتم وفيه يتحقق.

²⁹ مز 76:7، عب 1:6.

³⁰ إش 45:14 سبعينية.

³¹ يو 13:13.

³² يو 20:28.

³³ مز 10:23.

³⁴ يو 16:15.

الفصل السابع عشر

مقدمة لشرح أمثال 8:22 ” الرب قناني أول طريقه ” تابع : أن الابن ليس مخلوقًا

وجيد هنا أن نسألهم هذا السؤال أيضًا لكي يكون دحض هرطقتهم أكثر وضوحًا.

رغم أن " كل الأشياء " مخلوقة، وأصلها كلها من العدم وحتى الابن أيضًا . حسب فكرهم . مخلوق ومصنوع، وهو واحد من الأشياء التي لم تكن موجودة قط. فلماذا نجد في نفس الوقت، أنه هو ذاته قد صُنعت به كل الأشياء، " وبغيره لم يكن شئ مما كان"¹؟ أو لماذا، حينما يكون الحديث عن "كل الأشياء" لا يفهم أحد أن الابن محسوب بين كل الأشياء، وإنما يُفهم أن المقصود هو المخلوقات فقط؟ في حين أنه عندما نتحدث الكتب المقدسة عن الكلمة، فهي لا تعنى أنه معدود بين "كل المخلوقات"، بل تضعه مع الآب، إذ أن الآب يعمل ويحقق به العناية والخلاص للكل. فحسب فكرهم فإن نفس كلمة الأمر التي بها قد صارت كل الأشياء يمكن أن يوجد بها الابن أيضًا من الله وحده. ولكننا نقول إن الله لا يتعب من إصدار الأوامر ولا يضعف من خلق الأشياء كلها حتى يخلق الابن وحده فقط (كما يقولون)، وحتى بحسب احتياجه إليه كخادم ومعين لأجل خلق الأشياء الأخرى. لأن الله لا ولن يوجل شيئًا مما يريد أن يصير، بل إنه فقط قد شاء، وكما شاء صار الكل

¹ يو 1:3.

في الحال، ولأن أحد لا يستطيع أن "يقاوم مشيئته"². إذن، لماذا لم توجد كل الأشياء إلا بأمر الله، ذلك الأمر الذي به قد وُجِدَ الابن أيضًا (حسب فكرهم) أو فليقولوا: لماذا قد صارت به كل الأشياء بالرغم من أنه هو أيضًا صائر؟ فيالحماقتهم عندما يقولون عنه: "إن الله عندما أراد أن يُوجد طبيعة مخلوقة، ورأى عدم قدرتها على احتمال لمسة يد الآب الشديدة، فإنه يصنع ويخلق أولاً واحداً مفرداً فقط، ويسمّيه ابناً وكلمة، كي عن طريقه كوسيط، يُوجد به كل الأشياء أيضًا". وهم لا يقولون هذا وحسب، بل أيضًا تجاسروا وكتبوا بيد كل من يوسيبوس وأريوس وأستيريوس مقدم الذبائح (للأوثان).

25. أليس هذا برهان كافٍ على الكفر الذي مزجوا أنفسهم به بجنون متناه، وهم لا يستحون هكذا من أن يهذوا كالسكارى ضد الحق؟ لأنهم إن كانوا يؤكدون أن الله قد صنع الابن فقط بسبب أنه تعب من خلق كل الأشياء الأخرى، فإن كل الخليقة ستصرخ³ هازئة بهم باعتبار أنهم يقولون أشياء غير لائقة بالله. أما إشعيا فقد كتب قائلاً: "الله الأبدى الذي صاغ أطراف الأرض لا يجوع ولا يكل. وليس هناك فحص لفهمه"⁴. أما إن كانوا يقولون إن الله يستتكف أن يخلق الأشياء الأخرى، لهذا فقد صنع الابن فقط، وسلّم خلقه الأشياء الأخرى للابن كمساعد، فإن هذا يكون غير لائق بالله لأن ليس عند الله كبرياء. وهؤلاء يخجلهم

² انظر رو9:19.

³ استخدم القديس أثناسيوس فعل "تصرخ" لوصف شهادة الخليقة على عظمة عمل الله فيها. انظر ضد

الوثنيين فصول4/1، 3/27، 4/34، "تجسد الكلمة"، المرجع السابق 2/32.

⁴ إش40:28 سبعينية.

الرب الذى فى السموات عندما يقول: " أليس عصفوران ببيعان بردهم؟ وواحد منها لا يسقط على الأرض بدون إذن أبيكم"؟⁵ ويقول أيضاً: " لا تهتموا لحياتكم ماذا ستأكلون وماذا ستشربون. ولا لأجسادكم ماذا ستلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. تأملوا طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها. أليست أنتم بالحرى أفضل منها؟ ومن منكم إذا اهتم بقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنايق الحقل كيف تنمو، وهي لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويُطرح غداً فى الأتون، يُلبسه الله هكذا، أفليس بالحرى جداً يُلبسكم أنتم يا قليلى الإيمان"؟⁶

فإن لم يكن من غير اللائق بالله أن يعتنى بأصغر الأشياء إلى هذه الدرجة، مثل شعرة الرأس والعصفور، وعشب الحقل فإنه لا يكون من غير اللائق أن يخلق هذه الأشياء لأن الأشياء التى هى موضع عنايته، هى نفسها التى يكون هو خالقها بكلمته الذاتى. فإما أن تكون كل الأشياء ومعها الابن قد خُلقت من الآب، والذين يقولون هكذا يواجهون سخافة وبطلاناً شديدين، لأنهم لا يفرقون بين المخلوقات وبين عمل الخلق، ويعتبرون أن الخلق هو عمل الآب، بينما يعتبرون الأعمال (المخلوقات) أنها عمل الابن، وإما إن كانت كل المخلوقات قد خُلقت بالابن . فينبغى ألا يُقال إن الابن واحد من بين المخلوقات.

⁵ مت 10:29.

⁶ مت 6:30.

26 . ومن ثمَّ يكون من الممكن دحض حماقاتهم هكذا: فحتى لو كانت طبيعة الكلمة مخلوقة، فطالما يستحيل على هذه الطبيعة أن تُخلَق مباشرة من الله، فكيف استطاع الابن وحده من بين جميع المخلوقات أن يُخلَق من جوهر الله غير المخلوق والفائق النقاء كما تقولون أنتم؟ فالضرورة تقتضى أنه إن كان الكلمة يستطيع ذلك فكل الطبيعة المخلوقة تستطيع ذلك أيضًا. ولكن إذا لم يكن هذا فى استطاعة كل الطبيعة المخلوقة، فإن الكلمة نفسه أيضًا لا يستطيع ذلك لأنه . حسب فكركم . هو واحد من بين المخلوقات.

ومرة أخرى إن كانت الطبيعة بسبب عدم قدرتها أن تحتل فعل الخلق المباشر من الله، احتاجت إلى وجود وسيط، فالكلمة أيضًا لكونه مخلوقًا ومصنوعًا (حسب قولكم) فإنه يكون هو نفسه فى حاجة إلى وسيط لخلقه بسبب كونه واحدًا من الطبيعة المخلوقة التى لا تستطيع أن تحتل فعل الله، بل يحتاج إلى وسيط. وحتى لو وُجد هناك وسيط للكلمة فستكون هناك حاجة مرة أخرى لوسيط آخر لهذا الوسيط وهكذا باستمرار البحث والتنقيب سنجد حشدًا عارمًا من الوسطاء، وبذلك يكون من المستحيل أن تقوم للخليقة قائمة. إذ انها ستحتاج دائمًا إلى وسيط، وهذا الوسيط لن يستطيع أن يُوجد بغير وسيط آخر لأنهم جميعًا من طبيعة مخلوقة وهي التى لا تستطيع . كما تقولون أنتم . أن تحتل فعل الخلق الذى هو عمل الله وحده.

إذن، ما أكثر حماقاتهم التى تجعلهم يعتبرون الأشياء التى وُجدت أنها لا يمكن أن تُوجد. أو ربما يتصورون أنها لم تكن قد وُجدت ماداموا

لا يزالون يطلبون وسيطاً. لأنهم بحسب كفرهم وفكرهم الغبى لا يكون
ممكناً بالكائنات أن تُوجَد حيث إنها لا تجد الوسيط.

27 . ولكنهم أيضاً يدعون قائلين: " هوذا بواسطة موسى قد أخرج الله
الشعب من مصر، وبواسطته أعطى الشريعة بالرغم من كونه إنساناً،
حتى يكون ممكناً أن تصير الأشياء المماثلة بواسطة ما يماثلها". فكان
ينبغى وهم يقولون هذا أن يخفوا وجوههم من الخجل الشديد، فإن موسى
لم يُرسل لكي يخلق ولا لكي يدعو إلى الوجود تلك الأشياء التى لم تكن
موجودة.

من أجل ذلك، ففيما يخص الخلق، لا يوجد من يقوم به سوى كلمة
الله فقط، لأن " كل الأشياء قد صُنعت بالحكمة"⁷، و " بغير ~~كلمة~~ لم
يكن شئ مما كان"⁸. أما فيما يخص الخدمة، فليس هناك واحد فقط،
بل يوجد كثيرون يستطيع الرب أن يرسلهم متى أراد، فهناك كثيرون من
رؤساء الملائكة وكثيرون هم العروش والسلطين والسيادات، "
أُوف وريوات ريوات يقدمون له الخدمة"⁹، وهم على استعداد أن يُرسلوا.
وهناك أنبياء كثيرون واثنى عشر رسولاً وبولس، بل وموسى أيضاً لم
يكن وحده بل كان معه هارون أيضاً، وبعد ذلك كان معه " سبعون
آخرون امتلأوا بالروح القدس"¹⁰. وموسى خَلَقَه يشوع ابن نون، وهذا

⁷ مز 104:24.

⁸ يو 1:3.

⁹ انظر دا 7:10.

¹⁰ عد 11:25.

خَلَقَهُ القضاة، وهؤلاء لم يخلفهم واحد بل كثيرون.

فلو كان الابن إذن مخلوقًا، وواحدًا من المخلوقات لكان من اللازم أن يكون هناك أنبياء كثيرون مثله، لكي يكون لله أيضًا خدام كثيرون من هؤلاء، كما أن له جمعًا غفيرًا من أولئك الآخرين. وإن لم يكن في الإمكان أن يرى أحد هذا الرأي، فإن الكلمة واحد، لكن المخلوقات كثيرة. من هؤلاء لا يُفهم أن الابن يتميز على الجميع، وليس له أى وجه شبه بالمخلوقات، بل هو من ذات الآب. من أجل ذلك فلا يوجد عدد كثير من الكلمات، بل هناك كلمة واحد للآب الواحد، وصورة واحدة للآب الواحد. وهم يقولون: " ها هي شمس واحدة فقط وأرض واحدة". يا لهم من حمقى! فليقولوا أيضًا إن الماء واحد والنار واحدة، لكي نجيبهم بقولنا إن كل مخلوق بين المخلوقات هو واحد بحسب جوهره الخاص. أما من جهة الخدمة والعمل الموكلين إليه فليس كل مخلوق بمفرده كفاءً ولا كافيًا، لأن الله قال: " لتكن أنوار في جُبد السماء لتضيئ على الأرض، ولتفصل بين النهار والليل ولتكن آيات وأوقات وأيام وسنين"¹¹. ثم قال: " فصنع الله النورين العظيمين، النور الكبير لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم ثبتها في جُبد السماء لتضيئ على الأرض فتحكم النهار والليل"¹².

28. ها هي كواكب كثيرة: وليس فقط الشمس وحدها ولا القمر وحده، بل كل منهما واحد بحسب جوهره، إلا أن خدمة الكل واحدة ومشاركة وما ينقص الواحد يكمله الآخر. وهكذا يشترك الكل في سد الحاجة إلى

¹¹ تك 1:14.

¹² تك 1:18.

النور . فالشمس لديها السلطان أن تظهر في فترة النهار فقط، والقمر خلال الليل، أما النجوم فيتم بها مع الشمس والقمر الفصول والسنين، فتكون لآيات¹³ حسب الاحتياج المطلوب من كل منها. والأرض أيضًا ليست لكل شيء، بل للثمار وحدها، ولكي تكون موطئًا للحيوانات التي تمشى عليها. أما الجَدُّ فهو الذي يفصل بين مياه ومياه: لكي يكون مكانًا للكواكب. وهكذا كل من النار والماء قد صار مع كل الأشياء الأخرى لأجل تكوين الأجسام. وعمومًا فليس هناك شيء واحد قائمًا بمفرده. بل كل واحد من المخلوقات كما لو كان مع بقية المخلوقات كأعضاء بعضها لبعض، يشكّلون العالم معًا كأنه جسد واحد.

فإن كانوا يفترضون أن الابن أيضًا هكذا، فإنهم يستحقون أن يُرجموا من جميع الناس. لأنهم يظنون أن الكلمة جزء من الكل، جزء لا يكفى بدون الأشياء الأخرى أن يقوم بالخدمة المسلّمة له. فإن كان هذا كفر واضح، فدعهم يعترفون أن الكلمة ليس معدودًا بين المخلوقات، بل هو كلمة الآب الوحيد، الذاتي وهو خالق المخلوقات ولكنهم قالوا عنه: " إنه مخلوق ومعدود بين المخلوقات، وقد تعلّم فن الخلق كما من معلم وفنّي، وهكذا خدم الله الذي علّمه". لأن أستيريوس السفسطائي قد تجاسر على كتابة هذه الأقوال مثلما تعلّم أن ينكر الرب غير مدرك للحماقة التي تترتب عليها. لأنه إن كان الخلق شيء يمكن أن يُكتسب بالتعليم، فليحذروا أيضًا لئلا يقولوا عن الله نفسه أنه ليس خالقًا بالطبيعة بل بالتعليم، فتكون النتيجة أنه يمكن أن يفقد خاصيته كخالق. وعلى ذلك فلو حصل حكمة الله على الخلق بالتعليم، فكيف يكون حكمة إن

¹³ انظر تك:14.

كان لا يزال في حاجة إلى دروس؟ وماذا كان حاله قبل التعلم؟ فإن كان ينقصه التعليم فإنه لا يكون حكمة، بل يكون شيئاً فارغاً، وليس حكمة بجوهره، ويكون قد اتخذ اسم الحكمة عن طريق الترقى وبظل هكذا حكمة على مدى الوقت مادام يحتفظ بما قد تعلمه. فالذي لا يوجد في طبيعة شخص ما، بل من خلال التعلم فمن الممكن أيضاً أن يُفقد في وقت ما. ولكن من يقول مثل هذا الكلام عن كلمة الله فليس من بين المسيحيين، بل من بين الوثنيين.

29 . لأنه إن كان عمل الخلق يمكن اكتسابه بواسطة التعلم فإن عديمي العقل هؤلاء يقولهم هذا ينسبون الحسد والضعف إلى الله. فمن ناحية ينسبون إليه الحسد لأنه لم يعلم الخلق لكثيرين، لكي مثلما يوجد كثيرون من الملائكة ورؤساء الملائكة، هكذا يوجد حوله أيضاً خالقون كثيرون. ومن ناحية أخرى ينسبون له الضعف لأنه عجز عن أن يقوم بالخلق وحده، بل احتاج إلى معين أو خادم وذلك بالرغم من البرهنة على أن الطبيعة المخلوقة يمكن أن توجد من الله وحده، إذ هم يقولون إن "الابن مخلوق وقد صار من الله وحده". ولكن الله ليس في حاجة إلى أحد، حاشا لله. لأنه هو قال: "إني ممتلئ"¹⁴. والكلمة لم يصر خالقاً بل هو صورة الآب وحكمته فإنه يعمل أعمال الآب. والآب لم يجعل الابن من أجل عمل المخلوقات، لأنه هوذا رغم وجود الابن يظل الآب عاملاً أيضاً كما يقول الرب نفسه "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل"¹⁵.

¹⁴ إش 1 : 11 سبينية .

¹⁵ يو 5 : 17

فإن كان الابن قد وُجد . حسبما تقولون . لكي يخلق الأشياء التي جاءت بعده، ومع ذلك يُرى الأب عاملاً حتى بعد وجود الابن، فإن وجود مثل هذا الابن يكون . بحسب قولكم . لا لزوم له . وإلا فلماذا يبحث الأب عن وسيط عندما شاء لأن يخلقنا كما لو أن مشيئته لم تكن كافية لخلق ما يبدو له حسناً؟ مع أن الأسفار المقدسة تقول: " كل ما شاء صنع"¹⁶ وأيضاً " من يقاوم مشيئته"¹⁷ . لو أن مشيئته وحدها كانت كافية لخلق كل الأشياء، فإن مرة أخرى تكون حاجته لوسيط . وفقاً لقولكم . من نافلة القول . ولذا فإن المثل الذى تضربونه عن موسى وعن الشمس والقمر يتضح أن لا أساس له . وبناء على ذلك فإن هذا القول يلجم ألسنتكم . فإن كان الله . حسبما تعتقدون . عندما أراد أن يخلق الطبيعة المخلوقة وقد عزم العزم على ذلك . خطط أن يخلق الابن أولاً لكي يخلقنا بواسطته، فتأملوا واعتبروا أى قدر من الكفر قد تجاسرتم أن تتطوقوا به .

30 . فبحسب كلامكم يظهر أولاً أن الابن قد جُعل من أجلنا، ولسنا نحن من أجله، بمعنى أننا لم نُخلق لأجله ولكنه قد صُنِع من أجلنا، وبذلك يكون هو مديناً بالفضل لنا ولسنا نحن المدينين له، كوضع المرأة بالنسبة للرجل . فالكتاب يقول: " لأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل"¹⁸ . ولذلك إذن " فإن الرجل هو صورة الله ومجده، أما المرأة فهي مجد

¹⁶ مز 135 : 6

¹⁷ رو 9 : 19

¹⁸ 1 كو 11 : 9

الرجل" ¹⁹. وهكذا فنحن صورة الله، وقد صرنا من أجل مجده، أما الابن فيكون . على أساس كلامهم . هو صورتنا وأنه وُجِدَ من أجل مجدنا، ونحن قد جُعِلنا لكي نُوجد. أما **كلمة** الله . حسب اعتقادكم . فإنه لم يُجعل لكي يوجد، بل قد جُعِل ليكون أداة لأجل وجودنا حتى أننا لم نتكوّن منه بل هو الذي قد تكوّن لأجل وجودنا. أليس الذين يفكرون بهذه الأفكار يفوقون كل جنون وحماسة؟ لأنه لو أن **الكلمة** قد صار من أجل وجودنا فلا يكون سابق علينا سوى الله، لأن الله (في هذه الحالة) لم يخطط بخصوص وجودنا و**الكلمة** كائن في داخله، ولكنه خطّط لأجل وجود **كلمته** . كما يقولون . ونحن في داخله. فلو كان الأمر كذلك، فلربما لم يكن الأب يريد الابن على وجه الاطلاق، لأنه خلقه . حسب قولكم . لا لأنه كان يريد بل لأنه كان يريدنا نحن، فقد خلقه من أجلنا، لأنه خطط لوجوده بعد أن خطط لوجودنا معاً.

لذا فإنه حسب أفكار الكافرين يكون الابن الذي خُلِق لكي يكون أداة لا لزوم له. لأن الذين كان ينبغي أن يخلقهم كانوا موجودين بالفعل، فإن كان الابن وحده قد صار من الله مباشرة بسبب قدرته على احتمال ذلك، أما نحن فقد صرنا من **الكلمة** بسبب عدم قدرتنا، فلماذا لا يخطط الله بخصوص وجوده أولاً . وهو القادر (أي الابن) على احتمال ذلك، بل يخطط بخصوصنا؟ ولماذا لا يفضل القادر على غير القادرين؟ ولماذا حيث إنه قد صنعه أولاً، لا يخطط بخصوصه أولاً؟ أما إن كان يخطط بخصوصنا أولاً، فلماذا لا يصنعنا نحن أولاً؟، مادامت مشيئته كفيّلة بتكوين الكل؟ بل يخلق ذاك أولاً ومع ذلك فهو يُخطط أولاً بخصوص وجودنا، ويريدنا أولاً قبل الوسيط. وحينما يريد أن يخلقنا ويخطط بخصوصنا فإنه يسمينا مخلوقات. أما

هذا الذى يخلقه من أجلنا فيسميه ابنًا ووارثًا ذاتيًا؟ فكان ينبغي بالأحرى أننا نحن الذين من أجلنا قد صنعه، أن يسمينا أبناء. ولكن بلا شك فلأنه هو ابنه فإنه يفكر فيه أولاً ويريده وهو الذى به صنعنا جميعًا. هذه هى إفرزات الهراطقة وتقبؤاتهم.

الفصل الثامن عشر

مقدمة لشرح : أمثال 8 : 22 ” الرب قناني أول طريقه ” تابع : أن الابن ليس مخلوقاً

31 . لا يجب الصمت عن مبدأ الحق بل في الواقع ينبغي النطق به بصوت عالي. لأن كلمة الله لم يصر من أجلنا بل بالحرى نحن قد صرنا من أجله. وبه خلقت الأشياء¹. وليس بسبب ضعفنا نحن كان هو قوياً وصائراً من الأب وحده، لكي يخلقنا بواسطته كأداة! حاشا! فالأمر ليس كذلك. لأنه حتى لو لم يستحسن الله أن يخلق المخلوقات، فالكلمة مع ذلك كان عند الله وكان الله فيه. وكان في نفس الوقت من المستحيل أن تكون المخلوقات بغير الكلمة لأنها قد صارت به . وهذا هو الصواب. وحيث إن الابن هو الكلمة الذي له جوهر الله بالطبيعة، وهو منه وهو فيه كما يقول هو نفسه، لذلك لم يكن ممكناً أن تصير المخلوقات إلا به. لأنه مثلما ينيّر النور كل شئ بأشعته وبدون إشعاعه ما كان شئ قد أضاء، هكذا أيضاً فإن الله قد خلق كل شئ بالكلمة كما بواسطة يد، وبدونه لم يخلق شيئاً.

فعلى سبيل المثال كما ذكر موسى " قال الله ليكن نور"²، و" لتتجمع المياه"³، و" لتتبت الأرض"⁴، و" لنصنع الانسان"⁵. وترنم

¹كو 1: 16

²تك 1: 3

³تك 1: 9

أيضًا داود القديس " هو قال فصارت هو أمر فُخِّلت "6. أما أنه "قال" فليس كما يحدث في حالة البشر عندما يتكلم المرء يستمع خادم ما وبمجرد علمه برغبة المتكلم يسارع إلى التنفيذ والعمل، لأن هذا يختص بالمخلوقات. أما بالنسبة للكلمة فلا يليق أن يفكر أحد هكذا عنه. لأن كلمة الله خالق وصانع وهو نفسه مشيئة الأب. من أجل هذا لم يقل الكتاب الإلهي بأن المستمع سمع وأجاب فيما يخص الكيفية التي يريد أن تكون عليها المخلوقات، بل قال الله "ليكن" ثم أضاف " وكان هكذا"7.

لأن ما رآه الله حسنًا وأرادَه، فعله الكلمة وأتمه في الحال. أما عندما أمر الله آخرين سواء ملائكة أو عندما كلّم موسى، أو عندما أمر إبراهيم، عندئذ فإن الذي استمع أجاب. فقال الواحد "كيف سأعرف"8. وقال الآخر: " أقم آخر "9 وأيضًا " عندما يسألوننى ما اسمه فماذا سأقول لهم"10. وقال الملاك لزكريا " هكذا يقول الرب"11. وسأل الملاك الرب " يارب يا ضابط الكل إلى متى لا ترحم أورشليم"12، وكان ينتظر

4 تك 1: 11

5 تك 1: 26

6 مز 23: 9

7 تك 1: 3، 6، 11، 15

8 تك 15: 8

9 خر 4: 13

10 خر 3: 13

11 زك 1: 17

12 زك 1: 12

أن يسمع " كلمات طيبة ومعزّية"¹³. لأن كل واحد من هؤلاء يوجد عنده الكلمة الوسيط¹⁴ وحكمة الله العارف بمشيئة الآب. ولكن عندما يعمل الابن ويخلق لن يكون هناك سؤال وجواب . لأن الآب موجودًا في الكلمة والكلمة في الآب . بل تكفى المشيئة فيصير العمل. ولفظة " قال" هذه كُتبت من أجلنا لكي نعرف مشيئته. ومن ناحية أخرى فعبارة " كان هكذا" تشير إلى العمل الذي تم بواسطة الكلمة والحكمة، الذي توجد فيه أيضًا مشيئة الآب. ونفس التعبير " قال الله" يشير إلى الكلمة لأنه يقول " صنعت كل الأشياء بالحكمة"¹⁵ و" **اعذب الرب تُبّتت السموات**"¹⁶. و" رب واحد يسوع المسيح الذي صارت به جميع الأشياء ونحن به"¹⁷.

32. من هذا ندرك أن الأريوسيين لا يحاربوننا من أجل هرطقتهم، بل يستعرضون أنفسهم أمامنا وهم يحاربون الألوهية ذاتها. لأنه إن كان الصوت القائل " هذا هو ابني"¹⁸ هو صوتنا لكان اللوم الذي يستحقونه منا قليل. ولكن إن كان الصوت هو صوت الآب والتلاميذ

¹³ زك 1: 13

¹⁴ يقصد القديس أنثاسيوس بتعبير "الوسيط" أن كلمة الله قبل تجسده كان هو الذي يعلن مشيئة الله للملائكة والأنبياء كما هو وارد في هذه الفقرة.

¹⁵ مز 104: 24

¹⁶ مز 63: 6

¹⁷ 1كو 8: 6

¹⁸ مت 17: 5

سمعوه، والابن نفسه أيضًا يقول عن ذاته " قبل كل الجبال ولدني" ¹⁹،
ألا يكونون بهذا يحاربون الله مثل العمالقة الأسطوريين ولسانهم نحو
عدم التقوى " سيف ماض" كما يقول المرئم لأنهم لم يخافوا صوت
الآب، ولم يحترموا كلمات المخلص، ولم يطيعوا القديسين، حيث كتب
أحدهم " الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره" ²⁰. و " المسيح قوة الله
وحكمة الله" ²¹، وترنم آخر " لأن عندك ينبوع الحياة، وبنورك نرى
نورًا" ²²، و " كلها بحكمة صُنعت" ²³. ويقول الأنبياء: " كلمة الرب
صارت إلى" ²⁴. ويقول يوحنا " فى البدء كان ~~الله~~ ²⁵، ويقول لوقا
" مثلما سلمها إلينا الذين صاروا منذ البدء معانيين وخدامًا للكلمة" ²⁶.
كما يقول داود أيضًا " أرسل كلمته فشفاهم" ²⁷. وكل هذه الأقوال تفضح
الهرطقة الأريوسية فى كل مكان، بل توضح أيضًا أزلية الكلمة، وأنه
من جوهر الآب وليس غريبًا عنه. لأنه متى رأى أحدهم نورًا بغير
إشعاع؟ أو من يجرؤ أن يقول إن " رسم الجوهر شىء آخر غير
الجوهر"؟ وألا يكون قد أصيب بالجنون بدرجة كبيرة ذلك الذى يفكر

¹⁹ أم 8: 25

²⁰ عب 1: 3

²¹ 1كو 1: 24

²² مز 36: 9

²³ مز 104: 24

²⁴ أر 1: 4

²⁵ يو 1: 1

²⁶ لو 1: 2

²⁷ مز 107: 20

أيضًا أن الله في وقت ما كان بلا كلمة وبلا حكمة؟.

لأن الكتاب وضع مثل هذه الأمثلة، ومثل هذه الصور . نظرًا لعجز الطبيعة البشرية عن إدراك الله . وذلك لكي يمكننا بقدر المستطاع أن نكون فكرة ولو طفيفة وباهتة. كما أن الخليفة فيها أمثلة كافية لمعرفة وجود الله وعنايته، " لأنه بقدر عظمة وجمال المخلوقات، هكذا يرى خالقها بطريق المقايسة"²⁸. ونحن نتعلم من المخلوقات دون أن نطلب منها أن تتطرق، بل إذ نسمع الكتب المقدسة فإننا نؤمن، وبرؤيتنا لنظام جميع الأشياء وانسجامها فإننا نعرف أنه هو خالق جميع الكائنات وربها وإلهها. وندرك عنايته المذهلة وسيادته على الكل. وهكذا نفس الحال بالنسبة لألوهية الابن، فإن ما سبق ذكره من أقوال يكفي كشاهد على ألوهيته. فيكون من نافلة القول أو بالأحرى من الجنون أن يشك أحد، ويسأل بطريقة هرطوقية: كيف يمكن أن يكون الابن أزليًا؟ أو كيف يمكن أن يكون من جوهر الآب وليس جزءً منه؟ لأن ما ينتج من شيء يعتبر جزء منه، وما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً²⁹.

33. هذه هي أفكار الهراطقة الشريرة ومغالطاتهم. وبالرغم من أننا سبق أن توصلنا إلى دحض ما في تعاليمهم من هراء، فإن المعنى الدقيق للآيات والأمثلة التي وضعها الكتاب هي نفسها تدحض مجمل عقيدتهم النكراء. لأننا نرى أن الكلمة موجود دائمًا، ووجوده هو من الآب ومن

²⁸ حكمة 13: 5

²⁹ ولهذا يُقال إن جوهر الله مثلث الأقانيم هو جوهر بسيط غير مركب لأن التركيب هو بداية التقسيم وأقانيم الثالوث هي أقانيم كاملة لأن ما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً.

جوهره وليس عنده سابق ولاحق. ونرى أيضًا أن الإشعاع هو من الشمس وهو خاص بها، وأن جوهرها لا يتجزأ ولا ينتقص، بل هو كامل. والإشعاع بالغ حد التمام والكمال بغير أن ينتقص جوهر النور، بل أنه مولود حقيقي منه. وبالمثل نرى أن الابن ليس من خارج الآب، بل هو مولود منه وأن الآب يبقى كاملاً و"رسم جوهره"³⁰، كائن دائماً ومحتفظاً بمماثلة الآب ومطابقة صورته حتى أن من يراه يرى فيه الجوهر الذي هو رسم له. ومن فاعلية الرسم ندرك ألوهية الجوهر الحقيقية. لأن هذا هو ما علم به المخلص نفسه عندما قال: "الآب الحال فيّ هو يعمل الأعمال التي أعملها"³¹، و"أنا والآب واحد"³²، و"أنا في الآب والآب فيّ"³³.

لذلك فلندع الهرطقة المحاربة للمسيح تحاول أولاً أن تفصل بين مكونات الأمثلة الموجودة في المخلوقات، وتقول إن الشمس كانت يوماً بدون إشعاع، أو أن هذا الإشعاع ليس من ذات جوهر النور، أو أنه من ذاته ولكنه . بمنطق التجزئة . يعتبر جزءً من النور. ودع الهرطقة أيضاً تفصل الكلمة وتقول إنه غريب عن العقل، أو أنه كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً، أو أنه ليس من جوهر الذاتى، أو أنه جزء من العقل قابل للتجزئة. أما بالنسبة إلى "الرسم" و"النور" و"القوة" فدع الهرطقة هكذا تفصلها كما فعلت بالنسبة للكلمة و"الإشعاع" وعندئذ

³⁰ أى من الابن انظر عب: 1: 3.

³¹ يو: 14: 10، 12.

³² يو: 10: 30.

³³ يو: 14: 10.

فلتخيل بخصوصها كما تشاء. فإن كان مثل هذا التهور مستحيلاً عليهم فكيف لا يكون من الجنون المطبق أن يقحموا أنفسهم عبثاً فيما هو أسمى من الأشياء المخلوقة وأعلى من طبيعتها، وهم بذلك يحاولون المستحيل؟

34. لأنه إن كانت الأشياء المخلوقة والجسدية لها مواليد دون أن تكون أجزاء من الجواهر التي ولدت منها دون أن تتغير طبيعتها ولا تنتقص من جواهر والديها، فكيف لا يكونون قد أصيبوا بالجنون وهم يتصورون وجود التجزئة والتغيير في إله حقيقي غير جسد ناسبين الإنقسام إلى إله غير منحول وغير متغير لكي يبلبوا مسامع البسطاء ويضلوهم عن الحق؟

لأن من ذا الذي يسمع كلمة ابن ولا يتبادر إلى ذهنه أنه من ذات جوهر الآب؟ ومن . عندما سمع أثناء تعلمه أصول الإيمان في المرحلة الأولى أن الله له ابن وأنه قد صنع كل الأشياء بواسطة كلمته الذاتية . لم يدرك هذا الأمر بنفس الطريقة التي نفهم بها نحن الآن . ومن . عند ظهور هرطقة الأريوسيين الشائنة . لم يندهش حالما سمع ذلك الكلام الذي يقولونه، حيث إنهم يرددون كلاماً مخالفاً للحق وينفثون تعاليمًا مغايرة لتلك التعاليم التي سبق بذرها منذ البداية؟ لأن ما بُدّر منذ البداية في كل نفس هو أن الله له ابن وهو الكلمة، والحكمة، والقوة، وهو صورته وبهاؤه، وتبعًا لهذا فهو كائن دائمًا، وأنه هو من الآب وأنه المماثل، وأنه له أزلية الولادة من الجوهر، ولا توجد هنا أية فكرة عن

كونه مخلوقًا أو مصنوعًا. ولكن " الانسان العدو بينما الناس نيام"³⁴، زرع زوان تقول إن الابن "مخلوق"، وأنه " كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا"، وأنه " كيف يمكن أن يكون؟". وعندئذ انتشرت هرطقة أعداء المسيح الأثيمة حالاً كالزوان وهي خالية من كل فكر قويم، وصاروا يطوفون مثل لصوص ويتجاسرون ويقولوا: " كيف يمكن أن يكون الابن كائنا مع الآب على الدوام؟" لأن الناس يصبحون أبناء من الناس بعد مضي فترة من الزمن، وإذ يبلغ الأب ثلاثين عامًا يبدأ الابن عندئذ ميلاده. وعلى العموم كل ابن انسان لم يكن له وجود قبل أن يولد. ومرة يهيمسون: " كيف يمكن أن يكون الابن كلمة، أو أن يكون ~~كلمة~~ صورة /الله؟ لأن كلمة الناس تتكون من مقاطع وتدل فقط على مشيئة المتكلم، ثم تتوقف وتتلاشى في الحال؟".

35 . إن أولئك إذن . كما لو كانوا قد نسوا البراهين التي سبق أن قيلت ضدهم . يورطون أنفسهم أيضًا في أمور الكفر وعدم الإيمان شاغلين عقولهم بمثل هذه الأفكار . ولكن كلمة الحق تدحضهم هكذا: إن كانوا يجادلون بخصوص انسان ما، فدعهم يفكرون بطريقة بشرية بخصوص كلمة هذا الانسان وبخصوص ابنه. أما إذا كانوا يفكرون بخصوص الله خالق البشر فدعهم لا يتفكرون بعد في هذا الأمر بطريقة بشرية، بل بطبيعة أخرى أعلى من طبيعة البشر . لأنه مثلما يكون الذي يلد، هكذا يكون بالضرورة المولود منه أيضًا . ومثلما يكون "أب الكلمة" هكذا يكون أيضًا كلمته. وعلى هذا فيما أن الانسان يولد في وقت ما . وحيث إن

الإنسان قد وُجد من العدم، لذلك فإن كلمته تتوقف ولا تبقى. أما الله فهو ليس كالإنسان لأن هذا ما قاله الكتاب³⁵. لكنه "هو كائن"³⁶. وهو الموجود دائماً، ولهذا فإن كلمته أيضاً كائن وأزلى مع الأب مثل إشعاع النور.

وكلمة البشر تتكون من مقاطع وهى لا تحيا ولا تعمل شيئاً، بل تعبر فقط عن قصد المتكلم. وبمجرد أن تخرج من الفم تضيع ولا تظهر بعد حيث إنها لم تكن موجودة إطلاقاً قبل أن ينطق بها، ولذلك فهى لا تحيا ولا تعمل شيئاً. وهى ليست انساناً إطلاقاً. بل يحدث لها هذا. كما سبق أن قلت. لأن الانسان الذى ولدها طبيعته نفسها من العدم. أما كلمة الله فهو ليس مجرد كلمة منطوقة مثلما قد يقول أحد، ولا هو همس كلمات. وليس "الابن" هو أمر صادر من الله، بل هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل. ولهذا فهو الله كما أنه صورة الله. لأنه مكتوب "وكان الكلمة الله"³⁷. فى حين أن كلام البشر لا يستطيع أن يعمل شيئاً، ولهذا فإن الانسان لا يعمل بواسطة الكلمات، بل بيديه. لأن يديه لهما وجود أما كلمته ليس لها وجود فعّال. لكن كلمة الله يقول الرسول: "كلام الله حتى وفعّال وأمضى من كل سيف ندى حدين وخارق إلى مفرق الروح والنفس والمفاصل والمخاخ ومميز لأفكار القلب ونياته. ولا توجد خليفة غير ظاهرة أمامه، بل كل شيء مكشوف وعريان لعينى

³⁵ انظر يهوديت 8: 16

³⁶ انظر خر 3: 14

³⁷ يو 1: 1

ذاك الذى نقدم له الحساب"³⁸. فهو إذن خالق " ويغيره لم يكن شىء واحد"³⁹، ولا يمكن أن شىء يكون بدونه.

36. فلا ينبغى إذن أن يتسائل أحد: لماذا لا يكون كلمة الله مثل كلمتنا نحن؟... لأن الله ليس مثلنا كما سبق القول. بل لا يجب التساؤل: كيف يكون الكلمة من الله؟ أو كيف يكون هو إشعاع الله؟، أو كيف يلد الله؟، وما هى طريقة ولادته؟ فإن من يجرؤ على مثل هذه الأقوال يكون مجنوناً. لأن هذا أمر لا يُنطق به، وهو خاص بطبيعة الله، ومعروف له ولابنه فقط لأن من يسأل هكذا يطلب تفسيراً بالكلام. لأنه يشبهه من يسأل " أين الله؟" وكيف يكون الله؟، وما هو نوع طبيعة الآب؟ وكما أن مثل هذه الأسئلة تدل على عدم تقوى، وعلى جهل بالله، هكذا فإنه ليس من اللائق التجاسر بمثل هذه الأقوال عن ميلاد ابن الله، ولا أن يُقاس الله ورحمته بطبيعتنا وعجزنا.

ولا يحق لأحد أن ينحرف بفكرة بعيداً عن الحق. وإن كان أحد يرتبك وهو يفتش ويبحث فى هذه الأمور، فلا يجب أن ينكر المكتوب. لأنه من الأفضل فى حالة الارتباك أن نصمت ونؤمن، بدلاً من ألا نؤمن بسبب هذه الحيرة. ذلك لأن الذى يتحير يستطيع بطريقة ما أن يجد غفراناً طالما أنه قد هدأ كلياً بعد أن تساعل. أما ذلك الذى . بسبب حيرته . يفكر فى نفسه تلك الأفكار غير الملائمة، ويتكلم عن الله بأمر لا تليق به، فإن إدانته تكون بغير مغفرة بسبب تطاوله.

³⁸ عب 1: 12، 13

³⁹ يو 1: 3

لأنه في مثل هذه الارتباكات يمكن للشخص أن يجد بعض الراحة بواسطة الكتب الإلهية حتى أنه من ناحية يمكنه أن يستوعب تلك الأقوال المكتوبة استيعابًا صحيحًا، ومن ناحية أخرى يمكنه أن يتخذ من طريقة الكلام مثالاً له لأنه كما أن ما نقوله هو قولنا ونابع منا وليس عملاً ناتجاً من خارجنا. هكذا بالمثل أيضًا كلمة الله هو من ذات الله ونابع منه، وليس مصنوعًا، ومع ذلك فهو ليس مثل كلمة البشر، حيث إنه في مثل هذه الحالة سنضطر أن نفهم الله كإنسان.

لاحظ إذن أن كلام الناس كثير ومختلف ويزول كل يوم بسبب أن الكلام السابق لغيره لا يبقى بل يتلاشى. وهذا يحدث لأن الناطقين بهذا الكلام وأعمالهم زائلة، وأفكارهم تتلاحق وتتابع، وهم ينطقون الكلام وفقًا للأفكار التي يتفكرون بها ويتدارسونها أولاً بأول إلى أن يكون لديهم كلمات كثيرة، ولكن بعد هذه الكلمات الكثيرة لا يتبقى منها شيء إطلاقًا، لأنه بمجرد أن يكف المتكلم عن الكلام فسرعان ما يتلاشى. أما كلمة الله فهو واحد، وهو هو نفسه، كما هو مكتوب " **كَلِمَةٌ** الله تثبت إلى الأبد"⁴⁰. دون أن يتغير، وليس هو سابقًا أو لاحقًا لغيره، بل يبقى كما هو على الدوام. لأنه من المناسب، بما أن الله واحد فصورته أيضًا تكون واحدة، وكلمته أيضًا واحد، وكذلك أيضًا حكمته واحدة.

37. ولهذا اتعجب أنه طالما أن الله واحد، فكيف يُدخِل هؤلاء صورًا، وحكمات، وكلمات متعددة بحسب بدعهم واختراعاتهم، ويصرون على

أن كلمة الآب الذاتى بالطبيعة هو غير الابن، وأنه بالكلمة قد صنع الابن أيضًا. أما من هو ابن بالحقيقة فيقولون عنه أنه كلمة بالاسم فقط، مثلما قيل لأنه كرمة، وطريق، وباب، وشجرة حياة. ويتشددون أيضًا أنه يلقب بالحكمة بالاسم فقط، وأن حكمة الآب هو حقيقة ذاتية أخرى مصاحبة له فى الوجود بغير ولادة. والذى عن طريقه صنع الابن ودعا حكمة أيضًا بحسب مشاركته فى الحكمة. وهم لا يقتصرون فى هذا على كلمات فقط، بل نجد أن أريوس صنف شعرًا فى كتابه " ثاليا"، واستريوس السفسطائى⁴¹ كتب ما سبق أن قلناه هكذا: [لم يقل بولس المبارك أنه كرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، بل " قوة الله وحكمة الله"، بدون أداة تعريف، وكرز أن قوة الله الذاتية شىء آخر، وهى قوة الطبيعة الموجودة معه بغير ولادة، وأنها هى التى وُلدت المسيح وخلقت العالم كله. وبخصوصها يعلم فى رسالته إلى أهل رومية ويقول: " لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته "... وكما أنه لا يستطيع أحد أن يقول أن الألوهية المشار إليها هنا هى المسيح، بل هى ذات الآب، كذلك أظن أن قوته السرمدية وألوهيته ليست هى الابن الوحيد الجنس، بل الآب الذى ولده]. ويعلم أنه توجد قوة أخرى وحكمة أخرى لله، وأنها هى التى تتضح من خلال المسيح. وبعد قليل يعلم استريوس نفسه: [إن قوته السرمدية وحكمته التى تعبر عنها التأملات الحقيقية أنها بلا بداية، وانها غير مولودة هى حتمًا واحدة بذاتها. لأنه توجد قوات كثيرة قد

⁴¹ استريوس: ويسمى أيضًا استريوس الكبادوكى (ق43م) كان هرطوقيًا تلميذًا مثل أريوس للوكيانوس مؤسس مدرسة إنطاكية ومن أوائل من كتب ضد تعاليم القديس أنثاسيوس ودفاعه عن ألوهية الابن.

خُلِقَتْ واحدة فواحدة بواسطة الله، والتي من بينها المسيح هو البكر والوحيد الجنس، وجميعها . بطريقة مماثلة . تعتمد على من يمتلكها. فجميعها تدعى بحق قوائمه المخلوقة التي يستخدمها، كما يقول النبي أن الجراد الذي أُرسِل من الله بسبب الخطايا البشرية قد سماه الله ليس قوة، بل " قوة عظيمة"⁴². والمطوّب داود في كثير من مزاميره بحث ليس الملائكة فقط، بل القوات لتسبح الله [43].

38. والآن ألا يكونون مستحقين لكل مقت لمجرد قولهم هذا؟ لأنه إن كان هو . بحسب ما يعتقدون . ليس ابناً بسبب ولادته من الأب ومن ذات جوهره، بل يسمى كلمة بسبب الأشياء المدركة، ويسمى حكمة بسبب الأشياء التي نالت حكمة، ويسمى قوة بسبب الأشياء التي اكتسبت قوة، فإنه بالتالي ينبغي أن يسمى ابناً بسبب أولئك الذين نالوا البنوة. وربما حتى وجوده يكون بسبب الأشياء التي لها وجود، وذلك بحسب بدعتهم.

إذن، فمن يكون هو هذا؟ لأنه لن يكون هو واحداً من هذه الأشياء، حتى لو كانت هذه الأشياء هي أسماء له فقط، وكان له وجود خيالي فحسب، وكانت هذه الاسماء قد أُضيفت عليه بواسطةنا. بل بالحرى فإن هذا يعتبر حماقة شيطانية قصوى، وربما أكثر من ذلك، لأنه يريدون أن يكونوا هم أنفسهم موجودين حتماً بينما يظنون أن كلمة الله هو موجود بالاسم فقط. فكيف لا تكون أقوالهم هذه عبارات متناقضة إذ يقولون إن

⁴² انظر يوثيل 2: 25

⁴³ انظر مز 103: 21

الحكمة موجودة مع الآب، ولكنهم يرفضون أن يكون هذه الحكمة هي المسيح؟ ويقولون إنه توجد قوات خالقة وحكمات كثيرة، وأن الرب هو واحد من بين هذه، وهم يقارنونه " بالدودة"، و"الجرادة"⁴⁴؟ وأيضًا أليسوا خبثاء إذ أنهم حينما يسمعون منا أن **الكلمة** موجود مع الآب، فإنهم يتنمرون محتجين ويقولون " أستم بذلك تتحدثون عن اثنين غير مخلوقين؟ " وهم أنفسهم عندما يتحدثون عن "حكمته غير المخلوقة " لا يرون أن الأتهام الباطل الذي يوجهونه ضدنا إنما يتجه ضدهم؟.

فكيف إذن، لا تكون بدعتهم هذه حماقة بالغة أيضًا، وهي التي بمقتضاها يقولون أن " الحكمة غير المخلوقة " الموجودة مع الله هي الله نفسه؟ فإن الذى يشترك فى الوجود، لا يشترك فى الوجود مع نفسه، بل مع شخص ما، مثلما يقول البشيريون عن الرب أنه كان موجودًا مع التلاميذ، بمعنى أنه لم يكن موجودًا مع نفسه، بل مع التلاميذ، إلا إذا كانوا يقولون أن الله مركب، أى لديه حكمة مختلطة، أو متممة لجوهره، وهى أيضًا غير مخلوقة مثله وهؤلاء الهراطقة يقدمونها على أنها بديل لخالق الكون، وذلك لكى "يسقطوا عن الابن خاصية الخلق. لأنهم يتلاعبون بكل الأمور لكى لا يفكروا عن الرب باستقامة.

39 . فأين وجدوا فى الكتاب الإلهى إطلاقًا، أو ممن سمعوا أنه يوجد كلمة آخر غير الابن نفسه، لكى يشكّلوا مثل هذه الأقوال فى مخيلتهم؟ لأنه مكتوب " أليس كلمتى كنار، وكمطرقة تحطم الصخر"⁴⁵. وجاء فى

⁴⁴ راجع فصل 37.

⁴⁵ أر 23: 29

سفر الأمثال " سأَعلِّمكم كلماتي"⁴⁶. فإن هذه وصايا وأوامر قد تكلم بها الله للقديسين عن طريق كلمته الذاتى، الوحيد، الحق، والتي بخصوصها يقول المرنم " منعت قدمي عن كل طريق شر لكى أحفظ كلامك"⁴⁷. وقد أوضح المخلص أن هذه "الكلمات" هي شيء آخر غيره هو ذاته، وذلك حينما يقول بنفسه " الكلام الذى أنا كلمتكم به"⁴⁸. فليست إذن مثل هذه "الكلمات" مواليد أو أبناء، ولا توجد كلمات خالقة بمثل هذا العدد، ولا صور للإله الواحد بمثل هذا العدد. وليس كثيرون صاروا بشرًا من أجلنا، وليس من بين العدد الكثير واحد صار جسدًا بحسب يوحنا، بل إن يوحنا بشر به **ككلمة** الله الوحيد قائلاً: " الكلمة صار جسدًا" و" كل شيء به كان"⁴⁹.

لهذا فإن شهادة الآب التى تؤكد أن الابن الوحيد، وشهادة القديسين الذين فهموا هذا ويقولون أن **الكلمة** واحد ووحيد الجنس، هذه الكلمات تشير إلى ربنا يسوع المسيح بمفرده وإلى وحدته مع الآب، وأن الأعمال التى قد صارت به إنما تشهد بنفس الأمور لأن " كل الأشياء " المنظورة وغير المنظورة " به كانت وبغيره لم يكن شيء مما كان"⁵⁰.
إنهم لا يفكرون عن أى شخص أيًا كان، بل هم يصورون لأنفسهم

⁴⁶ أم 1: 23

⁴⁷ مز 119: 101

⁴⁸ يو 6: 63

⁴⁹ يو 1: 4، يو 1: 3

⁵⁰ يو 1: 3

كلمات وحكمات لم يشر الكتاب لا إلى اسمها ولا إلى عملها، بل هم وحدهم الذين يطلقون عليها هذه الاسماء. ويخترعون أفكارًا وظنونًا معادية للمسيح ويسيتئون استخدام اسم " الكلمة " و " الحكمة". وإذا يصورون لأنفسهم أفكارًا أخرى ينكرون كلمة الله الحقيقي وحكمة الآب الحقيقية الفريدة. وهكذا فإن هؤلاء التعساء يسيرون في إثر خطوات المانويين⁵¹، ذلك لأنهم وإن كانوا يرون أعمال الله فإنهم ينكرون الإله الكائن الوحيد والحقيقي، ويصوّرون لأنفسهم إلهًا آخر لا يستطيعون إثباته بأى عمل ولا بأية شهادة من الأقوال الإلهية.

الحكمة وطبيعتها، أما الأشياء الحكيمة والحسنة فهي كثيرة [وبعد قليل يقول أيضًا] من هم أولئك الذين يستحقون أن يلقبهم هؤلاء بلقب أبناء الله فهم طبعًا لا يقولون عنهم أنهم كلمات لا أنه توجد حكومات أكثر، فإن هذا غير ممكن إذ أن الكلمة واحد. وقد ثبت أن الحكمة واحدة، ولا يمكن أن يوزع "جوهر الكلمة" على عدد كثير من الابناء ولا أن يعطى لهم لقب الحكمة].

إذن فليس من المستغرب أبدًا أنه عندما يحارب الآريوسيون ضد الحق فإنهم يصطدمون ببعضهم بعضًا، إذ تتعارض أفكارهم فيما بينها. فأحيانًا يقولون أن الحكومات كثيرة، وأحيانًا أخرى يقولون أن الحكمة واحدة وأحيانًا يوحدون بين الحكمة والجرادة، وأحيانًا أخرى أنها غير موجودة مع الآب وأنها من ذاته. وأحيانًا أخرى أن الآب واحد غير مخلوق. ومرة أخرى يقولون إن حكمته وقوته غير مخلوقتين، وهم يحاربوننا لأننا نقول إن كلمة الله كائن دائمًا، بينما هم أنفسهم يقولون إن الحكمة كائنة مع الله أزليًا، ويتناسون أقوالهم نفسها. وهكذا يعانون من الدوار في الأمور ذلك لأنهم اخترعوا ما لا وجود له وأنكروا الحكمة الحقيقية، مثلما فعل المانويون الذين ابتدعوا لأنفسهم إلهاً آخر وأنكروا الله الكائن حقيقة.

وهو الابن الوحيد والذاتي الحقيقي الذى هو من جوهره، وله وحدة الألوهية مع أبيه بلا انفصال كما قلنا مرارًا وتكرارًا. لأننا تعلمنا هذا من المختص نفسه. ولو لم يكن الأمر كذلك فلماذا يخلق الآب بواسطته ويعلم نفسه بواسطته للذين يريدهم والذين ينير عليهم؟ أو لماذا يسمى باسم الابن مع الآب عند اتمام المعمودية؟⁵⁵ فإن قالوا أن الآب غير كاف بذاته فيكون هذا التعبير كفرًا، أما إن كان كافيًا بذاته (لأنه من الصواب قول هذا) فما هو الاحتياج للابن لخلق العالم أو لإتمام المعمودية المقدسة؟ لأنه أية مشاركة هناك بين المخلوق والخالق؟ ولماذا يحسب المخلوق مع الخالق عند إنجاز كل الأشياء؟ أو لماذا تقولون أن الإيمان بالخالق واحد وبمخلوق واحد هو إيمان مسلم لنا؟ لأنه إن كان الأمر هكذا لكى نتحد نحن بالألوهية فما الحاجة إلى المخلوق؟ أما إن كان هذا بغرض أن نتحد مع الابن . وهو مخلوق حسب قولكم، يكون من غير اللازم . وفقًا لمعتقداتكم . ذكر اسم الابن عند إتمام المعمودية، لأن الله الذى تبناه وجعله ابنًا قادرًا أن يتبنانا ويجعلنا أبناء . ومن جهة أخرى فإن كان الابن مخلوقًا . ولأن طبيعة المخلوقات العاقلة هى واحدة . فليس باستطاعة مخلوق أن يقدم معونة لمخلوق آخر، حيث إن الجميع محتاجون لنعمة الله.

لقد تكلمنا فيما سبق عن الآية: " كل شيء به كان ". وحيث إن سياق الحديث قد جعلنا نتحدث عن المعمودية المقدسة، فمن الضروري أن نقول . كما أعتمد وأؤمن . إن اسم الابن يسمى مع الآب ليس ببساطة ولا مصادفة. وذلك ليس لأن الآب غير كاف بذاته، بل حيث

⁵⁵ انظر مت 19:28.

إن الابن هو كلمة الآب وحكمته فإنه موجود دائماً مع الآب، لأنه هو
 بهأوه. لهذا فمن المستحيل عندما يعطى الآب نعمة ألا يعطيها بالابن،
 لأن الابن موجود فى الآب مثلما يوجد الشعاع فى الضوء. وذلك ليس
 لأن الله معوذ أو ضعيف، بل كأب " قد أسس الأرض بحكمته"⁵⁶،
 وصنع كل الأشياء بالكلمة المولود منه، ويختم على المعمودية المقدسة
 بالابن. وحيث يكون الآب هناك يكون الابن أيضاً، كما أنه حيث يكون
 النور هناك أيضاً يكون الشعاع. وأى عمل يعمله الآب فإنه يعمله
 بالابن، ويقول الرب نفسه " ما أرى الآب يصنعه أصنعه أنا ايضاً"⁵⁷.
 وهكذا أيضاً عندما تُعطى المعمودية فإن من يعمده الآب يعمده الابن
 أيضاً، ومن يعمده الابن فهذا يتم بالروح القدس.

وأيضاً عندما تنير الشمس قد يقول شخص أن الشعاع ينير، وذلك
 لأن النور واحد ولا يمكن أن يتجزأ ولا أن ينفصل الشعاع عنه. وهكذا
 أيضاً حيث يكون الآب أو يُسمى، وحيث إن الآب يسمى فى
 المعمودية، فبالضرورة أن يسمى الابن أيضاً معه.

معطاه من الآب بالابن كما يكتب بولس في كل رسالة " نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح"⁶⁰ . لأنه يلزم أن يكون النور مع الفجر وأن يُشاهد الشعاع في نفس الوقت مع نوره الخاص به. واليهود كذلك إذ أنكروا الابن فليس لهم الآب أيضاً، لأنهم تركوا " ينبوع الحكمة" كما قال باروخ⁶¹ موبخاً إياهم، وأبعدوا عن أنفسهم الحكمة النابعة من هذا الينبوع أى ربنا يسوع المسيح. لأن الرسول يقول: " المسيح قوة الله وحكمة الله"⁶² . أما هم فكانوا يقولون " ليس لنا إلا قيصر"⁶³ . وقد لقى اليهود ما يستحقونه من عقاب بسبب إنكارهم، فقد تلاشت مدينتهم وأفكارهم معها. أما هؤلاء الأريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السر وأعنى به المعمودية. لأنه إن كان إتمام السر يُعطى باسم الآب والابن وهم لا يقرون بأب حقيقى بسبب إنكارهم للابن الذى هو منه، الذى هو مثله فى الجوهر، منكرين الابن الحقيقى ويسمون لأنفسهم ابناً آخر، إذ أنهم يصيغونه فى مخيلتهم على أنه مخلوق من العدم، ألا يكون طقس المعمودية الذى يتمونه فارغاً تماماً وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجى، أما فى الحقيقة فإنه ليس له شىء يعين على التقوى؟ لأن الأريوسيين لا يعمدون باسم الآب والابن، بل باسم خالق ومخلوق، وباسم صانع ومصنوع. ومثلما يختلف المخلوق عن الابن، هكذا فإن تلك المعمودية التى يظنون أنهم تختلف

⁶⁰ روم 1: 7، 1كو 1: 3، أف 1: 2

⁶¹ انظر باروخ 3: 12

⁶² 1كو 1: 24

⁶³ يو 19: 15

عن الحقيقة رغم أنهم يتظاهرون بأنهم يسمون اسم الآب والابن بسبب كلمات الكتاب. فليس من يقول ببساطة "يارب" هو الذى يُعطى المعمودية، بل هو ذلك الذى مع الاسم الذى يدعوه، عنده أيضاً إيمان مستقيم. لهذا السبب فإن المخلص لم يأمر فقط بالعماد، بل قال أولاً " تلمذوا" ثم بعد ذلك قال " عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس"⁶⁴، لى يأتى الإيمان المستقيم من التعليم ومع الإيمان يأتى إتمام المعمودية.

هذه الهرطقات تكذب على الحق، وذلك إما أنها تخطئ بخصوص جسد الرب زاعمة أن الرب لم يتخذ جسده من مريم، أو أنه لم يحدث له موت إطلاقاً، ولم يصير انساناً قط، بل أنه ظهر فقط كإنسان ولكنه لم يكن انساناً حقيقياً، وظهر وكأن له جسداً دون أن يكون له جسد. وأنه ظهر كإنسان كما يبدو فى حلم⁶⁶. أما الآريوسيون فهم يكفرون بالآب ذاته لأنهم يجدفون على ألوهيته، رغم أنهم يسمعون الكتب تشهد لألوهية الآب فى الابن كصورة له، ويقولون إن هذه الألوهية مخلوقة. وهذا القول "إنه لم يكن كائناً"، ينقلونه معهم فى كل مكان مثل وحل فى حقيية، وينفتون هذا القول مثلما تنفت الحية سمها. ومن ثم إذن بما أن التعليم النابع منهم يثير الأشمئزاز والمقت، فإنهم فى الحال يصنعون حماية بشرية كدعامة لجيفة هرطقتهم، حتى أن الساذج عندما يراها أو يقبلها وهو خائف مرتعد فإنه لا يدرك الهلاك المميت لأقوالهم الفاحشة وضلالهم. فكيف لا يكون الذين ضلوا بواسطتهم مستحقين للشفقة والرثاء؟ وكيف لا يكون من الصواب نرف الدمع السخين على هؤلاء؟، لأنهم يخونون منفعتهم الذاتية فى سبيل خيال سريع للاستمتاع بملذات يفقدون بها رجاءهم الآتى؟ لأنهم لن يحصلوا على شئ مادام إيمانهم عند معموديتهم كان باسم غير الكائن⁶⁷. وإذا يربطون أنفسهم بالمخلوق فلن ينالوا من المخلوق أية معونة. وإذ يؤمنون بمن هو مختلف عن

⁶⁶ هذه هى تعاليم بدعة الخياليين: التى ظهرت فى القرن الأول الميلاد وانتشرت فى القرن الثانى الميلادى، والخياليون هم أول من علم تعاليمًا منحرفة ضد السيد المسيح، قائلين بأن جسده ليس جسداً حقيقياً من دم ولحم بل مجرد خيال. وقد كتب ضدهم القديس يوحنا رسائله (انظر 1يو:4، 2يو:7).
⁶⁷ أى الذى ليس هو كائناً أزيلاً مع الآب.

الآب وغريب عن جوهره، فإنهم لن يتحدوا مع الآب طالما ليس لهم الابن الذاتى النابع منه بالطبيعة، الذى هو فى الآب، والآب فيه كما قال هو نفسه⁶⁸. ولكن حيث إن التعساء خُدِعوا من هؤلاء فقد ظلوا هكذا مقفرين وعراة من اللاهوت. لأن الأمور الأرضية الوهمية لن تتبعهم عندما يموتون. لأنهم عندما يرون الرب الذى أنكروه، وهو جالس على عرش أبيه، ويدين الأحياء والأموات. فلن يتمكن أحد منهم أن يلتمس مساعدة أى واحد من أولئك الذى خدعهم. لأنهم سيبصرون هؤلاء أنفسهم أيضًا وهم يدانون، فيندمون على ما ارتكبوه من إثم وتجديف!

الفصل التاسع عشر

شرح نصوص : سادساً:
” الرب قناني (خلقني) أول طرقه لأجل
أعماله ”

أمثال 22:8

44 . لقد سبق أن عالجت النص الذي جاء في الأمثال داخضين خرافاتهم الملققة الخارجة من قلوبهم، لكي يعرفوا أنه من غير اللائق أن يقولوا إن ابن الله مخلوق، وأن يتعلموا أيضاً أن يقرأوا جيداً النص الذي جاء في سفر الأمثال والذي يحمل المعنى المستقيم. لأنه قد كُتِبَ ” الرب قناني (خلقني) أول طرقه لأجل أعماله”¹. وحيث إنها أمثال وكتبت على شكل مثل للتعبير، فليس من الواجب تفسير أية عبارة بطريقة ارتجالية أو ببساطة هكذا، بل يجب أن نتقصى أولاً عن الشخص ثم ننسب المعنى إليه بورع وتقوى. لأن كل ما يُقال بأمثال لا يُقال بطريقة واضحة، بل يُعلن بطريقة غامضة، مثلما علّم الرب نفسه في الإنجيل بحسب يوحنا قانلاً: ” قد كلمتكم بهذه الأشياء بأمثال، ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم فيما بعد بأمثال... بل علانية”². ولذلك ينبغي كشف معنى القول والتقصي عنه لكونه خفياً، وألاً يُفسر ببساطة كما لو كان قد قيل علانية، لكي لا نضل عن الحقيقة عندما نُسيء الفهم.

¹ أم 22: 8

² انظر يوحنا 16: 25

إذن، فإن كان المكتوب يشير إلى ملاك أو أى كائن آخر من المخلوقات، كما لو قيل عن أى واحد منا نحن المصنوعون. فإنه يمكن أن يُقال " *خُلِقنى (قناني)* "، ولكن إن كان الكلام عن حكمة الله الذى به قد خُلقت جميع المخلوقات، فما الذى يجب أن يفهمه الواحد منا سوى أنه عندما يُقال "خَلَقَ" فإنه لا يقصد شئاً آخر مُضاد للفظ "وَلَدَ". ولا يحسب الحكمة بين المخلوقات كأننا ننسى أنه هو الخالق والمصوّر أو ننكر الفرق بين الخالق والمخلوقات. ولكن الحكمة لها معنى آخر يبدو مخفياً فى الأمثال، وليس ظاهراً علانية، وهى التى أوحى إلى القديسين أن ينطقوا بالوحي الإلهى. بينما هى تُعطى فى الأمثال بعد قليل معنى موازياً لـ "قنى"، فنقول بألفاظ أخرى " *أن الحكمة بنت لنفسها بيتاً* " ³. وواضح أن بيت الحكمة هو جسدنا الذى عندما اتخذ *الكلمة* صار إنساناً. وقال عنه يوحنا بحق " *الله صار جسداً* " ⁴. وبواسطة سليمان تقول الحكمة عن ذاتها بإدراك وتبصّر: ليس إننى أنا مخلوق، بل قالت: " *الرب قناني أول طرقه من أجل أعماله* " دون أن نقول: " إنه قناني لكى أوجد، وليس لأن لى بداية وميلاد كالمخلوق".

45 . لأن *الكلمة* هنا لم يتحدث من خلال سليمان مشيراً إلى جوهر ألوهيته ولا إلى ميلاده الأزلى والحقيقى من الآب، ولكنه يشير إلى ناسوته وعمل تدبير خلاصنا. ولهذا . كما سبق أن قلت . فإنه لم يقل إنى "مخلوق" أو "صرت مخلوق"، بل قال فقط "قنى" أو "خلق"، بمعنى

³ أم 9:1.

⁴ يو 1:14.

أن الأشياء الصائرة حيث إنها ذات جوهر مخلوق، فإنها تنتمي إلى المخلوقات، ويُقال عنها إنها تُخلق، وبديهي فإن المخلوق يُخلق، ولكن اللفظة المذكورة "خلق" في الآية السابقة لا تعنى الجوهر أو الولادة إطلاقاً. بل توضح أن شيئاً آخر قد طرأ على ذلك الذى يشير إليه، فليس كل ما يُقال عنه إنه يخلق يكون مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر. والكتاب الإلهي يعرّف هذا الفرق عندما يتحدث عن المخلوقات قائلاً: "امتألت الأرض بخليقتك"⁵ و "الخليقة تنن وتتوجع معاً"⁶. ويقول في الرؤيا "ومات ثلث الخلائق الحية التي فى البحر التي لها نفوس"⁷. ويقول بولس أيضاً " كل خليقة الله جيدة، ولا يُرفض أى شئ عندما يُؤخذ مع الشكر"⁸، أما فى سفر الحكمة فقد كُتب " بحمتك صوّرت الإنسان كى يسود على الخلائق التي تكونت بك"⁹. ولأن هذه خلائق فإنه يقول إنها تُخلق. وهكذا أيضاً يمكننا أن نسمع الرب وهو يقول: " منذ البدء صنعتها ذكراً وأنثى"¹⁰. أما موسى فقد كتب فى أنشودته " فاسأل عن الأيام التي كانت قبلك من اليوم الذى خَلق الله فيه الإنسان على الأرض، ومن أقصاء السماء إلى أقصاها"¹¹. ويقول بولس فى رسالته إلى أهل كورنثوس: " الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل

⁵ مز 103:24 سبعينية.

⁶ رو 8:13.

⁷ رؤ 8:9.

⁸ 1 تي 4:4

⁹ حكمة سليمان 2:9.

¹⁰ مز 10:6.

¹¹ 1 تي 4:32.

خليقة، فإنه فيه خُلِق الكلّ ما فى السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين. كل الأشياء خُلقت به وله. الذى هو قبل جميع الأشياء¹².

46 . إذن، فتلك الأشياء ذات الجوهر المخلوق بالطبيعة، تُسمّى مخلوقات وتُخلق. وما ذكرناه من آيات الكتاب يكفى لإثبات ذلك. وقد قيلت هنا للتذكير والتنبيه. ولكن الكتاب مملوء بأمثالها. أما عنما يُقال اللفظ "خَلَقَ" فهو لا يُقال عن الجوهر إطلاقاً، ولا يعنى الولادة. فداود يترنم: " لِيَكْتَبَ هَذَا لَجِيلٍ آخَرَ وَشَعْبٍ عِنْدَمَا يُخْلَقُ سَيَسْبِحُ الرَّبَّ"¹³ ويقول أيضاً: " قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللهُ"¹⁴. ويقول بولس فى رسالته إلى أهل أفسس: " مُبْطَلًا نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فِرَائِضَ لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا"¹⁵. وأيضاً: " الْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقِدَاسَةِ الْحَقِّ"¹⁶.

فإن داود لم يشر إلى أى شعب مخلوق بحسب الجوهر، ولا كان يتضرع لكى يحصل على قلب آخر غير القلب الذى كان له. بل كان يقصد التجديد ونوال الحياة بحسب الله. وبولس أيضاً لم يقصد شخصين مختلفين مخلوقين فى الرب بحسب الجوهر. ولا كان يوصينا بأن نلبس إنساناً آخر، لكنه دعا الحياة بحسب الفضيلة أنها "الإنسان بحسب

¹² كوا 1:17:15.

¹³ مز 102:18.

¹⁴ مز 51:10.

¹⁵ أف 2:15.

¹⁶ أف 4:24.

الله"، أما الاثنان المخلوقان في المسيح فيقصد بهما شعبيين مُجدّدين به. وهذا مشابه لما يقوله إرميا: " خلق الله خلاصًا لأجل زرع جديد الذى به سيتجول الناس فى أمان"¹⁷. وعندما قال هذا لم يقصد أى جوهر خاص بمخلوق، بل هو يتنبأ بالخلاص المتجدد بين البشر، ذلك الخلاص الذى صار بالمسيح لأجلنا. وحيث إن هناك فرقًا بين المخلوقات وبين القول المذكور "خَلَق"¹⁸، فإن وجدتم الرب يُدعى مخلوقًا فى أى موضع فى الكتاب فاطهروه لنا وحاربونا. أما إن لم يكن قد كُتِبَ فى أى موضع أنه مخلوق سوى ما قاله عن ذاته فى الأمثال " الرب خَلَقَنِي" فاحجلوا إذن من الفرق السابق ذكره.

ومن الآن فصاعدًا لا تستمعوا إلى لفظ " خَلَقَ" على أن معناه هو "مخلوق"، بل افهموا به الطبيعة البشرية الخاصة بالرب، لأن لهذه الطبيعة خاصية مميزة لها وهى أنها مخلوقة. وكيف لا تكونون ظالمين ما دمتم عندما تسمعون لفظ " خَلَقَ" من داود ومن بولس لا تفهون به الجوهر والكيان، بل التجديد بينما عندما تسمعون لفظ "خَلَقَ" من الرب فإنكم تحسبون جوهره فى عداد المخلوقات؟ وأيضًا عندما تسمعون القول: " الحكمة بنت لنفسها بيتًا وأقامت سبعة أعمدة"¹⁹ فإنكم تفهون بيتًا بمعنى مجازى. أما لفظ " خَلَقَ" فتقبلونه كما هو²⁰، وتحولونه إلى معنى "مخلوق" فكونه هو نفسه خالقًا ليس كافيًا لإقناعكم، وكذلك لم

¹⁷ إر 22:38 سبعينية.

¹⁸ باليونانية (إكتيسى) ἔκτισεν.

¹⁹ أم 1:9.

²⁰ أى حرفيًا وليس مجازيًا.

تخشوا كونه هو وحده مولود من الآب الذاتي، بل تحاربون بغير اكتراث كما لو كنتم تسجلون هذه الألفاظ ضده، وتعتبرونه أنه أقل بكثير من البشر .

47 . لأن نفس العبارة توضح أيضًا أنه إختراع منكم أن تقولوا إن الرب مخلوق . لأن الرب حيث إنه يعرف جوهره وأنه هو الحكمة وحيد الجنس ومولود الآب وأنه مختلف عن الأشياء الصائرة والمخلوقة بالطبيعة، وأنه محب للبشر فهو يقول الآن: " الرب خلقني أول طريقه " كما لو كان يقول " الآب هيأ لي جسدًا"²¹ وخلقني للبشر من أجل خلاص الناس . لأنه كما أننا عندما نسمع من يوحنا: **لله تكلم** صار جسدًا " فإننا لا نفهم من ذلك أن الكلمة كله جسد، بل أنه ليس جسدًا صائرًا إنسانًا . وعندما نسمع " صار المسيح لعنة لأجلنا"²² . وأيضًا " جعل الذي لم يعرف خطيئة، خطيئة لأجلنا"²³ . فأنا لا نفهم من كل هذا أنه هو نفسه قد صار لعنة وخطيئة، بل تحمل اللعنة الموجهة ضدنا كما قال الرسول: " افتدانا من اللعنة"²⁴ . ومثلما قال إشعياء " حمل خطايانا"²⁵ ، ومثلما كتب بطرس " حمل خطايانا في جسده على الصليب"²⁶ . لهذا فإذا سمعنا في الأمثال لفظ " خلق " فلا يجب أن نفهم أن الكلمة مخلوق

²¹ انظر عب10:5.

²² غلا3:13.

²³ 2كو5:21.

²⁴ غلا3:13.

²⁵ انظر إش4:53.

²⁶ 1بط2:24.

بحسب الطبيعة، بل إنه لبس الجسد المخلوق. وأن الله خَلَقَهُ من أجلنا
و" هيأ له جسداً مخلوقاً من أجلنا" كما هو مكتوب²⁷، لكي ما نستطيع
أن نتجدد ونؤله.

أيها الأغبياء ما الذى خدعكم إذن لكي تقولوا أن الخالق مخلوق؟ أو
من أين اشتريتم لأنفسكم هذا الاعتقاد الجديد الذى تتفاخرون به؟
فالأمثال تقول "خَلَقَ" ولكنها لا تقول إن " الابن مخلوق" بل "مولود"
ووفقاً لما سبق أن اتضح من تمييز الأسفار المقدسة بين " خَلَقَ "
و"مخلوق" فهى تعتبر أن الابن بطبيعته الذاتية هو الحكمة الوحيدة
الخالصة وأنه خالق المخلوقات. وحينما تقول الأمثال "خَلَقَ" فهى لا
تشير إلى جوهره، بل تؤكد أنه صار أول كل طرفة. وهكذا يكون لفظ "
خَلَقَ" متعارضاً من لفظ "مولود"، وما تقوله عنه الأمثال إنه " أول
طرفة" يتعارض مع كونه الكلمة الوحيد الجنس.

48 . لأنه لو كان مولوداً فكيف تسمونه مخلوقاً؟ لأنه لا أحد يقول إنه
يَلِدُ ما يخلقه. ولا أحد يسمى المولود الذاتى مخلوقاً. ومرة أخرى فإن
كان هو وحيد الجنس فكيف يصير هو نفسه " أول الطرق"؟ لأنه من
الضرورى أنه إن كان هو نفسه قد خُلِقَ أول كل طرفة فهو لا يكون
بعد موجوداً وحده، بل يكون معه أولئك الذين خُلِقوا بعده. فرأوبين الذى
كان أول الأبناء لم يكن الوحيد، بل الأول زمنياً، ولكنه بحسب الطبيعة
والقربة كان واحداً بين أولئك الذين وُلِدوا بعده. إذن فإن كان الكلمة هو
" أول الطرق " فإنه سيكون مثلما تكون الطرق أيضاً، وتكون هذه

²⁷ عب 10:5.

الطرق مثلما يكون الكلمة أيضاً، حتى إن كان من جهة الزمن، يُخَلَق هو الأول بينها. ولأن بداية المدينة هي مثل أجزاء المدينة الأخرى، فإن الأجزاء نفسها تكون مرتبطة ببداية المدينة تماماً، وتكون كلها مدينة واحدة مثل الأعضاء الكثيرة التي تكوّن جسداً واحداً. ولا يكون جزء من المدينة صانعاً وجزء آخر مصنوعاً. أي يكون خاضعاً للأول. بل كل المدينة تخضع لحكم ورعاية ذلك الذي قام بصنعها وصياغتها وتشكيلها أيضاً.

إذن فإن كان الرب أيضاً يُخَلَق هكذا أول جميع الأشياء، فمن الضروري أن يكون هو مع كل الأشياء الأخرى خليفة واحدة. ولا يختلف عن الأشياء الأخرى حتى إن كان هو أول جميع الأشياء. ولا يكون هو رب أجزاء الخليفة الأخرى حتى إن كان هو أقدم منها زمنياً. بل يكون قد خلقه مثل المخلوقات الأخرى كلمة خالق واحد ورب واحد. وعلى وجه العموم فإن كان هو مخلوقاً فكيف يمكن أن يُخَلَق هو وحده باعتباره الأول ليكون بداية الجميع؟ بينما يبدو مما سبق أنه لا يوجد بين المخلوقات ما له طبيعة راسخة وثابتة وله الأولوية في الوجود. بل كل منها يأخذ وجوده مع بقية المخلوقات حتى لو اختلفت عن الأشياء الأخرى في المجد.. لأن أي نجم من النجوم ولا أي كوكب من الكواكب العظمى يظهر الواحد منها كالأول والآخر كالثاني، بل إنها دُعيت جميعها إلى الوجود في يوم واحد وبنفس الأمر²⁸. وهكذا تشكلت هيئة نوات الأربع والطيور والأسماك والحيوانات والنباتات. وهكذا أيضاً قد خُلِق جنس البشر على صورة الله. لأنه وإن كان آدم وحده قد خُلِق من

²⁸ أي الأمر الذي خلقت به جميعها.

التراب، إلا أنه توجد فيه كل ذرية الجنس البشرى²⁹.

49. ومن خليقة العالم الظاهرة نعرف بوضوح أن "أموره غير المنظورة المُتركة بواسطة المصنوعات"³⁰، لا نرى كل واحد منها منفصلاً عن الآخر إذ لا يوجد بينها أول وآخر، بل أنها خُلِقَتْ سوياً بحسب نوعها. لأن الرسول لم يحص كل واحد منفصلاً فيقول مثلاً سواء كان ملاكاً أم عرشاً أم سيادة أم سلطاناً، بل إنه أشار إليها كلها معاً بحسب الدرجة بقوله "سواء ملائكة أو رؤساء ملائكة أو رئاسات"³¹. فإنه هكذا تكون خِلقَةُ المخلوقات. فكما سبق أن قلت إنه إن كان الكلمة مخلوقاً فلم يكن من اللازم أن يكون هو أولها بل يكون مع سائر القوات الأخرى، حتى وإن تَفَوَّق في المجد عن الآخرين بدرجة أكبر. وهذا ما يمكن أن نجده في القوات الأخرى لأنها وإن كانت قد خُلِقَتْ كلها في نفس الوقت ولا يوجد أول أو ثان، إلا أنها تختلف بعضها عن بعض في المجد، فيقف البعض عن اليمين والبعض حول العرش والبعض الآخر عن اليسار، والجميع يسبحون معاً ويقفون في خدمة الرب.

إذن فإن كان الكلمة مخلوقاً لما كان هو أول الآخرين ولا بدايتهم، أما إن كان قبل الجميع كما هو واقع فعلاً، وهو نفسه وحده أول وابن، فلا يترتب على ذلك أن يكون هو بداية الجميع بحسب الجوهر، لأن أول الجميع يُحسب في عداد الجميع. وإن كان هو ليس بداية ولا خليقة

²⁹ انظر أيضاً تجسد الكلمة فصل 1/6.

³⁰ انظر رو1:20.

³¹ انظر كو1:16.

فإنه يكون واضحًا تمامًا أنه يختلف عن المخلوقات في الجوهر وأنه مغاير لها. وهو مثال وصورة الله الفريد الحق إذ هو نفسه أيضًا فريد. لذلك فالكتب لم تضعه بين المخلوقات، بل إن داود يوبخ أولئك الذين يتجاسرون أن يفكروا في أنه واحد من مثل هؤلاء عندما قال: "من مثلك يارب بين الآلهة"³²، وأيضاً " من يشبه الرب بين أبناء الله"³³، أما باروخ فيقول: " هذا هو إلهنا ولن يُقارن به آخر"³⁴. لأن الكلمة يَخْلُقُ بينما المخلوقات تُخْلَقُ، وهو كلمة جوهر الآب ذاته وحكمته. بينما المخلوقات التي لم تكن موجودة قبلاً قد صُنِعَت بواسطة الكلمة نفسه.

50 . أما تلك الثرثرة التي تدأبون على ترديدها بقولكم إن الابن مخلوق، فهذا أمر غير صحيح بل هو من نسج خيالكم وحده، وقد أدانه سليمان هذا الأمر كثيراً ما كذّبه. لأنه لم يذكر أن الابن مخلوق، بل هو مولود وهو حكمة الله بقوله "أسس الله الأرض بالحكمة"³⁵ و" الحكمة بنت لها بيتاً"³⁶. ومثل هذا القول عندما يُفحص فهو يثبت مدى كفركم، لأنه مكتوب " الرب خلقني أول طريقه من أجل أعماله". فإن كان هو موجوداً قبل الجميع فإنه يقول "خلقني" ليس لكي أصنع الأعمال بل " من أجل الأعمال"، وإن لم تكن عبارة خلقني تشير إلى شيء لاحق له فسيبدو هو كلاحق للأعمال حيث إنه عندما خُلِقُ وجد

³² انظر مز 86:8.

³³ مز 89:6.

³⁴ باروخ 3:36.

³⁵ أم 19:3.

³⁶ أم 1:9.

الأعمال التي قد صار من أجلها، قائمة قبله. فلو كان الأمر هكذا فكيف يظل هو موجودًا قبل جميع الأشياء؟ وكيف أن " كل شيء به كان؟" وكيف تتحد فيه كل الأشياء وتتماسك؟ وها أنتم تقولون إن الأعمال التي من أجلها خُلق وأُرسل، اتحدت وتماسكت قبله. ولكن حقيقة الأمر ليست هكذا . حاشا! إن فكر الهرطقة كاذب، لأن كلمة الله ليس مخلوقاً بل خالقاً. وعندئذ فهو يتكلم بواسطة الأمثال فيقول "خَلَقَنِي" عندما لبس الجسد المخلوق، وهناك شيء آخر يمكن استنتاجه من نفس اللفظ. لأنه بالرغم من كونه ابناً وله أب هو الله إذ أنه هو مولوده الذاتي، إلا أنه يدعو الآب رباً ليس لأنه كان عبداً، بل لأنه اتخذ شكل عبد. لأنه من ناحية كان يلزم . لكونه الكلمة من الآب . أن يدعو الله أباً. فهذه هي خاصية الابن تجاه الآب، ومن الناحية الأخرى عندما يأتي لينجز العمل آخذاً صورة عبد فإنه يدعو الآب رباً. وقد علم هو نفسه هذا الاختلاف بتمييز حسن عندما قال في الأناجيل: "أحمدك أيها الآب" وبعد ذلك " رب السماء والأرض"³⁷. لأنه يقول إن الله هو أبوه ولكنه يدعو رب المخلوقات، إذن يتضح من هذا بجلاء أنه عندما لبس الجسد المخلوق كان عندئذ يدعو الآب رباً. وكذلك في صلاة داود أوضح الروح القدس نفس الاختلاف عندما قال في المزامير " اعط قوتك لعبدك وخص ابن أمتك "³⁸. لأن ابن الله الحقيقي بالطبيعة هو شيء وأبناء الأمة الذين هم من طبيعة المخلوقات شيء آخر. لذلك فهو وحده كابن تكون له قوة الآب. أما أبناء الأمة فهم في حاجة إلى

³⁷ مت 11:25.

³⁸ مز 86:16.

الخلاص.

51. فإن كانوا يهذون بسبب أنه سُمي ولدًا، فليعرفوا أن اسحق دُعي ولدًا لابراهيم³⁹، وابن الشونمية سُمي ولدًا⁴⁰. وحيث إننا عبيد فمن الصواب إذن أنه عندما صار هو مثلنا، يدعو هو نفسه الآب ربًا كما ندعوه نحن. وقد صنع هذا لمحبتته للبشر، لكي نتشجع نحن الذين بحسب الطبيعة عبيد. نتشجع بقبولنا روح الابن. أن ندعو الآب أبًا بحسب النعمة، وهو رب لنا بحسب الطبيعة. وكما أننا حينما ندعو الرب أبًا لا ننكر عبوديتنا له بحسب الطبيعة لأننا نحن عمله " وهو صنعنا لا نحن"⁴¹، هكذا أيضًا عندما اتخذ الابن شكل عبد وقال " الرب خلقني أول طريقه " فدعهم إذن لا ينكرون أزلية ألوهيته وأنه " فى البدء كان الكلمة"، و" كل شيء به كان"، و" به خلقت كل الأشياء".

³⁹ تك 8:21.

⁴⁰ مل 2:18.

⁴¹ انظر مز 100:3.

الفصل العشرون

شرح نصوص: سادساً

” الرب قناني (خلقني) أول طرقه لأجل أعماله ”

أمثال 8: 22

(تابع)

أما العبارة الواردة في الأمثال . كما سبقت أن قلت . فهي لا تشير إلى جوهر الكلمة، بل إلى ناسوت الكلمة. لأنه إن كان يقول إنه قد خُلِقَ " لأجل الأعمال " فإنه لا يريد أن يشير إلى جوهره، بل إلى التدبير الذي صار لأجل أعماله، وهو الأمر الذي يكون تاليًا لوجوده. لأن تلك الأشياء الصائرة والمخلوقة قد صُنِعَت أولاً و أساساً من أجل أن تكون وأن تُوجد، وثانيًا أن يكون لهذه الأشياء أن تعمل بما يأمرها به الكلمة مثلما يمكن أن يرى مثل هذا الأمر في جميع الأشياء.

لأن آدم خُلِقَ لا لكي يعمل بل لكي يوجد أولاً كإنسان، لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يعمل. ونوح خُلِقَ ليس من أجل الفلك، بل ليوجد أولاً ويصير إنسانًا، لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يصنع الفلك. ومن يبحث ويفتش فإنه سيجد نفس الشيء مع كل واحد من المخلوقات. لأن موسى العظيم أيضًا قد كان إنسانًا أولاً وبعد ذلك عُهد إليه بقيادة الشعب. وهكذا هنا أيضًا من الممكن أن نفهم نفس الشيء لأنك ترى أن الكلمة لم يُخلق لكي يكون له وجود، بل " في البدء كان ~~الله~~ ~~الله~~ "، ولكنه بعد ذلك أُرسل "لأجل الأعمال" وتدبير التجسد لأجل خلاصها لأنه من قبل

أن تُخلَق "الأعمال" كان الابن كائنًا دائمًا ولم تكن هناك أية حاجة لكي يُخلَق، وعندما حُـلِقَت "الأعمال" وصارت الحاجة ماسةً بعد ذلك إلى تدبير إصلاحها، عندئذٍ قدّم الكلمة ذاته لكي ينزل ويصير مشابهاً "للأعمال". وهذا ما يوضح لنا معنى لفظ "خَلَق"¹. ولأنه يريد أن يثبت التشابه فإنه يقول مرة أخرى بإشعياى النبي: "والآن هكذا يقول الرب الذى جبلنى من الرحم لأكون له عبداً. لأرجع إليه يعقوب وأسرائيل. وسأجمّع إليه وأتمجد أمام الرب"².

52. فأنت ترى هنا أنه لا يُجَبَل لى يُوجَد، بل من أجل تجميع الأسباط التى كانت موجودة قبل أن يُجَبَل. فكما أن هناك لفظ "خَلَق"³، هكذا هنا لفظ "جَبَل"⁴ ومثلما هناك عبارة من "أجل الأعمال"، هكذا هنا عبارة من "أجل التجميع" حتى تبدو لفظتا "خَلَق" و"جَبَل" أنهما تأتيان بعد وجود الكلمة. وكما أن الأسباط التى من أجلها جَبَل كانت موجودة قبل أن يُجَبَل، هكذا يتضح أن "الأعمال" التى من أجلها "خَلِق" قد وُجِدَت أيضاً. وعندما "كان ~~الله~~ فى البدء" لم تكن "الأعمال" موجودة بعد، كما سبق أن أشرت. وعندما صارت "الأعمال" وأصبحت الحاجة ملحة، عندئذٍ قيلت لفظة "خَلَق" وكما أن أى إبن فُقدت أملاكه وسبى عبيده بسبب إهمالهم ويسطو الأعداء عليهم، فإن إقتضت الحاجة فربما

¹ أصلها اليونانى اكنيسى ἔκτισε.

² إش 49: 5 سبعينية.

³ باليونانية لكتيسى ἔκτισε.

⁴ باليونانية إيلاسى ἔπλασε.

يرسله أبوه لأستردادها وتجميعها. وعندما يتوجه لهذا الأمر فإنه قد يرتدى رداء مشابهاً لردائهم، ويتشكّل بشكلهم كى لا يتعرّف عليه المستولون عليها أنه السيد فيهبوا، وبهذا يتعذر عليه أن ينزل ويكتشف الكنوز التى خبئها تحت الأرض. وعندئذ إذا سأله أحد، لماذا أنت هكذا، فإنه قد يُجيب قائلاً: " جبلنى أبى هكذا وأعدنى لأجل أعماله". وكأنه بهذا القول لا يعنى أنه عبد ولا أنه واحد من أعماله. ولا يتحدث عن بدء ميلاده، بل عن المهمة الموكلة إليه فيما بعد " من أجل الأعمال". وبنفس الطريقة أيضاً فإن الرب قد لبس جسدنا، " وجد فى الهيئة كإنسان"⁵. فلو أنه سُئل من الذين رأوه وتعجبوا لكان يقول لهم " الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله" و" جبلنى لكى أجمع إسرائيل" وهذا ما يقوله الروح فى المزامير " أقمته على أعمال يديك"⁶. وهذا الأمر هو ما يشير به الرب عن ذاته قائلاً: " أنا أُقمت ملكاً بواسطته على صهيون جبله المقدس"⁷. وكما أنه حينما " أشرق جسدياً"⁸ على صهيون لم يكن هذا له بداية وجود أو مُلك، بل لكونه كلمة الله وملكاً أبدياً، فإنه حُسب مستحقاً من الناحية البشرية أن تشرق مملكته فى صهيون أيضاً، لكى بعد أن يفديهم ويفدينا من الخطية المتملكة عليهم، يجعلهم تحت سلطان مملكة أبيه. وهكذا إذ قد أُقيم من أجل الأعمال، فإن هذا ليس من أجل الأشياء التى لم تكن موجودة بعد،

⁵ فى 2: 8

⁶ مز 8: 6

⁷ مز 2: 6

⁸ " أشرق جسدياً " هونفس التعبير الوارد فى ثيوطوكية الاثنتين (المعرب).

بل من أجل الأشياء التي كانت موجودة عندئذ وكانت في حاجة إلى إصلاح.

53. إذن فإن الكلمات "خَلَقَ" و"جَبَلٌ" و"أَقَامَ" لها نفس المعنى ولا تعنى وجود الابن ولا أن جوهره مخلوق، بل تعنى التجديد الذي صار لأجلنا كعمل خير منه. وبينما كان يقول هذه الكلمات، فإنه كان يعلم في نفس الوقت أنه كان كائنًا قبل هذه الأشياء وذلك عندما قال: "قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن"⁹. وأيضًا "هيا السموات كنت أنا موجودًا هناك معه"¹⁰. و"كنت عنده أقوم بتربيته"¹¹. وكما كان هو كائن قبل ابراهيم وجاء إسرائيل بعد ابراهيم، فيتضح أنه رغم أنه كان من قبل فإنه جُبل بعد ذلك. والجبل¹² لا يعنى بداية وجوده، بل يشير إلى تأنسه الذي فيه يجمع أسباط إسرائيل. وهكذا أذن حيث إنه كائن دائمًا مع الآب، فإنه هو خالق الخليقة. وواضح أن أعماله وُجدت بعده. وأن لفظ "خَلَقَ" لا يعنى بداية وجوده بل يُعلن التدبير الذي تم في الجسد "من أجل الأعمال". لأنه كان من اللازم أن يكون هو مختلفًا عن الأعمال، بل بالحرى يكون هو خالقها، وأن يتكفل هو نفسه بتجديدها، لكي إذ قد خُلِقَ لأجلنا فإن جميع الأشياء تُخَلَقُ به من جديد.

لأنه عندما قال خَلَقَ أُضيف السبب في الحال وذكر لفظ "الأعمال"، وذلك لكي يتضح أنه خُلِقَ "من أجل الأعمال". وهذا أمر مألوف في

⁹ يو 8: 58

¹⁰ أم 8: 27 سبعينية

¹¹ أم 8: 30

¹² الجبل معناها الصيغة والتشكيل.

الكتب الإلهية. لأنه عندما يشير إلى ميلاد الكلمة بحسب الجسد يذكر السبب الذى من أجله صار إنسانًا. وحينما يتحدث هو وخدامه بخصوص ألوهيته فإن كل شيء يُقال بالفاظ بسيطة وفكر صاف، ولا يُقال أبدًا بطريقة معقدة. ذلك لأنه هو بهاء الآب، وهو مثل الآب لم يوجد عن طريق أية علة، ولذلك لا يجب أن نبحث عن سبب هذا البهاء، لأنه مكتوب " فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"¹³. ولم يكن هناك تساؤل بصيغة "لماذا" وعندما كُتب " الكلمة صار جسدًا " حينئذ ذكر السبب الذى من أجله قد صار إذ ذُكر " وحل فينا"¹⁴ وعندما يقول الرسول أيضًا: " الذى إذ كان فى صورة الله" فإنه لم يذكر السبب إلا عندما أخذ صورة عبد. لأنه حينئذ أشار كنتيجة لذلك قائلاً: " وضع نفسه حتى الموت موت الصليب"¹⁵. ولهذا فقد صار جسدًا متخذًا صورة عبد.

54 . وكثيرًا ما تحدث الرب نفسه بأمثال، ولكن عندما كان يشير إلى نفسه كان يقول بطريقة مطلقة: " أنا فى الآب والآب فىي"¹⁶، و " أنا والآب واحد"¹⁷، "من رأتى فقد رأى الآب"¹⁸، " أنا هو نور العالم"

¹³ يو: 1 : 1

¹⁴ يو: 1 : 14 نص الآيه فى الأصل يونانى حرفيًا ليس بيننا بل خُيم أو سَكَن فينا.

¹⁵ فى: 2 : 6 ، 8

¹⁶ يو: 14 : 10

¹⁷ يو: 10 : 30

¹⁸ يو: 14 : 9

19 و "أنا هو الحق"20، دون أن يذكر السبب فى كل قول ولا التساؤل "لماذا"، لكى لا يبدو تاليًا لتلك الأشياء التى من أجلها صار أيضًا. لأنه من الضرورى أن يكون السبب قبل مجيئه، والذى بدونه حتى هو نفسه لا يكون ممكنًا أن يصير، فمثلًا بولس "الرسول المفضل للإنجيل الذى سبق فوعده به بأنبيائه"21، كان الإنجيل الذى صار خادمًا له، سابقًا عليه. ويوحنا الذى كان قد عُيِّن لكى يعد الطريق فقد كان الرب سابقًا عليه. أما الرب فلأنه لم يكن له سبب قبله لكى يكون كلمة سوى أنه مولود من الأب وحكمته الوحيد، فإنه صار إنسانًا، عندئذ فقط دُكِرَ السبب الذى كان مزعمًا من أجله أن يلبس الجسد. لأن حاجة البشر تسبق صيرورته إنسانًا، هذه الحاجة التى بدونها ما كان ليرتدى الجسد. إن الحاجة التى بسببها قد صار الرب نفسه إنسانًا هو ما يشير إليه هو نفسه عندما قال: "قد نزلت من السماء ليس لكى أعمل مشيئتي، بل مشيئة الذى أرسلنى. وهذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئًا. بل أقيمه فى اليوم الأخير. هذه مشيئة أبى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير"22. وكما يقول أيضًا "أنا قد جئت نورًا إلى العالم حتى أن كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة"23. ويقول أيضًا: "لهذا قد وُلِدت

19 يو: 8: 12

20 يو: 14: 6

21 انظر رو: 1، 1، 2

22 يو: 6: 38 . 40

23 يو: 12: 46

أنا لهذا قد جئت إلى العالم لكي أشهد للحق"²⁴. وقد كتب يوحنا: " لهذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس"²⁵.

55. إذن فقد جاء المخلص إلى العالم من أجل الشهادة، ولكي يقاسى الموت من أجلنا، ويقيم البشر، وينقض أعمال إبليس، وكان هذا هو سبب حضوره بالجسد. لأنه بغير هذا ما كان للقيامة أن تتحقق لو لم يكن هناك موت. وكيف يكون هناك موت إن لم يكن هناك جسد؟ والرسول نفسه تعلم هذا من الرب عندما قال: " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكي يبني بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ولكي يعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية"²⁶. وأيضًا " فإنه إذا جاء الموت بواسطة الإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات"²⁷، وأيضًا لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه إذ كان ضعيفًا بالجسد. فإن الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"²⁸. ويقول يوحنا: " لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم لكي يُدين بل ليخلص العالم"²⁹. والمخلص أيضًا قد تكلم عن نفسه قائلاً: " لدينونة أنا قد

²⁴ يوحنا 37: 18

²⁵ 3يو 8

²⁶ عب 2: 14 و 15

²⁷ 1كو 15: 21

²⁸ رو 8: 3 و 4

²⁹ يوحنا 3: 17

جئت إلى هذا العالم لكي يبصر الذين لا يبصرون والذين يبصرون يصيرون عمياً»³⁰.

إذن فالمخلص لم يأت لأجل ذاته بل لأجل خلاصنا ولكي يبطل الموت ولكي يدين الخطية، ولكي يعيد أبصار العميان، ولكي يقيم الجميع من بين الأموات. فإن كان قد أتى ليس لأجل لذاته بل لأجلنا فهو إذن لم "يُخلَق"³¹ لأجل نفسه بل لأجلنا. وإن كان لم يُخلق لأجل ذاته بل لأجلنا فلا يكون هو نفسه مخلوقاً بل هو يقول هذا حيث إنه ارتدى جسدنا. وهذه الفكرة هي ما تعنيه الكتب المقدسة. وهذا هو ما نتعلمه من الرسول لأنه يقول في رسالته إلى أهل أفسس: " ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض. لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً"³². فلو أن الأثنين خُلِقا في نفسه ووُجدا في جسده، فمن الطبيعي أن كان يلبس الأثنين في نفسه، فإنه يكون كما لو كان هو نفسه الذي يُخلق. لأن الذين يخلقهم يتحدون به ويكون هو فيهم كما يكونون هم فيه. هكذا إذن فما دام قد خُلِق الاثنان فيه فيكون من الملائم تماماً أن يقول " الرب خلقتي". فلأنه يأخذ على عاتقه ضعفاتنا يُقال عنه أنه يَضَعُ رغم أنه هو لا يَضَعُ لأنه قوة الله، وقد صار خطية ولعنة من أجلنا، بالرغم من أنه غير خاطئ، ولكنه يقال هذا لأنه حمل خطايانا ولعننتنا. وهكذا إذ قد خُلِقنا فيه فيقال أيضاً " خَلَقني من أجل

³⁰ يو: 9: 39

³¹ أي لم يُخلق بالجسد

³² أف: 2: 14 و 15

الأعمال" رغم أنه هو غير مخلوق.

56. وبحسب فكر أولئك يعتبر جوهر الكلمة مخلوقاً بسبب قوله " الرب خلقني"، وبالتالي لكونه مخلوق فهو لم يُخلق من أجلنا، وإن لم يكن قد خُلق من أجلنا فنحن لم نُخلق به، وإن لم نُخلق به فلن يكون هو لنا في داخلنا، بل سيكون من خارجنا كما لو كنا نقبل منه التعليم مثلما نقبله من معلم. ولو كان الأمر هكذا معنا لما فقدت الخطية سلطانها على الجسد، بل لظلت ملتصقة به وليست بعيدة عنه. غير أن الرسول يعارض تعليم هؤلاء بإعلانه لأهل أفسس قبل ما سبق أن أقتبسنا بقليل قائلاً: " لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع". فإن كنا قد خُلقنا في المسيح فلا يكون هو الذى خلقنا، بل نحن الذين خُلقنا بواسطته. لذا فالقول "خَلَقَ" هو من أجلنا نحن وبسبب احتياجنا. فإن الكلمة رغم أنه خالق، احتمل أيضاً لقب المخلوقين. ولم يكن هذا لقبه الخاص. إذ أنه هو الكلمة، ولكن اللقب "خَلَقَ" هو خاص بنا نحن المخلوقين بواسطته.

وأيضاً كما أن الآب كائن دائماً فإن كلمته كائن دائماً أيضاً، ولأنه كائن دائماً فهو يقول " وكنت أنا موضع بهجته، فرحاً في حضرته كل يوم"³³ وأيضاً " أنا في الآب والآب فيّ"³⁴. هكذا فإنه حينما صار إنساناً تابعاً لجنسنا البشرى مثلنا، قال " الرب خلقني" لكي يستطيع أن يطرد الخطية بعيداً عن الجسد بسكناه فيه ولكي نحصل نحن على فكر

³³ أم 8: 30

³⁴ يو 14: 10

إذن فماذا كان يناسبه أن يقول عندما صار إنساناً. أيقول " في البدء كنت إنساناً؟" ولكن هذا ليس لائقاً به وليس حقيقياً. وكما أنه لم يكن من الواجب أن يقول هذا القول، فمن المناسب ومما يميز صفات الإنسانية أن يقول "خَلَقَهُ" و"صَنَعَهُ". ولهذا يُضاف أيضاً سبب قوله: "خَلَقَ" وهو حاجة "الأعمال". وحيث إنه بذلك السبب فإن هذا السبب بلا شك يعطى المعنى الصحيح تماماً للفقرة المكتوبة، وخاصة أنه هنا في لفظ "خَلَقَ" يذكر السبب أى "الأعمال". بينما أنه عندما يشير بصورة مطلقة إلى الميلاد من الآب فإنه يضيف فى الحال: "قبل كل الجبال وولَدنى"³⁶. فهو لم يقل لماذا وُلِدَ مثلما حدث فى عبارة "خَلَقْنِي" حيث ذكر " من أجل الأعمال". بل إنه يقول بصورة مطلقة " وولَدنى"، كما جاء فى القول: " فى البدء كان الكلمة". لأنه حتى وإن لم تكن الأعمال قد خُـلِقَتْ، إلا أن كلمة الله كان كائناً، " وكان الكلمة الله". أما صيرورته إنساناً فما كانت لتحدث لو لم تكن حاجة البشر هى السبب. فتبعاً لذلك لا يكون الابن مخلوقاً، لأنه لو كان مخلوقاً لما قال " وولَدنى". لأن المخلوقات هى أعمال الصانع من خارجه، أما المولود فليس من خارجه وليس عملاً، بل هو مولود جوهر الآب الذاتى. لذا فبينما "الأعمال" هى مخلوقات إلا أن كلمة الله هو ابن وحيد الجنس.

³⁵ حر من الخطية.

³⁶ أم 8: 25.

الفصل الحادى والعشرون

شرح نصوص: سادسًا:

" ... أول طريقه لأجل أعماله "

أمثال 8: 22

57. إن موسى عندما تكلم عن الخليقة لم يقل "فى البدء وُلِد" ولا "فى البدء كان" بل قال: " فى البدء خلق الله السماء والأرض"¹ وداود لم يترنم بالقول "يداك ولدتانى"، بل " يداك صنعتانى وأنشأتانى"². فهو يقول فى كل مكان "صنع" عن المخلوقات. فى حين يتكلم عن الابن عكس ذلك. فهو لم يقل عن الابن "صنعتُ" بل "وُلدتُ"³. و"ولدى" و"فاض قلبى بكلمة سالحة"⁴. فبينما يقول عن الخليقة: " فى البدء خَلَقَ" يقول عن الابن: " فى البدء كان الكلمة". وهذا الاختلاف راجع إلى أن المخلوقات قد صُنِعت ولها وجود فى مرحلة زمنية محددة. ولذا فإن ما قيل عنها " فى البدء خَلَقَ" مساو للقول " منذ البدء خلق" كما أن الرب إذ قد عرف ما صنع علمَ الفريسيين موبخًا إياهم قائلاً: " إن الذى خلقهما منذ البدء خلقهما نكراً وأنثى"⁵. لأن المخلوقات أتت إلى الوجود وخُلِقَت من بداية ما، قبل أن يكون هناك أى وجود. وهذا هو ما

¹ تك 1: 1

² مز 119: 73

³ مز 2: 7 و 101: 3

⁴ مز 45: 2 (سبعينية)

⁵ مت 19: 4

قصده الروح القدس أيضًا بقوله في المزمير: " وأنت يارب منذ البدء أسست الأرض"⁶. ويقول أيضًا: " أذكر جماعتك التي اقتنتيتها منذ القدم"⁷. وواضح أن ما نشأ في زمن، فإن لحظة خلقه هي بداية وجوده، وأن الله اقتنى الجماعة في وقت معين. فإن القصد من القول "خَلَقَ" في عبارة " في البدء خَلَقَ" أنه بدأ يخلق. وموسى نفسه أوضح هذا بعد إتمام عمل كل الأشياء قائلاً: " وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه في هذا اليوم استراح من أعماله التي بدأ أن يخلقها"⁸. إذن فإن المخلوقات قد بدأت أن تُخَلَق، أما كلمة الله فحيث إنه ليس له بداية وجود فإنه لم يبدأ أن يُوجَد ولا بدأ أن يصير، بل إنه كائن دائماً والأعمال لها بداية لصنعها، وبدايتها تسبق صيرورتها في الوجود أما الكلمة فإنه ليس من بين الأشياء التي تصير، بل بالأحرى هو خالق هذه الأشياء التي لها بداية. ووجود المخلوقات يرجع إلى صيرورتها. ومن بداية ما، يبدأ الله بصنع هذه الأشياء بواسطة الكلمة، لكي يكون معروفاً أن هذه الأشياء ليس لها وجود قبل أن تصير. أما الكلمة فإن وجوده ليس له بداية أخرى سوى في الآب الذي هو بلا بداية كما يعترفون هم، فالابن أيضًا كائن بلا بداية في الآب، إذ أنه في الواقع هو مولود الآب وليس مخلوق بواسطة الآب.

58 . هكذا فإن الكتاب الإلهي يفرق بين "المولود" وبين "المصنوعات"،

⁶ مز 102: 25

⁷ مز 74: 2

⁸ تك 2: 3 سبعينية

ويوضح أن المولود هو ابن ليس مبتدئاً من أية بداية، بل هو أزلى. أما الشئ المصنوع فلأنه من عمل الذى صنعه من الخارج، فلهذا يشير إلى أن له بداية خُلق. ويوحنا عندما كان يعلم عن ألوهية الابن وهو يعرف الفرق بين اللفظين لم يقل "فى البدء قد صار" أو "فى البدء قد صُنِعَ" بل قال " فى البدء كان الكلمة"، ولفظ "كان" يتضمن "المولود" لكى لا يظن أحد أن هناك فرقاً زمنياً، بل ليؤمنوا أن الابن أزلى وكائن دائماً. ومع كل هذه البراهين، فكيف لم تستوعبوا أيها الآريوسيون الأقوال التى جاءت فى سفر التثنية وتتجاسرون أن تكفروا بالرب مرة أخرى بقولكم إنه "مصنوع" أو "مخلوق" بينما هو "مولود"؛ وأنتم ترعمون أن "المولود" و "المصنوع" لهما نفس المعنى. ومن هنا . مع ذلك . سيتضح أنكم غير عارفين كما أنكم عديمى التقوى. لأن القول الأول هو هذا: " أليس هذا هو أبوك الذى أوجدك وصنعك وخلقك"⁹. ويقول بعد قليل فى نفس الأثنشودة: " تركت الله الذى وُلِدَ وَكَانَ ونسيت الله الذى أطعمك"¹⁰. وهذه الفكرة غريبة للغاية، فهو لم يقل أولاً وُلِدَ لئلا يبدو القول غير مختلف عن "صنع"، ولو جَدَ هؤلاء مبرراً أن يقولوا إن موسى منذ البدء ذكر أن الله قد قال: " لنصنع إنساناً"¹¹، وبعد ذلك قال " تركت الله الذى وُلِدَ" كما لو أن الألفاظ غير مختلفة. أى أن "المولود" و "المصنوع" هما نفس الشئ. ولكن بعد أن ذكر لفظى "أوجدَ" و"صنَعَ" أضاف أخيراً وُلِدَ لكى يظهر أن العبارة تحمل تفسيرها فيها. لأن اللفظ "صنَعَ" يشير فى

⁹ تث 32: 6

¹⁰ تث 32: 18

¹¹ تك 1: 26

الحقیقة إلى طبیعة البشر. أی أنهم أعمال ومصنوعات. أما لفظ "وَلَدَ" فیوضح محبة الله للبشر التي صارت للناس بعد أن خلقهم. ولأن الناس أظهرها جودًا لمحبة الله للبشر هذه، لهذا وبخهم موسى وقال أولاً: "هل تكافئون الرب بهذه الأمور؟" ثم أضاف: "أليس هذا هو أبوك الذي أوجدك وصنعك وخلقك"¹². وقال ثانياً: "قدموا الذبائح للشياطين وليس لله لآلهة لم يعرفوها، ودخلت آلهة جديدة وحديثة ولم يعرفها آباؤهم، تركت الله الذي وُلِدَ"¹³.

59. فإن الله لم يخلقهم بشراً فقط بل دعاهم أيضاً أبناء لأنه وُلِدَهم. لأن لفظ "وَلَدَ" له معنى هام. لأنه يشير إلى ابن كما قال بواسطة النبي "وُلِدْتُ بنيًا ونشأتهم"¹⁴. وعموماً فإن الكتاب عندما يريد أن يشير إلى "ابن" يُعبّر عنه ليس بواسطة اللفظ "خُلِقْتُ"، بل حتماً بواسطة اللفظ "وُلِدْتُ". ويتضح هذا من قول يوحنا: "أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أی المؤمنون باسمه، الذين وُلِدُوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله"¹⁵. وهذا النص واضح لأنه حين يذكر عبارة "أن يصيروا" يقول إن هؤلاء أبناءه ليس بحسب الطبيعة بل بحسب التبني. ثم يقول "وُلِدُوا" لأن هؤلاء قد حصلوا على لقب ابن بالكامل. ولكن الشعب كما يقول النبي تمرد على الذي فعل معه

¹² تث32: 6

¹³ تث32: 17 و 18

¹⁴ إش1: 2

¹⁵ يو1: 12 و 13

"الخير"¹⁶. فهذه هى محبة الله للبشر أنه بالنسبة لأولئك الذين صنعهم فقد صار لهم أبًا أيضًا بعد ذلك بحسب النعمة. وقد صار لهم أبًا . كما قال الرسول . عندما حصل الناس المخلوقون على " روح ابنه فى قلوبهم صارحًا: أبانا أيها الآب"¹⁷. فهؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطانًا أن يصيروا أولاد الله. لأنه لم يكن فى إمكانهم . حيث إنهم مخلوقات بالطبيعة . أن يصيروا أبناء بأية طريقة أخرى إلاّ بأن يتقبلوا روح الابن الحقيقى حسب الطبيعة. لذا فلكى يحدث هذا فقد "صار الكلمة جسدًا" لى يجعل الإنسان قادرًا على تقبل الألوهية، ويمكن أن نتعلم هذه الفكرة أيضًا من ملاحى النبى الذى قال: " ألم يخلقكم إله واحد ؟ أليس لكم أب واحد"¹⁸. وهنا وضع أولاً "خَلَقَ" وثانيًا لفظ "أب" لى يثبت هو أيضًا أننا كنا منذ البدء مخلوقات بحسب طبيعتنا وأن الله هو خالقنا بواسطة الكلمة وبعد ذلك جعلنا أبناء، وهكذا صار الله الخالق هو أبونا أيضًا.

إذن فإن "الآب" هو خاص "بالابن"¹⁹ وليس بالخليقة، كما أن "الابن" خاص بالآب. ويتضح من هذا أننا لسنا أبنا بالطبيعة. أما الذى جاء وسطنا فهو ابن بالطبيعة. وأيضًا فإن الله ليس أبانا بالطبيعة، بل هو أب الكلمة الموجود فىنا والذى به نصرخ "أبانا أيها الآب". وبنفس الطريقة فإنه يدعو الذين يرى ابنه فيهم، أبناء له ويقول: "وَأَدْتُ" حيث

¹⁶ انظر إش:1: 3

¹⁷ غل:4: 6

¹⁸ مل:1: 2 سبعينية

¹⁹ أى أن الآب هو أب للابن وليس للخليقة.

إن الولادة تدل على الابن حقًا، أما "الصنع" فهو لفظ يدل على "الأعمال". لهذا فإننا نحن لم "نُولد أولًا" بل "صُنعنا" كما هو مكتوب "لنصنع إنسانًا"، وبعد ذلك بواسطة قبولنا نعمة الروح قال: إننا "نُولد". لهذا فإن موسى العظيم قال بمعنى جيد في أنشودته، أولًا: "أوجد" ويعد ذلك "وُلد"، ثلثا عند سماع لفظ "وُلد" ينسون طبيعتهم من البداية، وبهذا يعرفون أنهم من البدء مخلوقات. وعندما يقال إن الناس يولدون كأبناء بالنعمة فإنهم مع ذلك هم أيضًا مصنوعات بالطبيعة.

60. إن المخلوق ليس في الواقع هو "المولود"، بل هما يختلفان أحدهما عن الآخر في الطبيعة وفي معنى الألفاظ نفسها. والرب نفسه أوضح هذا في الأمثال. لأنه عندما قال: "الرب خلقني أول طريقه"²⁰، أضاف: "لكنه قبل كل الجبال وُلدني"²¹. فإن كان الكلمة مخلوق بالطبيعة وبالجوهر، والمولود يختلف عن المخلوق فما كان له أن يضيف "وُلدني" بل لكان قد أكتفى بلفظ "خَلَق" مادام هذا اللفظ يعنى أيضًا "وُلد". ولكنه هنا يقول "خلقني أول طريقه لأجل أعماله". وأضاف عبارة "وُلدني" ليس عن غير قصد، بل بعد ربطها بأداة الربط "لكن"، بذلك يعطى حماية كافية للفظ "خَلَق" قائلًا: "لكنه قبل كل الجبال وُلدني"، لأن عبارة "وُلدني" إذ تأتي مع لفظ "خلق" فإنها تضيف عليهما معنى معينًا يوضح أن لفظ "خلق" إنما قيل لغرض معين. أما عبارة "وُلدني" فهي تتخذ وضعًا قبل "خَلَق". لأنه لو كان قد قيل بالعكس تمامًا: "الرب وُلدني" ثم

²⁰ أم 8: 22

²¹ أم 8: 25

أردف بالقول: "ولكن قبل كل الجبال خلقنى"، لكان لفظ "خَلَقَ" سابقًا على لفظ "وُلِدَ". وهكذا بقوله أولاً "خَلَقَ". ويقوله: "ولدى قبل الكلّ" يشير إلى أن ذاته هى شئ آخر غير الكلّ. وقد أتضحت الحقيقة فيما سبق من أقوال إنه فيما يتعلق بالمخلوقات لم يصر أى واحد منها قبل غيره، بل إن جميع المخلوقات خُلِقَتْ معًا فى نفس الوقت وبنفس الأمر الواحد. ولهذا فإن لفظ "وَلَدَنَى" لا يرتبط به ألفاظ مثل التى ترتبط بلفظ "خَلَقَ"، ولكن لفظ "خَلَقَ" يرتبط به "أول طريقه"، أما لفظ "وُلِدَنَى" فلم يقل معه "فى البدء وُلِدَنَى"، بل "قبل الكل وُلِدَنَى"، فهذا الذى هو قبل الكلّ لا يكون أول الكلّ، بل هو شئ آخر غير الكلّ. فإن كان مختلفًا عن كل الأشياء، التى من بينها يعتبر هو أول الجميع، فيتضح من ذلك أنه مختلف عن المخلوقات، ويظهر بوضوح أنه بما أن الكلمة مختلف عن الكلّ وكائن قبل الكلّ، فإنه بعد ذلك يُخَلَقُ "أول طريقه من أجل أعماله" بسبب التجسد. كما قال الرسول: "الذى هو البداية، البكر من الأموات لكى يكون هو متقدمًا فى كل شئ"²².

61. وإن كان يوجد هذا الفرق بين "خَلَقَ" و"وُلِدَنَى"، وبين "أول الطرق" و "قبل الكلّ"، فإن الله أولاً هو خالق البشر وقد صار فيما بعد أبًا لهم بسبب كلمته الساكن فيهم. والعكس بالنسبة للكلمة، إذ أن الله هو أبوه بالطبيعة. لكنه صار فيما بعد خالقه وصانعه عندما لبس الكلمة الجسد الذ خُلِقَ وصُنِعَ، وصار إنسانًا. لأنه كما أن البشر الذين حصلوا على روح الابن صاروا به أولادًا، هكذا كلمة الله عندما لبس هو أيضًا جسد

البشر، فيقال حينئذ إنه خُلِقَ وصُنِعَ. إذن فلو كنا نحن أبناء الطبيعة يكون هو أيضًا مخلوقًا ومصنوعًا بالطبيعة. ولكن إن كنا نحن أبناء بالتبني وبالنعمة فمن الواضح أن الكلمة حينما صار إنسانًا بفضل النعمة، قال: "الرب خَلَقَنِي". وبعد ذلك حينما لبس ما هو مخلوق فإنه صار مشابهًا لنا بحسب الجسد، ولهذا فمن الصواب أن يُدعى أيضًا "أخانا" و "بكرنا". لأنه بما أن البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان أول ما تم تخليصه وتحريره إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه. وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده وبهذا الجسد صار الرب هو قائدنا إلى ملكوت السموات وإلى أبيه لأنه هو يقول: "أنا هو الطريق"²³. و "أنا هو الباب"²⁴. ويجب على الجميع "أن يدخلوا بي". من أجل ذلك يُدعى "بكر من بين الأموات لا لأنه مات أولاً. إذ أننا قد متنا قبله. بل لأنه قد أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا، وقد أبطل هذا الموت، فإنه هو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسد لأجلنا. وتبعًا لذلك حيث إن الجسد قد أُقيم، هكذا نحن أيضًا ننال القيامة من بين الأموات منه وبسببه.

62. وإن سُمى أيضًا " بكر الخليفة"²⁵، لكنه لم يلقب بكرًا كمساوٍ للمخلوقات، أو أولهم زمنيًا [لأنه كيف يكون هذا وهو نفسه الوحيد الجنس بحق؟]. لأنه بسبب تنازل الكلمة إلى المخلوقات فإنه قد صار

²³ يو 14 : 6

²⁴ يو 10 : 7

²⁵ كو 1 : 15

أخًا لكثيرين. وهو يعتبر "وحيد الجنس" قطعًا إذ أنه وحيد وليس له إخوة آخرون وال بكر يسمى بكر بسبب وجود إخوة آخرين. لذلك فلم يُذكر فى أى موضع فى الكتب "بكر الله" ولا "مخلوق الله" بل دُكر "الوحيد الجنس" و "الابن" و "الكلمة" و "الحكمة".

وهذه تشير إلى علاقته الخاصة المتميزة بالآب. وهكذا كُتب " رأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب"²⁶ و " أرسل الله ابنه الوحيد"²⁷ و " كلمتك يارب دائم إلى الأبد"²⁸ و " فى البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله"²⁹ و " المسيح قوة الله وحكمة الله"³⁰ و " هذا هو ابنى الحبيب"³¹ و "أنت هو المسيح ابن الله الحى"³².

أما لفظ "البكر" فيشير إلى التنازل إلى الخليقة، لأنه بسببها سُمى بكرًا. ولفظ "خُلِقَ" يشير إلى النعمة "من أجل الأعمال" فإنه يُخلق من أجلها. فإن كان هو "الابن الوحيد" تمامًا مثلما هو فى الحقيقة، فإن لفظ بكر تحتاج إلى تفسير، لأنه لو كان "بكرًا" لما كان "وحيدًا" لأنه غير ممكن أن يكون هو نفسه "وحيدًا" و "بكرًا" إلا إذا كان يشير إلى أمرين مختلفين. فهو "الابن الوحيد" بسبب الولادة من الآب، ولكنه يسمى "بكرًا" لسبب التنازل إلى الخليقة وجعله الكثيرين أخوة له. فإن كان

²⁶ يو: 1: 14

²⁷ 1يو: 4: 9

²⁸ مز 119: 89 (سبعينية)

²⁹ يو: 1: 1

³⁰ 1كو: 1: 24

³¹ مت: 3: 17

³² مت: 6: 16

اللفظان متعارضان أحدهما مع الآخر، فإن فى إمكان أى شخص أن يقول إن اصطلاح "الوحيد الجنس" متعلق بالكلمة وذلك بسبب عدم وجود كلمة آخر أو "حكمة" آخر، بل إنه هو وحده ابن الآب الحقيقى. لأنه كما قيل سابقًا فإن اصطلاح وحيد الجنس لم يذكر مرتبطًا بأى سبب، بل ذُكر بصورة مطلقة أنه: " الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب"³³. أما اصطلاح البكر فهو مرتبط بالخليقة التى أشار إليها بولس عندما قال: " لأنه فيه خُلِقَ الكل"³⁴. فإن كانت كلّ المخلوقات قد خُلِقَت بواسطته فإنه يكون مختلفًا عن المخلوقات، ولا يكون مخلوقًا بل هو خالق المخلوقات.

63. إذن فهو لم يُدعَ "بكرًا" بسبب كونه من الآب، بل بسبب أن الخليقة قد صارت به. وكما كان الابن نفسه كائنًا قبل الخليقة وهو الذى به قد صارت الخليقة، هكذا أيضًا فإنه قبل أن يُسمى "بكر كل الخليقة" كان هو الكلمة ذاته عند الله. ولكن حيث إن الكافرين لم يفهموا هذا صاروا يجولون قائلين: "إن كان هو بكر كل خليقة فمن الواضح أنه هو نفسه أيضًا واحد من الخليقة ". يالهم من حمقى! فإن كان هو بكر كل الخليقة جمعاء فهو إذن مغاير لكل الخليقة، لأنه لم يقل إنه كان بكر بقية الخلائق لكى لا يظن أنه مثل واحد من الخلائق، بل قد كتب " بكر كل خليقة " كى يتضح أنه مختلف عن الخليقة. فأروبيين مثلاً لم يُدعَ بكر جميع أولاد يعقوب، بل بكر يعقوب وبكر إخوته، لكى لا يظن

³³ يو: 1: 18

³⁴ كو: 1: 16

أنه شخص آخر ولا ينتمى إلى أولاد يعقوب³⁵. أما بخصوص الرب نفسه فلم يقل الرسول: "لكى يصير بكر الجميع"، لكى لا يُظن أنه يلبس جسداً مختلفاً عن جسدنا، بل قال: "إنه بكر بين أخوة كثيرين"³⁶ وذلك بسبب مشابهة الجسد. فلو كان الكلمة واحداً من بين الخلائق، لكان الكتاب قد قال عنه إنه بكر المخلوقات الأخرى. أما الآن حيث يقول القديسون إنه "بكر كل خليفة" فإنه يتضح العكس تماماً لأنه غير كلّ الخليفة، وأن ابن الله ليس بمخلوق. لأنه إن كان مخلوقاً فسيكون هو بكرًا بالنسبة لنفسه.

فكيف يكون ممكناً أيها الآريوسيون أن يكون هو الأول لذاته والثانى بالنسبة لنفسه؟ وبعد ذلك، فإن كان هو مخلوقاً، وكل الخليفة قد صارت به وتتكون فيه، فكيف يستطيع أيضاً أن يخلق الخليفة وأن يكون فى نفس الوقت واحداً من أولئك الذين خُلِقوا فيه؟ فبدعتهم هذه تظهر منافية للعقل وسقيمة، فهم يحدون عن الحق، لأنه قد دُعى "بكرًا بين أخوة كثيرين" بسبب علاقة الجسد. وسُمى "البكر من بين الأموات" لأن قيامة الموتى تتبع منه وتلى قيامته. وقد دُعى "بكر كل الخليفة" من أجل محبة الآب للبشر التى بسببها، ليس أن الكلّ فقط قد تكون بكلمته، بل إن الخليفة نفسها. التى تحدث عنها الرسول أنها "تنتظر ظهور أبناء الله"³⁷، هى أيضاً سوف "تعتق يوماً من عبودية الفساد

³⁵ انظر تك35: 23

³⁶ رو8: 29

³⁷ رو8: 19

إلى حرية مجد /بناء الله³⁸. وهكذا فبعد أن تتحرر الخليقة فسيكون الرب أيضًا هو بكرها وبكر كل الأولاد المولودين، لكي بتسميته "الأول" فإن الذين يتبعونه يظلون مرتبطين به كبداية لهم.

64. واعتقد أن الكافرين أنفسهم سيخجلون من مثل هذا الرأي، لأنه لو أن الأمر لم يكن هكذا مثلما قلنا، بل هم يريدونه أن يكون . بحسب الجوهر . مخلوقًا بين الخلائق. وبهذا المعنى يفسرون "بكر كل الخليقة"، فدعهم إذن يعترفون أنهم . في هذه الحالة . سيفهمونه أنه أخ ومشابه للكائنات الغير ناطقة والتي بلا نفس. لأنه الأشياء هي أيضًا أجزاء من كلّ الخليقة، لذلك يكون البكر بالضرورة هو الأول من الناحية الزمنية فقط، أما من ناحية النوع والتشابه فيكون هو والجميع شيء واحد. فكيف إذن لا يفوقون كل كفر عندما يقولون هذا؟ ومن سيحتلمهم عندما يتكلمون هكذا؟ وكيف يستطيع أحد ألا يشمئز منهم بسبب أنهم يتفكرون في مثل هذه الأمور؟

لأنه واضح للجميع أنه دعى "بكر الخليقة" ليس بسبب نفسه كما لو كان مخلوقًا، ولا بسبب أن له علاقة ما من جهة الجوهر مع كل الخليقة، بل لأن الكلمة . منذ البدء . عندما خلّق المخلوقات، تنازل إلى مستواها حتى يتيسر لها أن تأتي إلى الوجود. لأن المخلوقات ما كان ممكنًا لها أن تحتمل طبيعته . التي هي بهاء الآب الخالص . لو لم يتنازل ويعضدها ويمسك بها ويحضرها إلى الوجود بسبب محبة الآب للبشر. ونكرر أيضًا أنه بنزول الكلمة، قد صار به تبنى الخليقة نفسها

به، لكى يصير هو بكرها فى كل شئ كما سبق أن قيل، سواء فى الخلق أم فى دخوله إلى العالم نفسه من أجل الكلّ لأنه مكتوب " ومتى أدخل البكر إلى العالم، يقول ولتسجد له كل ملائكة الله"³⁹. فليسمع أعداء المسيح وليمزقوا أنفسهم بشدة. لأن إدخاله إلى العالم ساهم فى تسميته "بكر" الكلّ، حتى يكون هو ابن الآب الوحيد الجنس بسبب أنه هو الوحيد الذى من الآب، كما أنه "بكر" الخليقة من أجل تبنى الجميع. ولأنه هو بكر بين الأخوة، وقد قام من بين الأموات ليكون هو باكورة الراقدين⁴⁰، لذلك كان من الواجب أن يكون متقدماً فى كل شئ، لهذا فقد "خُلِق أول الطرق". لكى إذ نتبعه وندخل بواسطته وهو القائل "أنا هو الطريق" و "الباب" ونشترك فى معرفة الآب، فإننا نسمع الكلمات: " طوباهم الذين بلا عيب فى الطريق"⁴¹ وأيضاً " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله"⁴².

65. وهكذا إذ قد ظهر الحق واتضح أن الكلمة من جهة طبيعته ليس مخلوقاً بالطبيعة، فمن المناسب الآن أن نوضح كيف قيل عنه "أول الطريق". لأنه حيث إن الطريق الأول الذى كان من خلال آدم، قد ضاع وانحرفنا إلى الموت بدل الفردوس وسمعنا القول: " إنك من التراب وإلى التراب تعود"⁴³، لذا فإن كلمة الله المحب للبشر لبس .

³⁹ عب: 1: 6

⁴⁰ انظر 1كو: 15: 20

⁴¹ مز: 119: 1

⁴² مت: 5: 8

⁴³ تك: 3: 19

بمشيئة الآب . الجسد المخلوق لكى يُحيى بدم نفسه هذا الجسد الذى أماته الإنسان الأول بسبب تعدّيه، كما قال الرسول: "وكرس لنا طريقاً حياً حديثاً بالحجاب أى جسده"⁴⁴. وهو ما شار إليه فى موضع آخر حينما قال: "إن كان أحد فى المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكلّ قد صار جديدًا"⁴⁵. فإن كان كلّ شئ قد صار خليفة جديدة فمن الضرورى أن يكون هناك شخص هو بكر هذه الخليفة. ولا يمكن أن يكون هو الإنسان الضعيف الترابى، وهى حالتنا نحن بسبب التعدى. لأنه فى الخليفة الأولى قد صار البشر عديمى الايمان وهلكت الخليفة الأولى بسببهم، ولذا صارت هناك حاجة إلى آخر وهو الذى يقوم بتجديد الخليفة الأولى والذى يحفظ الخليفة الجديدة التى ستخلق. فليس هناك أحد غير الرب . الذى هو بداية الخليفة الجديدة . قد خُلِقَ (كما قيل سابقاً) ليكون أول الطريق، وذلك من محبته للبشر، وهكذا يكون من الصوات أن يقول: " الرب خلقنى أول طريقه لأجل أعماله " لكى لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليفة الأولى. وإذ توجد بداية خليفة جديدة والمسيح هو بدء طريقها، إذن فلنقتف أثره لأنه هو الذى قال لنا: " أنا هو الطريق". وأيضاً يعلم الرسول المغبوط فى رسالته إلى أهل كولوسى قائلاً: " هو رأس الجسد الكنيسة، الذى هو البداية، البكر من بين الأموات لكى يكون متقدماً فى كل شئ"⁴⁶.

⁴⁴ عب10: 20 انظر أيضاً كتاب تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 5/25.

⁴⁵ 2كو5: 17

⁴⁶ 1كو1: 18

66 . لأنه إن كان المسيح . كما قيل . يعتبر بداية بسبب القيامة من الأموات، إذ قد حدثت القيامة عندما لبس جسدنا وبعد ان سلم ذاته للموت من أجلنا، فإنه يكون واضحاً أن ما قاله هو: " خلقتى أول طرفه " يشير ليس إلى جوهره بل إلى وجوده الجسدى. لأن الموت خاص بالجسد. وكما أن الموت صفة خاصة للجسد، هكذا أيضاً فإن الوجود الجسدى يكون خاصاً بالقول: " الرب خلقتى أول طرفه ". لأنه هكذا خلِقَ المخلَص بحسب الجسد وصاروا أول الذين صاروا من جديد وأتخذ باكورتنا التى هى الجسد البشرى الذى لبسه، ويعدده يأتى الشعب الآتى الذى خلِقَ كما قال داود: " يكتب هذا لجيل آخر، وشعب سيخلق يسبح الرب"⁴⁷. ويقول فى المزمور الحادى والعشرين: " الجيل الآتى سيخبر عن الرب. وسيعلنون بره للشعب الذى سيولد الذى صنعه الرب"⁴⁸. لأننا لن نسمع بعد: " يوم تأكل منها موتاً تموت"⁴⁹، بل نسمع: " حيثما أكون أنا تكونون أنتم أيضاً"⁵⁰. وهكذا نستطيع أن نقول: " لأننا نحن عمله مخلوقين لأعمال سالحة"⁵¹. ومرة أخرى حيث إن عمل الله . أى الإنسان . الذى خلِقَ كاملاً، قد صار ناقصاً بسبب المخالفة، وصار ميئاً بالخطيئة، فلم يكن لائقاً أن يظل عمل الله ناقصاً. ولأجل هذا توسل جميع القديسين قائلين فى المزمور 137: "

⁴⁷ مز 102: 18

⁴⁸ انظر 22: 30 و 31 (مز 21 بالسبعينية).

⁴⁹ تك 2: 17

⁵⁰ يو 14: 3

⁵¹ انظر أف 2: 10

يارب جازهم بسببي.. يارب لا تتخلّ عن أعمال يدك⁵². لأجل هذا فإن كلمة الله الكامل قد لبس الجسد ناقص. ولهذا يُقال إنه " خُلِقَ من أجل الأعمال"، لكي بعد أن يوفى الدين بدلاً منا يكملّ نفسه ما هو ناقص عند الإنسان. فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس. وهذا يتضح ما قاله المخلص: " أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته"⁵³ وأيضًا " الأعمال التي أعطاني الآب إياها لأكملها. هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي"⁵⁴، إن الأعمال التي يتحدث عنها هنا أن الآب قد أعطاها له ليكملها، هي تلك التي خُلِقَ من أجلها كما يقول في الأمثال: " الرب خلقني أول طريقه لأجل أعماله". وهذا كإنه يقول: " الآب أعطاني الأعمال" و" الرب خلقني لأجل الأعمال".

67. إذن يامحاربي الله، متى أخذ الأعمال لكي يكملها؟ فمن هذا أيضًا سيتضح معنى اللفظ "خُلِقَ". فإن قلتم إن هذا حدث في البدء عندما صنع الأشياء من العدم، يكون هذا كذباً وغير حقيقي، ذلك لأن الأعمال لم تكن قد وجدت بعد. وواضح أنه يقول إنه أخذ "أعمالاً" كانت موجودة عندئذ. وليس من التقوى أن نقول إن هذا حدث قبل الزمن الذي صار فيه الكلمة جسداً، لكي لا يبدو أن مجيئه إلى العالم كان عديم النفع، لأن مجيئه كان لأجل هذه "الأعمال". إذن علينا أن

⁵² مز 138: 8 (مز 137 بالسبعينية)

⁵³ يو 17: 4

⁵⁴ يو 5: 36

نداوم القول إنه عندما صار إنسانًا، فإنه عندئذ فقط أخذ "الأعمال". لأنه عندئذ أكملها أيضًا شافيًا جراحيًا ومانحًا إيانا القيامة من الأموات. لأنه إن كانت "الأعمال" قد أعطيت عندئذ للكلمة أى عندما صار جسدًا، فإنه يكون واضحًا أنه عندما صار إنسانًا فإنه حينئذ أيضًا "خلق" لأجل الأعمال". إذن فلفظ "خَلَقَ" لا يشير إلى جوهره . كما قلنا مرارًا . بل إلى ولادته بالجسد. ولأن الأعمال صارت ناقصة ومشوهة بسبب التعدى، لذا يُقال عنه إنه "خلق" من جهة الجسد، لكى بعد أن يكتمل هذه الأعمال ويتم صنعها يُحضر الكنيسة إلى الآب كما قال الرسول: " لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب"⁵⁵.

إذن فقد كَمَلَ فيه الجنس البشرى وأُعيد تأسيسه كما كان فى البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأول. لأننا بعد القيامة من بين الأموات لن نخاف الموت بعد، بل سنملك فى السموات مع المسيح على الدوام. وهذا لأن كلمة الله الذاتى عينه، الذى من الآب، قد لبس الجسد وصار إنسانًا. لأنه لو كان مخلوقًا ثم صار إنسانًا فإن الإنسان يبقى كما كان دون أن يتحد بالله. لأنه كيف يمكن لمخلوق أن يتحد بالخالق بواسطة مخلوق؟ لأن أى معونة يمكن أن يحصل عليها متماتلون من مماتليهم ما داموا هم أيضًا محتاجين إلى نفس المعونة⁵⁶؟ وإن كان الكلمة مخلوقًا فكيف يمكن أن يبطل حكم الله ويصفح عن الخطيئة وهو أمر

55 أف5: 27

⁵⁶ يعزّر القديس أنثاسيوس عن نفس هذه الحقيقة بعبارة أخرى، انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق،

فصل 7/13، فصل 5/21.

كتب عنه الأنبياء أنه خاص بالله؟ لأن " من هو إله مثلك غافراً للإثم ومتغاضٍ عن الخطايا"⁵⁷. فإن الله قال: " إنك تراب وإلى التراب تعود"⁵⁸، والبشر قد صاروا مائتين. إذن فكيف يكون في إمكان المخلوقين أن يبطلوا الخطية؟ فإن الرب نفسه هو الذي أبطلها كما قال هو نفسه: " إن لم يحركم الابن"⁵⁹، وأوضح حقاً أن الابن الذي حرر ليس مخلوقاً وليس من بين المخلوقات، بل هو الكلمة الذاتى وصورة جوهر الآب، وهو الذى "أصدر الحكم"⁶⁰، فى البداية، وهو الذى صفح عن الخطايا. وإذ قيل بواسطة الكلمة " أنت من التراب وإلى التراب تعود" هكذا أيضاً قد تحققت الحرية بالكلمة نفسه وفيه، وبه قد صار إبطال الدينونة.

68. ولكنهم يقولون إنه يمكن أن يكون المخلص مخلوقاً ومع ذلك يقول الله مجرد كلمة ليبطل بها اللعنة. ومن المحتمل أن يسمعو نفس الشئ من آخر يقول: " كان فى الإمكان ألاّ يأتى الابن إلى العالم على الإطلاق، وأن يتكلم الله فقط ويبطل النعمة"⁶¹. ولكن يلزم التفكير فى تحديد ما هو ملائم للبشر وليس فى ما يكون فى استطاعة الله. لأنه

⁵⁷ ميخا: 7: 18.

⁵⁸ تك: 3: 19.

⁵⁹ انظر يو: 8: 36.

⁶⁰ يقصد أن الكلمة هو الذى أصدر حكم الموت "لأنك من التراب وإلى التراب تعود".

⁶¹ سبق أن حاجج كلسوس المسيحيين بهذا القول. انظر أوريجينوس فى رده على كلسوس 3/4 غير أن هذه الحجة وردت على لسان الأريوسيين، كما سبق أن أشار إليها القديس أثناسيوس من قبل وفنداها فى كتابه تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 44.

كان قادرًا أن يهلك البشر المخالفين قبل فلك نوح، ولكنه فعل هذا بعد الفلك. وكان يستطيع بدون موسى أن يخرج الشعب من مصر بكلمة فقط، ولكن كان من المفيد أن يفعل هذا بواسطة موسى. وكان يستطيع الله أيضًا أن يخلص الشعب بغير القضاة ولكن كان من مصلحة الناس أن يقيم لهم قاضيًا فى كل عصر. وكان من الممكن أن يقيم المخلص بيننا منذ البداية، أو بعد أن جاء كان يمكنه ألاّ يستسلم لبيلاطس. لكنه جاء عند إنقضاء الدهور. فعندما سألوه قال: " أنا هو"⁶². لأن ما صنعه كان هو بعينه النافع للبشر. ولم يكن من المناسب أن يكون هناك شئ آخر. وبرعايته قد صنع أيضًا ما هو نافع ولازم.

إذن فهو قد " جاء لا لى يُخدم، بل لى يخدم وأن يصنع لنا خلاصًا"⁶³. وبالتأكيد كان يستطيع أن يملئ الشريعة من السماء غير أنه رأى أنه لصالح البشر أن يملئها من سيناء. وهذا ما قد صنعه بالفعل حتى يستطيع موسى أن يرتقى الجبل ويتمكن أولئك الذين يسمعون الكلام عن قرب أن يؤمنوا أكثر. ويمكن أيضًا أن ندرك صواب ما قد فعله من الآتى:

ولو أن الله قال كلمة واحدة . لسبب قدرته . وأبطل بها اللعنة، لظهرت قوة الذى أعطى الأمر ولكن الإنسان سيظل كما كان آدم قبل العصيان، لأنه كان سيحصل على النعمة من الخارج دون أن تكون متحدة مع الجسد (فهذه كانت الحالة عندما وضع فى الجنة) بل ربما صارت حالته الآن أسوأ مما كان فى الجنة بسبب أنه قد تعلم كيف

⁶² يو 18: 5

⁶³ مت 20: 28

يعصى. فلو كانت حالته هكذا وأغوى مرة أخرى بواسطة الحيّة لصارت هناك حاجة مرة أخرى أن الله يأمر ويبطل اللعنة وهكذا تستمر الحاجة إلى ما لا نهاية، ولظل البشر تحت الذنب لسبب استعبادهم للخطية. إذ هم يقتربون الأثم. ولظلوا على الدوام في حاجة لمن يعفو عنهم ولما خلصوا قط. ولكونهم أجسادًا بحسب طبيعتهم فإنهم يظلون مقهورين دائمًا بواسطة الناموس لسبب ضعف الجسد⁶⁴.

69. ومرة أخرى (نقول)، لو كان الابن مخلوقًا لظل الإنسان مائتًا كما كان قبلاً، حيث إنه لم يتحد بالله. فإنه لا يستطيع مخلوق أن يوحد المخلوقات مع الله، إذ أنه هو نفسه في حاجة لمن يوحده بالله. وليس في وسع جزء من الخليقة أن يكون خلاصًا للخليقة إذ هو نفسه في حاجة إلى الخلاص. ولكي لا يحدث هذا أرسل الله ابنه وصار ابن الإنسان بأخذه الجسد المخلوق. وحيث إن الجميع كانوا خاضعين للموت، وكان هو مختلفًا عن الجميع فقد قدّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع. إذن حيث إن الجميع ماتوا بواسطته هكذا قد تم الحكم (إذ أن الجميع ماتوا في المسيح). وهكذا فإن الجميع يصيرون بواسطته أحرارًا من الخطية ومن اللعنة الناتجة عنها، ويبقى الجميع على الدوام قائمين من الأموات ولايسين عدم موت وعدم فساد. وكما قلنا مرارًا وتكرارًا فإن الكلمة بلبسه للجسد بدأ يبطل منه كلية كل لدغة من لدغات الحية، ويقطع منه أي شئ ينبع من حركات الجسد، ويبطل معها أيضًا

⁶⁴ سبق أن أوضح القديس أثناسيوس نفس هذا التعليم بأسلوب مشابه وذلك في إطار دفاعه عن تجسد

الكلمة، انظر كتاب تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 8/44.

الموت الذى يتبع الخطية⁶⁵ كما قال الرب نفسه: " رئيس هذا العالم
يأتى وليس له قى شئ"⁶⁶. وحيث إن أعمال إبليس⁶⁷ قد نُقِصَتْ من
الجسد فقد تحررنا جميعاً بسبب علاقتنا بجسده، وصرنا متحدين مع
الكلمة، ولأننا متحدون مع الله فلن نمكث كثيراً بعد على الأرض، بل
كما قال هو نفسه: " حيث يكون هو هناك نكون نحن أيضاً"⁶⁸. وعندئذ
لن نخاف الحيّة بعد لأنها أبطلت بواسطة الجسد بعد أن طردها
المخلّص عندما سمعت " اذهب عنى يا شيطان"⁶⁹. وهكذا طُرد خارج
الفردوس وألقى فى النار الأبدية. ولن نحترس بعد من المرأة التى
خدعتنا لأنه فى " القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون
كالملائكة"⁷⁰ وستكون خليفة جديدة فى المسيح يسوع " حيث ليس ذكر
وأنثى"⁷¹. بل سيكون المسيح الكلّ فى الكل⁷²، وحيث يكون المسيح
فأى خوف أو خطر يكون هناك؟

70. ولكن كل هذا لم يكن ممكناً أن يحدث لو أن الكلمة كان مخلوقاً

⁶⁵ يُجمل القديس أنثاسيوس فى هذه الفقرة تعليمه ودفاعه عن ألوهية الابن المتجسد موضعاً عمله
الخلاصى من أجل البشرية كلها. ويمكن مقارنة هذا الجزء بما ورد فى كتابه "تجسد الكلمة" الفصل
20، حيث لخص فيه القديس أنثاسيوس سبب ظهور كلمة الله فى الجسد.

⁶⁶ يو 14: 30

⁶⁷ 1يو 3: 8

⁶⁸ انظر يو 14: 13

⁶⁹ مت 4: 10

⁷⁰ مت 22: 30

⁷¹ انظر غلا 3: 28.

⁷² انظر 1كو 15: 28

فالشيطان إذ هو مخلوق فإنه يواصل الحرب دائماً ضد المخلوق، وحيث إن الإنسان موجود فى وسط الصراع فهو خاضع للموت، إذ ليس له من بواسطته وعن طريقه يتحد بالله لكى يتحرر من كل خوف. ولذلك فإن الحق يوضح أن الكلمة لا ينتمى إلى المخلوقات، بل بالحرى هو نفسه خالقهم. ولذلك فقد لبس الجسد البشرى المخلوق، لكى بعد أن يجده كخالق فإنه يؤله هذا الجسد فى ذاته⁷³ هو نفسه، وهكذا يدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته. لأنه ما كان للإنسان أن يتأله⁷⁴ لو أنه أتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهًا حقيقيًا. وما كان للإنسان أن يقف فى حضرة الآب لو لم يكن الذى لبس الجسد هو بالطبيعة كلمته الحقيقى.

وكما أنه لو لم يكن الجسد الذى لبسه الكلمة جسداً بشرياً لما كنا قد تحررنا من الخطيئة واللعنة (حيث إنه فى هذه الحالة لا يكون هناك شئ مشترك بيننا وبين ما هو غريب)⁷⁵، هكذا لم يكن للإنسان أن يؤله لو لم يكن الكلمة هو ابن طبيعى حقيقى وذاتى من الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشرى بالطبيعة بهذا الذى له طبيعة الألوهية، ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكداً. لذلك فإن الذين ينكرون

⁷³ كثيراً ما يشدد القديس أنثاسيوس على هذه الحقيقة الخلاصية باستخدام هذا التعبير، وذلك فى مثالاته ضد الأريوسيين 39/1، 47/2، 59/2، 33/3، وأيضاً تجسد الكلمة 3/54، وهذا التعبير عند الآباء بصفة عامة لا يعنى أن الإنسان يصير بطبيعته إلهًا بل يعنى أنه يشترك فى الحياة الإلهية، حياة البر والقداسة، التى هي شركة حياة الثالوث.

⁷⁴ راجع أيضاً رسائل القديس أنثاسيوس إلى أدلفيوس 4، وإلى سرابيون عن الروح القدس 1:24، والدفاع عن الإيمان 14.

⁷⁵ يقصد بـ"ما هو غريب"، الطبيعة الإلهية التى تختلف عن طبيعتنا البشرية المخلوقة.

أن الابن هو بالطبيعة من الآب وأنه مولوده الذاتى من جوهره، فليتكروا أيضًا أنه قد حصل على جسده البشرى الحقيقى من مريم الدائمة البتولية. لأنه لن يكون لنا نحن البشر أى ربح بعد، إن لم يكن **الكلمة** هو ابن الله الحقيقى بالطبيعة، وإن لم يكن الجسد الذى اتخذه هو جسد حقيقى. ولكنه بالتأكيد قد اتخذ جسدًا حقيقيًا برغم ما يهذى به فالنتينوس⁷⁶، ذلك لأن **الكلمة** هو إله حق بالطبيعة رغم هذيان مجانين الآريوسية⁷⁷. فهو بهذا الجسد قد صار بدء خليقتنا الجديدة لأنه قد خُلِقَ كإنسان لأجلنا وقد كرّس لنا ذلك الطريق كما قد كُتِبَ.

71. إذن **فالكلمة** ليس مخلوقًا، لأن ألفاظ "المخلوق" و"المصنوع" و"العمل" تعنى نفس الشئ. فلو كان "مخلوقًا" لكان أيضًا "مصنوعًا" و"عملاً" لهذا فإنه لم يقل "خلقتى عملاً" و"صنعتى مع الأعمال" لكى لا يُظن من الناحية الأخرى . حسب نية الكافرين . أنه صار أداة من أجلنا. وأيضًا لم يعلن: "خلقتى قبل الأعمال"، لئلا وهو كائن قيل الكلّ "مولود"، ثم يقال أنه أيضًا "مخلوق قبل الأعمال"، فإن اللفظ "مولود"، واللفظ "خُلِقَ" يظهران كأن لها نفس المعنى. ولكنه قال بتمييز دقيق: "من أجل الأعمال" كأنه يقول "الآب صنعتى جسدًا لكى أصير إنسانًا"، حتى يظهر من هذا أيضًا انه ليس "عملاً"، بل هو "مولود". لأنه كما أن من يدخل إلى المنزل لا يعتبر جزءً من المنزل، بل هو مختلف عن

⁷⁶ فالنتينوس: هو الممثل الرئيسى للغنوسية فى القرن الثانى وبحسب مذهبه أن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لانهاية من الآلهة الوسطاء . أى الدهور . وقد وصلت إلينا أخبار هذه الهرطقة أساسًا من ايريناوس وهيبوليتوس .

⁷⁷ انظر فصل 1:14 وفصل 17:15.

المنزل⁷⁸، هكذا من يُخلق من أجل الأعمال فإنه بالطبيعة مغاير للأعمال. لأنه لو كان كلمة الله "عملاً". وفقاً لمعتقداتكم أيها الآريوسيون. فبأية "حكمة" إذن وبأية "يد" قد وُجد هو أيضاً؟ لأن كل الكائنات قد وُجدت بيد الله وحكمته. فإن الله نفسه يقول " كل هذه صنعتها يدي"⁷⁹. وداود يرثل قائلاً: " منذ البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك"⁸⁰. ويقول أيضاً فى المزمور المئة والثانى والأربعين: " تذكرت أياماً قديمة، تأملت فى جميع اعمالك، بصنائع يديك كنت أتأمل"⁸¹. إذن فإن كانت يد الله هي التى صنعت الصنائع، وقد كُتبت: " كل الأشياء قد صارت ~~بالحكمة~~ وبغيره لم يكن شئ مما كان"⁸²، وأيضاً: " رب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء"⁸³، وأيضاً " فيه يقوم الكل"⁸⁴، فإنه من الواضح أن الابن لا يمكن أن يكون "عملاً" ولكنه هو يد الله وحكمته. وقد عرف هذا الذين صاروا شهوداً فى بابل أى حنانيا وعزريا وميصائيل، وهم يدحضون الكفر الآريوسى لأنهم قالوا: " باركى الرب يا جميع أعمال الرب"⁸⁵. وقد اعتبروا كل ما

⁷⁸ يذكر القديس أنثاسيوس تشبيهاً ممانلاً عن دخول أحد الملوك العظام مدينة عظيمة وسكنه فى أحد

منازلها، انظر "تجسد الكلمة" المرجع السابق، فصل 3/9.

⁷⁹ إش 66: 2

⁸⁰ مز 102: 25

⁸¹ مز 142: 5

⁸² انظر يو 1: 3

⁸³ 1كو 8: 6

⁸⁴ كو 1: 17

⁸⁵ دا 3: 57 سبعينية

فى السماء وعلى الأرض والخليقة جمعاء أنها "أعمال" أما الابن فإنهم لم يذكره بين الأعمال لأنهم لم يقولوا: "بارك أيها الكلمة وسبحى أيتها الحكمة". وهذا يوضح أن كلّ الأشياء غيرهما تسبح وهى "أعمال"، أما الكلمة فهو ليس "عملاً" ولا ينتمى إلى الأشياء التى تسبح، بل هو مُسبح مع الآب ومعبود ويُعترف به إلهاً لأنه هو كلمة الآب وحكمته وهو خالق "الأعمال". وقد قال الروح هذا أيضاً فى المزامير بتمييز بديع للغاية: "لأن كلمة الرب مستقيمة وكل أعماله موثوق بها"⁸⁶، كما يقول أيضاً فى مزموه آخر " ما أعظم أعمالك يارب، كلها صنعتها بحكمة"⁸⁷.

72. فإن كان الكلمة "عملاً" فإنه يكون قد وُجد بواسطة الحكمة، ولما ميزه الكتاب عن "الأعمال"، ولما سمى الكتاب تلك "أعمالاً" بينما يُبشّر به هو أنه كلمة الله وحكمته الذاتية. أما الآن فإن الكتاب إذ يميزه عن "الأعمال" فإنه يوضح أن الحكمة هى خالقة "الأعمال" وهى ليست "عملاً" ونفس هذا التمييز قد استخدمه بولس عندما كتب إلى العبرانيين: "لأن كلمة الله حىّ وفعال، وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميز لأفكار القلب ونياتة، وليست خليقة غير ظاهرة أمامه، بل كل شئ مكشوف وعريان أما عيني ذلك الذى تقدم له الحساب"⁸⁸. لأنه ها هو يدعو الكائنات "خليقة"

⁸⁶ مز 33: 4 سبعينية

⁸⁷ مز 104: 24

⁸⁸ عب 4: 12 و13

أما الابن فيعرفه أنه "كلمة الله" الذي هو مختلف عن المخلوقات. وهو يقول أيضاً: " كل شئ مكشوف وعريان أمام عيني ذاك الذي تقدم له الحساب"، وهذا يعني أنه غير كل الكائنات.

لهذا إذن فهو الذي يدين، اما كل واحد من الكائنات فهو مسؤل أن يقدم حساباً أمامه. وهكذا فإن كل الخليقة تئن معاً من أجل أن تتحرر من عبودية الفساد⁸⁹، وبهذا يظهر أن الابن هو غير المخلوقات لأنه لو كان مخلوقاً لكان واحداً من أولئك الذين يئنون ويحتاج إلى من يعطيه التبنى ويحرره ايضاً مع الكائنات الأخرى. فإن كانت كل الخليقة تئن معاً من أجل التحرر من عبودية الفساد، إلاّ أن الابن ليس من بين الذين يئنون ولا من بين الذين يحتاجون إلى الحرية، بل هو الذي يعطى التبنى والحرية للجميع كما قال لليهود في تلك الأيام: " العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً"⁹⁰. فمن ذلك يصير واضحاً أكثر من النور أن كلمة الله ليس مخلوقاً، بل هو ابن الآب الحقيقي الأصل بالطبيعة.

إذن فيما يتعلق بالعبارة " الرب خلقني أول الطرق"، وإن كنا نتناولها بإيجاز فإن هذا يكفي كما اعتقد ليعطى مادة للعارفين لكي يعدوا ردوداً على البدعة الأريوسية. ولكن عندما قرأ الهراطقة الآية المكتوبة بعدها: "أسسني قبل أن يكون الدهر"⁹¹، أسأوا التفكير بخصوصها وظنوا أنه يشير بها إلى ألوهية الكلمة، وليس إلى حضوره الجسدي، لذا فمن

⁸⁹ انظر رو: 8: 21 و 22

⁹⁰ يو: 8: 35 و 36

⁹¹ أم: 8: 23

الضرورى أن نشرح هذه الآية لكى نثبت ضلالهم.

الفصل الثانى والعشرون

شرح نصوص: سادساً:

”أسسنى قبل الدهر“

أمثال 8: 22-30

73. مكتوب " بالحكمة أسس الله الأرض"¹. فإن كانت الأرض إذن قد تأسست بالحكمة فكيف تأسس هذا الذى أسسها؟. ولكن هذا النص قد قيل بأسلوب الأمثال. ويجب أن نبحث عن المقصود من هذا لكى نعرف أن الله خلق الأرض وأسسها بالحكمة لكى تكون ثابتة وطيدة وتظل باقية. والحكمة نفسها تأسست لأجلنا لكى تصير بداية وأساس خليقتنا الجديدة وتجديدنا. وهنا أيضاً لا يقول فى هذه النصوص أنه "قبل الدهر (العالم) قد صنعنى كلمة أو ابناً لكى لا يبدو أن له بداية صنع، فقبل كل شئ يجب أن نبحث إن كان هو ابناً وأن نفتش الكتب بخصوص هذا الأمر. فهذا ما أجاب به بطرس، عندما سئل الرسل، قائلاً: " أنت هو المسيح ابن الله الحى"². فإن أب الهرطقة الأريوسية³ سأل هذا السؤال أيضاً فى البداية: " إن كنت ابن الله؟"⁴ لأنه عرف أن هذا هو الحق وأساس ايماننا، وإنه إن كان هو الابن فيكون هذا هو نهاية حكم الشيطان الاستبدادى، أما إن كان مخلوقاً فإنه يكون واحد من ذرية

¹ أم 3: 19

² مت 16: 16

³ أبو الهرطقة الأريوسية هو الشيطان.

⁴ مت 4: 6

آدم الذى خدعه الشيطان، وبذلك فلا يكون لديه داعٍ لأى اكتشاف. وكان يهود ذلك الزمان ساخطين لأنه دعا نفسه ابن الله وكان يقول إن الله أبوه. لأنه لو كان قد دعا نفسه واحدًا من بين المخلوقات أو لو كان قد قال: "إنى مصنوع" لما اندهشوا وهم يسمعون ولما ظنوا أن هذه الأقوال تجديف، ما داموا يعرفون أن الملائكة كانت تظهر لأبائهم أيضًا. ولكن حينما دعا نفسه ابنًا بدأوا يعتبرون أن هذا اللقب لم يكن يميّز المخلوق بل يميز الألوهية وطبيعة الآب.

74 . وكان ينبغى على الآريوسيين . محاكاة لأبيهم الشيطان . أن يبحثوا هذا الأمر بدقة. لو كان قد قال: "أسنى كلمة أو ابنًا" وأن يفكروا كما يفكرون. ولكن إن لم يكن قد قال هكذا فلا ينبغى أن يبتدعوا لأنفسهم أمورًا لا وجود لها. لأنه لم يقل: " قبل الدهر أسنى كلمة أو ابنًا" بل قال ببساطة "أسنى" لكى يوضح . كما قلت . إنه يقول هذا فى أمثال ليس عن نفسه بل عن هؤلاء الذين يُبَيِّنُونَ فوقه. ولأن الرسول قد عَرَفَ هذا لذا فإنه يكتب: " لا يستطيع أحد أن يضع أساسًا آخر غير الذى وُضِعَ الذى هو يسوع المسيح"⁵ وأيضًا " فليُنظر كل واحد كيف يُبنى عليه"⁶ ومن الضرورى أن يكون الكلام مماثلًا لتلك الأشياء التى تُبنى عليه حتى يمكنها أن تتلائم معه وتتحد به. ولكونه الكلمة، فإنه من حيث كونه كلمة حَقًّا فلا يوجد هناك من يماثلونه حتى يمكن أن يتحدوا معه . وذلك لأنه وحيد الجنس . ولكنه بصيرورته إنسانًا فقد صار له

⁵ 1كو3: 11

⁶ 1كو3: 10

مماثلون وهم الذين إرتدى جسدهم المماثل لجسده. وتبعاً لذلك فإنه "تأسس" بحسب بشرّيته لكي يمكننا نحن أيضاً أن نبنى فوقه كحجارة كريمة ونصير هيكلًا للروح القدس الساكن فينا. وكما إنه هو أساس حقًا، فنكون نحن الحجارة التي تبنى عليها، وأيضًا يكون هو الكرمة ونصير نحن أغصانه ليس بحسب جوهر اللاهوت . لأن هذا مستحيل حقًا . بل بحسب بشرّيته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة، حيث إننا نحن مشابهون له بحسب الجسد.

وأيضًا حيث إن الهراطقة يفكرون بطريقة بشرّيّة فمن الملائم أن ندحض أقوالهم بأمثال بشرّيّة. فهو لم يقل: "قد جعلني أساسًا" لكي لا يجدوا في هذا القول حجة وقحة للكفر زاعمين إنه مصنوع وأن له بداية وجود، بل قال إنه: "أسسني". فالذي يؤسس إنما يؤسس بسبب الحجارة التي توضع فوقه وهذا يحدث ليس كيفما أتفق، بل بنقل الحجارة من جبل أولاً ثم بعد ذلك توضع في عمق الأرض. وطالما كانت الحجارة موجودة في الجبل فهي لا تكون قد تأسست بعد، إلا عندما تستدعي الحاجة فيتم نقلها وتوضع في عمق الأرض، وعندئذ لو كانت تستطيع أن تتكلم لقلت: "الآن أسسني هذا الذي نقلني من الجبل إلى هنا". إذن فالرب عندما "أسس" لم يكن هذا هو بداية وجوده (لأنه قبل التأسيس كان كلمة)، لكن عندما لبس جسدنا الذي أخذه كقطعة من جسد مريم عندئذ يقول: "أسسني" كما لو كان قد قال: "لكوني كلمة فقد ألبسني جسدًا ترابيًا". لأنه هكذا تأسس من أجلنا. آخذًا ما يخصنا على عاتقه. لكي بإتحادنا معه في الجسد، وارتباطنا به بسبب مشابهة الجسد نبقى

غير مائتين وغير قابلين للفساد وبه نصل إلى إنسان كامل⁷.

75 . أما العبارات: " قبل الدهر " و " قبل أن يصنع الأرض " و " قبل أن ترسى الجبال " ⁸ فلا يتبغى لأحد أن ينزعج بسببها، لأنه ربطها بتناسق تام مع لفظ "أسس" ولفظ "خلق". لأن هذا ينسجم أيضاً مع التدبير بحسب الجسد. لأنه رغم أن النعمة التي صارت نحونا من المخالص وقد ظهرت كما قال الرسول⁹ وقد حدث هذا عندما أقام بيننا، إلا أن هذه النعمة قد أعدت قبل أن يخلقنا بل حتى من قبل أن يخلق العالم. والسبب في هذا صالح ومذهل. فلم يكن من اللائق أن يفكر الله بخوصنا بعد أن خلقنا لكي لا يظهر إنه يجهل الأمور التي تتعلق بنا. فإنه الجميع إذن . عندما خلقنا بكلمته الذاتى ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدماً أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين للوصية، وأنا سنطرد من الجنة بسبب العصيان . ولأنه هو محب البشر وصالح فقد أعد من قبل تدبير خلاصنا بكلمته الذاتى الذى به أيضاً خلقنا. لأننا حتى إن كنا قد خُدعنا بواسطة الحيّة وسقطنا فلا نبقى أموات كلية بل يصير لنا بالكلمة الفداء والخلاص الذى سبق إعداده لنا لكي نقوم من جديد ونظل غير مائتين، وذلك عندما "خُلق" هو من أجلنا "بدء الطرق" وصار "بكر الخليقة" و "بكر إخوة" وقام "باكورة الأموات"

⁷ انظر أف 4 : 13

⁸ أم 8 : 23 . 25

⁹ انظر تيطس 2: 11

إن بولس الرسول المغبوط يعلم بهذا كتفسير للنص الذي جاء في الأمثال: "قبل الدهور" و"قبل أن تكون الأرض"، وذلك عندما كتب إلى تيموثاوس قائلاً: "اشتراك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى النعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلوية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة"¹⁰. بل وقال لأهل أفسس: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السمويات في المسيح يسوع. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدامه في المحبة قديسين وبلا لوم. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه"¹¹.

76. وكيف اختارنا قبل أن نُخلّق، إن لم نكن ممثلين فيه من قبل كما قال هو نفسه؟ وعموماً، كيف سبق فعيننا للتبني قبل يخلق البشر إن لم يكن الابن نفسه قد "تأسس قبل الدهور" آخذاً على عاتقه تدبير خلاصنا؟ أو كيف يضيف الرسول قائلاً: "نلنا نصيبنا معينين سابقاً"¹² لو لم يكن الرب نفسه قد تأسس قبل الدهور، حتى يكون له قصد من أجلنا أن يأخذ على عاتقه نصيب الدينونة الكامل من أجلنا عن طريق الجسد وبهذا نكون نحن متبنون فيه؟ وكيف حصلنا على النعمة "قبل الأزمنة" بينما لم يكن قد خلّقنا بعد، بل خلّقنا في الزمن، لو أن النعمة

¹⁰ 2 تي: 1: 8 . 10

¹¹ أفسس: 1: 3 . 5

¹² أفسس: 1: 11

التي وصلت إلينا لم تكن مودعة في المسيح؟ لهذا ففي الدينونة عندما ينال كل واحد بحسب عمله، يقول: " تعالوا يامباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم"¹³. كيف إذن أو بواسطة مَنْ أعد الملكوت قبل أن يخلقنا، إن لم يكن بواسطة الرب الذى "تأسس قبل الدهر" لأجل هذا الغرض، لكى بيناننا عليه كحجارة ملئمة، نشترك فى الحياة والنعمة الممنوحين معه؟ ولقد حدث هذا مثلما يحدث عموماً باستقامة لمن يفكر بنقوى. وذلك لكى نستطيع أن نحيا . كما سبق أن قلت . مادما قد قمنا من الموت المؤقت. وهذا لم يكن فى إمكاننا أصلاً حيث إننا بشر من تراب، لو لم يكن رجاء الحياة والخلص قد أُعد فى المسيح من "قبل الدهور". إذن فمن الإنصاف، إذ إنحدار الكلمة إلى جسدنا و" خَلَقَ فِيهِ أَوَّلُ الطَّرْقِ مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِهِ" فإنه تأسس تماماً حسب مشيئة الأب التى كانت فيه كما قيل: " قبل الدهر" و " قبل أن تكون الأرض" و" قبل أن ترسى الجبال" و " قبل تدفق الينابيع"¹⁴ لكى عندما تزول الأرض والجبال والطبيعة المنظورة فنحن لا نعتق ونبلو مثل هذه المخلوقات، بل سنتمكن أن نحيا بعدها، إذ قبل أن توجد هذه الأشياء قد أُعد لنا حياة وبركة روحية بواسطة الكلمة نفسه حسب الاختيار. لأنه هكذا سيكون لنا ليس حياة مؤقتة بل نبقى أحياء فى المسيح بعد هذه الأشياء، إذ أن حياتنا كانت قد تأسست وأُعدت بالمسيح يسوع قبل هذه الأشياء.

¹³ مت 25: 34

¹⁴ انظر أم 8: 2522

77 . ولم يكن من اللائق إذن أن تؤسس حياتنا بأى طريقة أخرى سوى أن تؤسس في الرب الذي هو كائن منذ الأزل، والذي به قد خُلقت العالمين، لكي نستطيع نحن أيضًا أن نرث حياة أبدية إذ أن هذه الحياة كائنة فيه ولأن الله صالح، وهو صالح على الدوام وهو يعرف طبيعتنا الضعيفة التي تحتاج إلى معونته وخلصه، لذا فقد خطط هذا. وذلك مثلما لو كان مهندس حكيمًا يريد أن يبني منزلًا فإنه يخطط في نفس الوقت كيفية تجديده مرة أخرى لو تدمر يومًا ما بعد أن يتم بناؤه، وهو يُعد لهذا من قبل عندما يخطط، ويعطى للقائم على العمل الاستعدادات اللازمة للتجديد، وهكذا يكون استعداد مسبق للتجديد قبل بناء المنزل. وبنفس الطريقة فإن تجديد خلاصنا قد تأسس في المسيح قبلنا، لكي يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتخطيط قد أعدا منذ الأزل، أما العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلص إلى العالم. لأن الرب نفسه سيكون في السماء من أجلنا أجمعين وسيأخذنا معه إلى الحياة الأبدية.

هذا إذن يكفي لكي يوضح أن كلمة الله ليس بمخلوق، بل إن العبارة لها معنى مستقيم. وبما أنه عند استقصاء معنى هذه العبارة يتضح أن لها معنى مستقيمًا من جميع جهات النظر إذن يلزم أن نتحدث بتوسع في هذا المعنى، لعل الأغبياء يخلطون من كثرة كلامنا. فهم في حاجة من جديد لما سبق أن قيل لأن جوهر الموضوع يدور حول نفس المثل ونفس الحكمة، فالكلمة لم يقل إنه هو نفسه مخلوق بالطبيعة بل قال في الأمثال: "الرب خلقني". ومن الواضح أن هذا القول له معنى غير صحيح ولكنه يشير إلى أمر مستتر يمكننا أن نكشف عنه بإزاحة

الغطاء عن المثل. لأنه من ذا الذى عندما يسمع الحكمة الخالقة تقول: " الرب خلقنى أول طريقه"، ولا يبحث فى الحال عن مغزى هذا القول، لأنه يفكر متمعنا كيف يمكن أن الخالق يُخلق؟ ومن عندما يسمع ابن الله الوحيد الجنس يقول إنه "قد خُلِقَ أول الطرق"، لا يفتش عن معنى هذا، لأنه يعجب كيف أن الابن الوحيد الجنس يمكن أن يكون الأول لآخرين؟ إنه حقًا لغز. غير أن "الرجل ذو الفهم سيفهم المثل والحديث الغامض وأقوال الحكماء والغازهم"¹⁵.

78. والآن فإن ابن الله الوحيد وحكمته الذاتى هو خالق وبارئ جميع الكائنات لأنه مكتوب " بحكمة صنعت كل الأشياء"، " ملأته الأرض بخليقتك"¹⁶ حتى أن المخلوقات تكون موجودة فقط بل يكون هذا الوجود صالحًا. ولهذا سرّ الله أن تتنازل حكمته إلى مستوى الخليقة حتى تطبع الحكمة صورتها بشكل ما على الجميع معًا وعلى كل منها على حدة، حتى يتضح أن المخلوقات متصفة بالحكمة وأنها أعمال الله الجديرة به. لأنه كما أن الحكمة الموجودة فينا هي صورة الحكمة التى هي الابن . كما أن كلمتنا هي على صورة الكلمة الذى هو ابن الله . وبهذه الحكمة ينبغى أن يكون لنا المعرفة، والفهم ونصير مستقبلين للحكمة الخالقة وبواسطة الابن . الحكمة . نستطيع أن نعرف أباه. لأنه مكتوب: " من له الابن له الآب أيضًا"¹⁷ و " من يقبلنى يقبل الذى أرسلنى"¹⁸ حيث إنه

¹⁵ أم 1: 5 و 6

¹⁶ مز 104: 24 سبعينية

¹⁷ 1 يو 2: 23

قد خلق فينا نموذجًا مثل هذا للحكمة، وهو موجود أيضًا في جميع "الأعمال"، فمن الطبيعي أن يأخذ الحكمة الحقيقي و الخالق (أى الابن) ما يختص بنموذجه (أى الجسد) ويقول: " الرب خلقنى لأجل أعماله". لأن ما تقوله الحكمة التى فى داخلنا، هو ما يقوله الرب نفسه كأنه خاص به. وهو يقول هذا ليس لكونه غير مخلوق . إذ أنه هو الخالق . بل سبب صورته المخلوقة من "الأعمال" فهو يقول هذا (الكلام) كما لو كان قد قيل عنه. وكما قال الرب نفسه " من يقبلنى يقبلكم" وبسبب أن صورته موجودة فينا. فبرغم أنه ليس من بين المخلوقات، إلا أنه بسبب أن صورته ونموذجه قد خُلِقَ فى "الأعمال" فإنه يقول كأنه يتكلم عن نفسه: " الرب خلقنى أول طريقه لأجل أعماله". ولهذا فقد صار نموذج الحكمة هذا فى "الأعمال"، لكى بواسطتها يعرف العالم الكلمة خالقه وبواسطته يعرف الآب كما سبق أن قلت. وهذا ما قاله بولس: " لأن معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم لأن أموره غير المنظورة تُرى بوضوح منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات"¹⁹. لذلك فإن الكلمة ليس مخلوقًا بالجواهر ولكن ما جاء فى الأمثال إنما يشير إلى ما هو بداخلنا نحن والذى يُسمى حكمة.

79 . وإن كانوا يرفضون الإيمان، حتى بعد هذا الكلام، فليقولوا لنا إن كانت هناك أية حكمة موجودة فى المخلوقات أم أن المخلوقات ليس فيها أية حكمة! وإن لم تكن هناك حكمة فكيف يلوم الرسول قائلاً: "

¹⁸ مت 10: 40

¹⁹ روم 1: 19، 20

لأنه إذ كان بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة²⁰. وإن لم تكن هناك حكمة فكيف توجد حكمت كثيرة في الكتاب المقدس²¹؟ لأنه " الحكيم يخشى ويحيد عن الشر"²² و " بالحكمة يُبنى البيت"²³ وجاء في سفر الجامعة: " حكمة الإنسان تُنير وجهه"²⁴. وهو يوبخ المتهورين قائلاً: " لا تقل، ماذا حدث، لماذا كانت الأيام السابقة خير من هذه، لأنك لا تسأل بحكمة عن هذا"²⁵ وإن كانت الحكمة موجودة كما قال ابن سيراخ: " وسكبها على جميع أعماله فهي مع كل ذى جسد على حسب عطيته وقد منحها للذين أحبوه"²⁶، فإن مثل هذا الانسكاب لا يكون سمة خاصة لجوهر الحكمة الذاتى والوحيد الجنس بل هو سمة لتلك الحكمة التى صُوّرت فى العالم. فلماذا يكون غير مُصدق أن كانت الحكمة الخالقة الحقيقية . التى هى نموذج الحكمة والمعرفة المنسكبة (المخلوقة) فى العالم . تتحدث عن نفسها وتقول: " الرب خلقنى من أجل أعماله"؟ لأن الحكمة الموجودة فى العالم ليست خالقة بل هى الحكمة المخلوقة داخل الأعمال، تلك الحكمة التى بها: " السموات تحدّث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يده"²⁷. أما الناس فإن

²⁰ 1كو1: 21

²¹ سفر الحكمة:6: 24 سبعينية

²² أم14: 16

²³ أم24: 3

²⁴ جا8: 1

²⁵ جا7: 10

²⁶ ابن سيراخ:1: 109

²⁷ مز19: 1

كانوا يحملون هذه الحكمة بداخلهم فإنهم سيدركون حكمة الله الحقيقية، ويعرفون أنهم قد تشكلوا بحق على صورة الله.

ومتلما يحدث حيثما يريد أحد الملوك أن ينشئ مدينة لابنه، فإن الابن الذي يقوم بالإنشاء. ينقش اسمه على كل الأعمال التي يُجرى بنائها وذلك من أجل الأمن لكي تُحفظ الأعمال بسبب ظهور اسمه على كل عمل ولكي يستطيعوا أن يتذكروه هو وأبيه من الاسم. وعند الانتهاء من إنشاء المدينة فإذا سأله أحد عن المدينة وكيف أنشأت فإنه سيجيب "أنشئت لأنها هذه هي إرادة أبي بالفعل. وحُطت لها بدقة في كل عمق واسمى قد خُلِق في الأعمال". وعندما يقول هذا فإنه لا يعنى أن جوهره قد خُلِقَ بل يعنى أن صورته قد انطبعت من خلال اسمه.

وعلى نفس المنوال إذ نطبق على المثال، فإن الحكمة الحقيقية تُجيب على المندهبين من الحكمة الموجودة داخل الخليقة قائلة: "الرب خلقني من أجل الأعمال" لأن "انطباع الصورة الموجودة فيها هو انطباع صورتي، ولأجل ذلك فأنا قد تنازلت إلى الخليقة".

80. ومرة أخرى لا ينبغي أن يُدهش أحد لو أن الابن تحدث عن المثال المطبوع فينا كما لو كان يتحدث عن نفسه (لأن تكرار نفس الكلام لا يجب أن يبعث على الضجر والملل)، حيث إن شاول حينما كان يضطهد الكنيسة التي يوجد فيها مثاله وصورته فإنه تحدث كما لو كان هو المُضطهد قائلاً: " شاول لماذا تضطهني"²⁸. لذلك (كما سبق القول)، لو كان نموذج الحكمة ذاته الموجود في الأعمال هو الذي قال:

" الرب خلقنى لأجل الأعمال " لما اندهش أحد. وهكذا فإن كان الحكمة الحقيقى الخالق وكلمة الله الوحيد يتحدث عن صورته كما لو كان يتحدث عن ذاته بقوله: " الرب خلقنى لأجل الأعمال"، فلا يجب أن يجهل أحد أن المقصود هو الحكمة المخلوقة فى العالم وفى الأعمال، ويظن أن لفظ "خَلَقَ" قد قيل عن جوهر الحكمة..... كي لا يبدو بمزجه الخمر بالماء²⁹ إنه يسلب الحقيقة. فالحكمة نفسها جالبة وخالقة، ولكن نموذجها مخلوق بداخل الأعمال كنموذج للصورة نفسها تمامًا، وهو يقول: "أول الطريق" حيث إن مثل هذه الحكمة صارت كنوع من البداية وكمرشد إلى معرفة الله. فلو أن أحدًا سار فى أول هذا الطريق حافظًا إياه بخوف الله، كما قال سليمان: " بدء الحكمة مخافة الرب"³⁰ فإنه عندما يتقدم بالفكر مدرِّكًا عمل الحكمة الخالقة الذى فى الخلق، سيدرك بها أباه أيضًا كما قال الرب نفسه: " الذى رآنى فقد رأى الآب"³¹ وكما كتب يوحنا: " من يعترف بالابن فله الآب أيضًا"³² والابن يقول: " قبل الدهر أسس"³³، حيث إن الأعمال تبقى فى نموذجها راسخة دائمًا. ولثلا عندما يسمع أحد عن الحكمة المخلوقة فى الأعمال يظن أن الحكمة الحقيقية ابن الله هو مخلوق بالطبيعة، فإنه يُضيف بالضرورة " قبل أن تكون الجبال" و " قبل أن تكون الأرض" و " قبل المياه" و "

²⁹ انظر إش 1: 22

³⁰ أم 1: 7

³¹ يو 14: 9

³² 1يو 2: 23

³³ أم 8: 23 سبعينية

قبل كل الجبال ولدني"³⁴ وإذ يشير بهذه إلى كل الخليقة فإنه يوضح بقوله: *قبل كل الخليقة* " فإن لم يُخلَق بحسب الجوهر مع الأعمال. لأنه لو كان قد خُلِقَ من أجل الأعمال وهو الموجود قبل الأعمال، فواضح أنه كائن قبل أن يُخلَق، فهو إذن ليس مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر، بل كما أضاف هو نفسه أنه موجود. أما فيما يختلف "المخلوق" عن "المولود" وكيف يتميز عنه بحسب الطبيعة فهذا قد سبق بيانه من قبل.

81. وحيث إنه أضاف قائلاً: " عندما أعدّ السموات كنت أنا في نفس الوقت معه"³⁵ ينبغي أن نعرف أنه لم يقل هذا كما لو أن الآب أعد السماء أو السحب العليا بدون الحكمة، لأنه لا ريب أن جميع الأشياء قد خُلقت بالحكمة، وبغيرها لم يكن شيء ما. وما قاله يعني هذا أن " كل الأشياء قد صارت بي وبواسطتي، وعندما صار هناك احتياج أن تُخلَق الحكمة لأجل الأعمال، فإنني أنا كائن مع الآب حسب الجوهر، لكن بالتنازل إلى المخلوقات قد طبعت صورتني على الأعمال، حتى يكون العالم كأنه في جسد واحد غير متمرد بل يكون متوافقاً مع نفسه. فكل الذين يتأملون المخلوقات بفكر مستقيم بحسب الحكمة المعطاة لهم يستطيعوا أن يقولوا: " كل الأشياء تثبت بتدبيرك"³⁶. أما الذين يستهينون بهذا الأمر فيلزم أن يسمعوا: " وبينما هم يزعمون أنهم حكماء

³⁴ انظر أم 8 : 1 . 22

³⁵ أم 8 : 27 سبعينية

³⁶ مز 119 : 91 سبعينية

صاروا جهلاء³⁷ لأن: " معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى بوضوح منذ خَلَقَ العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر لأنهم لما عرفوا الله لم يمجده كإله³⁸ بل " عبدوا المخلوق دون خالق الكلّ الذى هو مبارك إلى الأبد. آمين"³⁹. وهم بالتأكيد سيخجلون عندما يسمعون: " لأنه إذا كان (العالم) فى حكمة الله (وفقًا لما شرحناه سابقًا) لم يعرف الله بالحكمة، استحسّن الله أن يَخْصّ المؤمنين بجهالة الكرازة"⁴⁰ لأن الله لا يريد بعد . مثلما حدث فى العصور السابقة . أن يُعرف عن طريق صورة وظل الحكمة الموجودة فى المخلوقات بل جعل الحكمة الحقيقية ذاتها تتخذ جسدًا وتصير إنسانًا وتعانى موت الصليب، لكى يتمكن جميع الذين يؤمنون أن يخلصوا بالإيمان به. وطبعًا إن الحكمة ذاتها هى التى أظهرت نفسها من قبل فى صورتها الموجودة فى المخلوقات، والتى يُقال عنها إنها قد خُلقت، وهكذا فقد أظهرت أباهًا أيضًا بواسطة ذاتها. وفيما بعد فإن نفس الحكمة التى هى الكلمة " قد صار جسدًا/ كما قال يوحنا. وبعد إبطال الموت وتخليص جنسنا فإنه أكثر من ذلك أظهر أباه أيضًا من خلال نفسه بقوله: " أعط هؤلاء لكى يعرفونك أنت

³⁷ رو 1 : 22

³⁸ رو 1 : 19 . 21

³⁹ رو 1 : 25

⁴⁰ 1 كو 1 : 21

الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته⁴¹.

82 . إذن فكل الأرض امتلأت بمعرفته، لأن معرفة الآب من خلال الابن ومعرفة الابن من خلال الآب هي معرفة واحدة. والآب يفرح بالابن وبهذا الفرح عينه يبتهج الابن بالآب قائلاً: " كنت أنا موضع فرح، وكنت أفرح كل يوم قدامه"⁴². وهذا يبرهن مرة أخرى أن الابن من ذات جوهر الآب وليس غريباً عنه. فهو إذن لم يوجد من أجلنا كما يدعى الكافرون، وهو ليس من العدم لأن الله لم يتخذ لنفسه موضوعاً للفرح من خارجه، بل من الواضح أن هذه الكلمات هي عن ذلك الذي هو خاص به ومماثل له. فمتى إذن لم يكن الآب يفرح؟ لأنه إن كان يفرح دائماً فلا بد أن ذلك الذي كان يفرح به كان كائناً دائماً. فبماذا يفرح الآب إلا بأن يرى نفسه في صورته التي هي كلمته؟ وحتى إن كان يبتهج ببني البشر عندما أكمل خلق المسكونة كما كتب في الأمثال⁴³ نفسها، ولكن هذا أيضاً له معنى مناسب، لأنه ابتهج ليس لأن الفرح أضيف إليه، بل أيضاً لأنه رأى الأعمال صائرة حسب صورته، ولهذا يكون فرح الله هو بسبب صورته. وأيضاً كيف يبتهج الابن إلا وهو يرى نفسه في الآب؟ فهذا مماثل لقوله: " من رآني فقد رأى الآب"⁴⁴، " أنا

⁴¹ انظر يو 17: 3. راجع أيضاً فصل 3 من كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق، وأيضاً فصل 2/4 حيث يشير القديس أثناسيوس إلى الفرق بين الإعلان الإلهي عن طريق الخليفة كظل للإعلان الإلهي الحقيقي في شخص يسوع المسيح عندما اتخذ جسداً.

⁴² أم 8: 30 سبعينية

⁴³ أم 8: 31

⁴⁴ يو 14: 6

فى الآب والآب فى⁴⁵

إذن بإعداد المسيح، لقد ظهر أن مجادللكم باطلة من جميع النواحي، وعبثاً عرضتم فى تباہِ آراء غير مستقيمة وأدعتموها فى كل مكان عن القول " الرب خلقنى أول طريقه " وأسأتم فهم معناه، وبدلاً من التمسك بفكر سليمان أعلنتم بدعتكم. وها هو رأيكم يتضح أنه خيال فقط، أما قول سفر الأمثال وكما سبق أن أشرنا إليه من أقوال، فهو يبرهن أن الابن ليس مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر، بل هو مولود الآب الذاتى وهو حكمته وكلمته الحقيقى، و" كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان "⁴⁶.

⁴⁵ يو 14 : 10

⁴⁶ يو 1 : 3

فهرس الكلمات والأفعال

	(أ)
133	
أعمال, 26, 46, 61, 79,	ابن, 10, 12, 14, 15, 19,
101, 105, 108, 112,	21, 25, 27, 28, 29,
124, 129, 133, 143,	30, 33, 36, 38, 39,
أقام, 21, 36, 102, 116,	40, 42, 45, 58, 70,
139	73, 75, 87, 98, 100,
الابن, 11, 12, 14, 16,	105, 108, 110, 112,
18, 19, 20, 28, 32,	113, 117, 118, 119,
35, 39, 40, 42, 44,	121, 128, 131, 134,
45, 46, 49, 50, 52,	136, 137, 143, 145,
53, 54, 55, 56, 58,	148
59, 60, 61, 62, 64,	أبناء, 15, 17, 18, 44, 63,
66, 68, 69, 71, 72,	71, 78, 80, 81, 96,
75, 77, 78, 79, 81,	98, 112, 113, 116,
82, 83, 85, 93, 96,	120
98, 99, 102, 104,	إرادة, 42
108, 109, 111, 113,	أسس, 82, 96, 136, 138,
116, 117, 118, 126,	139, 147
128, 129, 130, 131,	إشعاع, 67, 69, 72, 73,
132, 134, 136, 140,	أعد, 139, 141, 148,
143, 146, 150, 151,	أعظم, 12, 42, 50, 125,

الرب, 10, 11, 14, 16, 17,	البارى, 12
18, 19, 20, 22, 23,	الجسد, 21, 23, 27, 30,
26, 27, 31, 32, 34,	34, 36, 38, 93, 97,
36, 38, 42, 44, 51,	102, 104, 105, 107,
53, 55, 57, 59, 61,	115, 119, 122, 123,
64, 65, 67, 77, 82,	125, 128, 129, 130,
85, 87, 88, 89, 90,	138, 139, 140, 144,
91, 92, 94, 96, 97,	الجوهر, 13, 14, 28, 40,
98, 99, 100, 101,	51, 67, 69, 70, 83,
103, 104, 105, 106,	89, 90, 91, 96, 120,
107, 109, 112, 114,	148
116, 119, 120, 122,	الخالق, 46, 48, 81, 88,
123, 126, 129, 133,	93, 113, 143, 144,
134, 140, 142, 144,	147
145, 146, 147, 151,	الخليقة, 12, 13, 21, 28,
الروح, 34, 40, 72, 98,	40, 44, 54, 68, 81,
101, 105, 109, 114,	89, 94, 102, 109,
133	116, 117, 118, 119,
الصائرة, 12, 89, 92, 99,	120, 122, 128, 134,
الصانع, 13, 17, 108,	140, 143, 146, 148,
الطبيعة, 13, 18, 25, 40,	150
56, 60, 61, 68, 75,	الدهر, 135, 136, 137,
	139, 141, 147,

,149 ,144 ,143 ,141	,98 ,94 ,93 ,91 ,89
150	151 ,148 ,114 ,112
المجد , 45 ,50 ,94 ,95	الفساد , 33 ,120 ,134
المخلّص , 10 ,16 ,22 ,25	الكائن , 42 ,79 ,80 ,84
,78 ,69 ,67 ,36 ,32	الكلمة , 10 ,11 ,13 ,14
,123 ,105 ,84 ,81	,22 ,21 ,20 ,19 ,16
142 ,139 ,129 ,126	,27 ,26 ,25 ,24 ,23
المخلوق , 18 ,35 ,51 ,56	,33 ,32 ,30 ,29 ,28
,90 ,89 ,86 ,84 ,81	,42 ,40 ,39 ,38 ,36
,122 ,114 ,97 ,93	,50 ,49 ,48 ,47 ,45
,137 ,131 ,130 ,128	,58 ,57 ,56 ,54 ,53
149 ,148	,67 ,65 ,64 ,62 ,59
المخلوقات , 12 ,19 ,20	,72 ,71 ,70 ,69 ,68
,45 ,44 ,43 ,30 ,27	,80 ,79 ,78 ,77 ,73
,52 ,50 ,49 ,47 ,46	,94 ,93 ,92 ,88 ,84
,59 ,58 ,56 ,55 ,53	,99 ,98 ,97 ,96 ,95
,69 ,68 ,65 ,64 ,61	,108 ,107 ,102 ,100
,93 ,91 ,89 ,88 ,81	,114 ,113 ,111 ,109
,99 ,97 ,96 ,95 ,94	,120 ,118 ,117 ,115
,117 ,115 ,109 ,108	,126 ,125 ,122 ,121
,126 ,120 ,119 ,118	,130 ,129 ,128 ,127
,137 ,134 ,130 ,128	,137 ,135 ,133 ,132

,122 ,116 ,106 ,105	,145 ,144 ,143 ,141
,129 ,126 ,125 ,123	148
149 ,141 ,140	المخلوقة, 11 ,14 ,19 ,40
الموجود, 42 ,72 ,79 ,113	,70 ,61 ,60 ,56 ,48
147	,145 ,144 ,77 ,76
الموجودة, 13 ,33 ,47 ,48	147
,145 ,143 ,77 ,75 ,69	المسيح, 17 ,25 ,27 ,31
149 ,146	,38 ,36 ,35 ,33 ,32
المولود, 45 ,52 ,71 ,82	,71 ,67 ,66 ,40 ,39
,114 ,110 ,108 ,93	,83 ,81 ,78 ,77 ,75
148	,117 ,107 ,92 ,91 ,85
النور, 29 ,44 ,58 ,59	,125 ,123 ,122 ,121
,83 ,82 ,72 ,69 ,64	,137 ,136 ,132 ,129
134	,150 ,142 ,141 ,140
أمين, 20 ,21 ,25 ,26	151
149	المصنوع, 18 ,22 ,28 ,45
أميناً, 10 ,12 ,16 ,20 ,21	131 ,111
,28 ,27 ,26 ,25 ,23	المصنوعات, 43 ,44 ,45
43	110 ,95 ,50
(ب)	الملائكة, 12 ,24 ,42 ,45
بجر, 22 ,90 ,116 ,117	,76 ,60 ,57 ,50 ,47
,122 ,120 ,119 ,118	137
140	الموت, 24 ,25 ,38 ,103

(ح)	(ت)
,38 ,18 ,16 ,12 ,حكمة	,25 ,24 ,22 ,10 ,تجسد
,77 ,76 ,75 ,67 ,60	,48 ,47 ,38 ,36 ,26
,118 ,96 ,89 ,88 ,79	,122 ,95 ,84 ,54 ,50
149 ,145 ,144 ,132	,129 ,128 ,127 ,126
	150 ,132 ,130

(خ)	(ج)
,35 ,33 ,23 ,13 ,خالق	,105 ,92 ,85 ,59 ,جسد
,71 ,68 ,65 ,59 ,46	,138 ,131 ,116 ,112
,102 ,94 ,93 ,84 ,73	148 ,145
,118 ,115 ,110 ,107	,25 ,23 ,21 ,11 ,جسدًا
149 ,143 ,133	,85 ,78 ,39 ,34 ,28
,43 ,29 ,28 ,27 ,14 ,خلق	,113 ,103 ,94 ,92
,62 ,54 ,53 ,45 ,44	,132 ,130 ,125 ,119
,90 ,89 ,88 ,75 ,64	150 ,149 ,138
,97 ,95 ,93 ,92 ,91	,28 ,25 ,22 ,13 ,جوهر
,106 ,102 ,100 ,99	,49 ,40 ,39 ,32 ,30
,110 ,109 ,108 ,107	,69 ,68 ,67 ,64 ,56
,115 ,114 ,113 ,111	,96 ,91 ,88 ,80 ,70
,120 ,118 ,117 ,116	,126 ,108 ,107 ,99
,124 ,123 ,122 ,121	150 ,147 ,142 ,138
,139 ,136 ,131 ,125	

صائر, 54	,146 ,144 ,143 ,141
صائراً, 42, 92	150 ,149 ,148 ,147
صائرة, 45, 150	,91 ,88 ,87 ,42 ,خلقنى
صائرون, 18	,101 ,99 ,98 ,97 ,92
صار, 11, 14, 16, 18, 21,	,114 ,108 ,107 ,106
23, 25, 26, 27, 28,	,131 ,123 ,122 ,116
29, 32, 34, 38, 47,	,145 ,144 ,142 ,134
54, 59, 60, 62, 78,	151 ,147 ,146
88, 91, 92, 93, 97,	,89 ,72 ,46 ,45 ,خليقة
98, 99, 102, 104,	,122 ,118 ,96 ,95 ,94
106, 107, 108, 111,	134 ,130
113, 115, 117, 121,	
122, 124, 125, 131,	(د)
138, 144, 148	دهر, 32
صانع, 84	
صانغاً, 94, 106	(ر)
صنع, 14, 18, 21, 23,	,36 ,33 ,32 ,31 ,28 ,رب
25, 28, 29, 30, 32,	,66 ,52 ,41 ,39 ,38
41, 42, 44, 54, 61,	132 ,98 ,97 ,94 ,81
70, 75, 98, 109, 111,	116 ,113 ,98 ,روح
112, 124, 127, 136,	
صورة, 12, 32, 34, 60,	(ص)

قنى, 43, 88	,95 ,90 ,72 ,71 ,62
	,146 ,143 ,103 ,97
(ك)	149
كائن, 13, 46, 51, 62, 69,	(ط)
,102 ,87 ,80 ,72 ,70	طبيعة, 14, 40, 45, 48,
,142 ,131 ,110 ,107	,73 ,71 ,60 ,56 ,54
148	81, 94, 98, 112, 131
كلمة, 12, 15, 16, 18, 19,	
,29 ,28 ,25 ,21 ,20	
,41 ,40 ,38 ,36 ,30	(ع)
,59 ,58 ,57 ,53 ,48	عبد, 10, 12, 15, 28, 34,
,67 ,66 ,65 ,64 ,62	103 ,101 ,98 ,97 ,51
,74 ,73 ,72 ,71 ,70	عبيد, 98
,79 ,78 ,77 ,76 ,75	عبيداً, 15, 52
,96 ,94 ,82 ,81 ,80	
,108 ,104 ,101 ,97	(ف)
,122 ,118 ,116 ,110	فساد, 129
,128 ,126 ,125 ,124	فساداً, 37
,134 ,133 ,132 ,129	
142 ,138 ,137 ,136	(ق)
	قتانى, 16, 28, 42, 53,
(م)	99 ,88 ,87 ,64

148	مجد, 62, 120
مولود, 19, 28, 43, 44,	مخلوق, 10, 14, 16, 21,
45, 49, 50, 69, 72,	27, 29, 30, 33, 40,
92, 93, 96, 104, 108,	42, 43, 44, 47, 50,
110, 111, 131, 151	53, 58, 59, 60, 71,
مولودًا, 15, 44, 93	80, 81, 84, 87, 88,
(ن)	90, 91, 92, 93, 96,
ناسوت, 99	102, 106, 107, 110,
نور, 64, 103	111, 114, 116, 117,
(و)	125, 128, 130, 131,
وُلِدَ, 15	142, 144, 147,
	مسيحًا, 34
(ي)	مصنوع, 10, 15, 17, 19,
يخلق, 13, 46, 48, 53,	21, 25, 28, 29, 31,
54, 55, 56, 57, 61,	33, 39, 42, 43, 45,
62, 63, 64, 81, 89,	50, 111, 137, 138,
90, 94, 96, 99, 106,	ملك, 32, 101
107, 110, 115, 117,	ملكًا, 31, 32, 101
119, 132, 139, 140,	موت, 32, 85, 103, 105,
143, 148	129, 149
يُخْلَقُ, 56, 94, 106, 115,	موجود, 13, 37, 42, 48,
148	68, 77, 82, 130, 144,
يُولدُ, 22, 23, 50	

شواهد الآيات الكتابية: أولاً : العهد القديم

الصفحة	الشاهد	الصفحة	الشاهد
72	خر3: 14	109	تك1: 1
65	خر4: 13	64	تك1: 3
18	خر21: 4س	65	تك1: 3، 6، 11، 15
22	خر28 و 29	64	تك1: 9
49	خر33: 20	64	تك1: 11
34	خر37: 27	29	تك1: 16، 11
58	عد11: 5	59، 58	تك1: 14
36	تث2: 66	58	تك1: 18، 16
89	تث4: 32	111، 65	تك1: 26
37	تث28: 66	110	تك2: 3 س
20	تث32: 4	123	تك2: 17
112، 111	تث32: 6	126، 122	تك3: 19
111	تث32: 18	17	تك4: 1
112	تث32: 17 و 18	65	تك15: 8
26	تث32: 39	98	تك21: 8
51	قض13: 6	39	تك27: 29
15	امل1: 16 و 19	39	تك27: 37
15	امل1: 26	119	تك35: 23
98	امل2: 18	17	تك48: 5
17	امل2: 20	65	خر3: 13

96	مز 6:89	18	أیوب 1:2
98	مز 3:100	101	مز 2:6
109	مز 3:101	109، 51	مز 2:7
123، 90	مز 18:102	101	مز 8:6
132، 110	مز 25:102	33	مز 9:9
76	مز 21:103	89	مز 10:10
89	مز 24:103 س	37، 36	مز 10:16
،66، 57، 19	مز 24:104	146، 46	مز 1:19
133، 80، 67		123	مز 22:30، 31 (21 س)
143	مز 24:104 س	65	مز 23:9
67	مز 20:107	52	مز 23:10
36، 32	مز 1:110	33	مز 31:3
16	مز 16:116	133	مز 33:4 س
121	مز 1:119	67	مز 36:9
109	مز 73:119	109	مز 45:2 س
74	مز 89:119	32	مز 45:6
117	مز 89:119 س	90	مز 51:10
149	مز 91:119 س	66	مز 63:6
78	مز 101:119	110	مز 74:2
61	مز 6:135	52	مز 76:7، عب 1:6
124	مز 8:138 (137 س)	96	مز 86:8
132	مز 5:142	98	مز 86:16

19	جا 12:14	20	مز 144:3 س
145	حكمة 6:24 س	32	مز 145:13
89	حكمة 9:2	143	أم 1:5 و 6
68	حكمة 13:5	147	أم 1:7
112	إش 1:2	78	أم 1:23
113	إش 1:3	82، 96، 136	أم 3:19
60	إش 1:11 س	148	أم 8:22.1
147	إش 1:22	10، 12، 16، 28،	أم 8:22
37	إش 5:7	87، 114	
37	إش 25:8	141	أم 8:25.22
34	إش 26:13 س	135، 147	أم 8:23 س
17	إش 19:38 و 20 س	139	أم 23:25
54	إش 28:40 س	66، 108، 114	أم 8:25
52	إش 14:45 س	102، 148	أم 8:27 س
100	إش 49:5 س	46، 102، 107، 150	أم 8:30 س
93	إش 4:53	150	أم 8:31
132	إش 66:2	88، 91، 97	أم 9:1
67	إر 1:4	145	أم 14:16
48	إر 1:5	16	أم 20:23
78	إر 23:29	145	أم 24:3
91	إر 22:38 س	145	جا 7:10
133	دا 3:57 س	145	جا 8:1

145	ابن سيراخ: 1: 109	57	دا 10: 7
83	باروخ 3: 12	76	يوئيل 2: 25
96	باروخ 3: 36	126	ميخا 7: 18
72	يهوديت 8: 16	65	زك 1: 12
	عزرا الأول 3: 36 (من الأسفار القانونية الثانية حسب النسخة اليونانية)	66	زك 1: 13
46		65	زك 1: 17
		113	ملا 2: 1 س
		25	ملا 3: 6

ثانيًا : العهد الجديد			
الصفحة	الشاهد	الصفحة	الشاهد
36	لو24:26	117 ، 51	مت3:17
،23 ، 22 ، 11	يو1:1	136	مت4:6
117 ، 103 ، 72 ، 67		129	مت4:10
،57 ، 53 ، 19	يو3:1	51	مت4:11
151 ، 132 ، 79 ، 78 ، 73		121	مت5:8
78	يو1:4	117	مت6:16
112	يو12 و 13	55	مت6:30
،88 ، 23 ، 11	يو14:1	49	مت10:27
117 ، 103		55	مت10:29
118	يو1:18	144	مت10:40
105	يو3:17	97	مت11:25
61 ، 46	يو5:17	71	مت13:25
31	يو5:18	136 ، 40	مت16:16
82	يو5:19	66	مت17:5
124	يو5:36	109	مت19:4
104 40 . 38	يو6:38	127	مت20:28
49	يو6:46	130	مت22:30
78	يو6:63	141	مت25:34
103	يو8:12	84 ، 81	مت28:19
134 36 و 35	يو8:35	67	لو1:2

الصفحة	الشاهد	الصفحة	الشاهد
129	يو:14: 30	126	يو:8: 36
52، 41	يو:16: 15	102	يو:8: 58
87	يو:16: 25	106	يو:9: 39
124	يو:17: 4	116	يو:10: 7
83	يو:17: 21 و 22	103، 69	يو:10: 30
127	يو:18: 5	36	يو:10:35: 36
104	يو:18: 37	31	يو:10:38
83	يو:19: 15	35	يو:12:34
52	يو:20: 28	104	يو:12:46
40	أع:2: 17	52	يو:13:13
،30، 29، 11	أع:2:36	123	يو:14: 3
34، 31		150	يو:17: 3
39	أع:2:37	،103، 46	يو:14:6
147	أع:9: 4	151، 116	
51	أع:10:26	،103، 49، 39	يو:14:9
104	رو:1: 1، 2	147	
83	رو:1: 7	،103، 86، 69	يو:14:10
144	رو:1:19، 20	151، 107	
	رو:1:19 . 14921	69	يو:14: 12
95، 45	رو:1:20	129	يو:14: 13
		83	يو:14: 23

الشاهد	الصفحة	الشاهد	الصفحة
روا: 22	149	1كو15: 20	121
روا: 25	149، 33، 35	1كو15: 21	105
روا: 8: 3و4	105	1كو15: 28	130
روا: 8: 13	89	1كو15: 41	45
روا: 8: 19	120	2كو5: 17	122
روا: 8: 21	134، 120	2كو5: 21	92
روا: 8: 22	134	غلا3: 13	92
روا: 8: 26	34	غلا3: 28	130
روا: 8: 29	119	غلا4: 6	113
روا: 9: 19	61، 54	غلا4: 8	33
روا: 11: 32	11	أف1: 2	83
1كو1: 3	83	أف1: 3، 5	140
1كو1: 21	149، 145، 38	أف1: 11	140
1كو1: 24، 67، 83، 117		أف2: 10	124
1كو3: 10	137	أف4: 13	139
1كو3: 11	137	أف2: 14 و 15	106
1كو8: 6	133، 66	أف2: 15	90
1كو10: 13	20	أف4: 24	90
1كو11: 7	62	أف5: 27	125
1كو11: 9	62	فى2: 6، 8	103

105	عب: 2 و14 و15	12	فى: 2 و7
	الشاهد	الصفحة	الشاهد
	عب: 2 و18:14 و24	101	فى: 2 و8
22	عب: 2 و17	117	كو: 1 و15
27، 24، 21	عب: 3 و1، 2	90	كو: 1 و17:15
20، 16، 10	عب: 3 و2	95، 118، 64	كو: 1 و16
43، 23، 21		133	كو: 1 و17
12	عب: 3 و2 و3	123، 115	كو: 1 و18
27	عب: 3 و5 و6	27	اتس: 5 و24
134	عب: 4 و12 و13	89	تى: 4 و4
26	عب: 7 و47	20	تى: 5 و16
93، 92	عب: 10 و5	140	تى: 1 و8 و10
122	عب: 10 و20	27	تى: 2 و13
27	عب: 13 و8	139	تى: 2 و11
147، 143	ايو: 2 و23	20	تى: 3 و8
129، 105	ايو: 3 و8	15	فليمون 16
117	ايو: 4 و9	67	عب: 1 و3
93	ابط: 2 و24	42، 12	عب: 1 و4
15	ابط: 3 و6	121	عب: 1 و6
26	ابط: 4 و19	73	عب: 1 و12، 13

51

رؤ:22:9

89

رؤ:8:9

شواهد الآيات

12 ، 10	أم 22:8
10	عب 2:3
11	رو 11:32
11	يو 1:1
11	يو 14:1
11	أع 2:36
12	عب 1:4
12	في 2:7
12	عب 2:3 و 2
15	1بط 3:6
15	فليمون 16
	1مل 16:1 و 19 و 15
15	1مل 26:1
16	عب 2:3
16	أم 22:8
16	مز 16:11
16	أم 23:20
	إش 38:19 و 20 (سبعينية) 17
17	2مل 18:20
18	أيوب 1:2
19	مز 104:24

19 یو:1:3

19 جا:12:14

20 عب:3:2

20 تث:32:4

20 اكو:10:13

مز:144:3 (سبعینیه) 20

20 اتی:5:16

20 تی:3:8

21 عب:3:2

21 عب:1:3، 2

22 عب:2:17

22 خر:28و29

22 یو:1:1

23 یو:1:14

23 عب:3:2

23 یو:1:1

24 عب:2:14:18

24 عب:3:1و2

26 عب:7:47

26 ابط:4:19

26 تث:32:39

26 مل:3:6

27	اتس 24:5
27	2تى 13:2
	عب 3:1 و 272
27	عب 8:13
	عب 3:5 و 276
28	أم 22:8
29	أع 2:36
29	تك 1:16 و 11
31 و 30	أع 2:36
31	يو 5:18
31	يو 10:38
32	تك 19:24
32	مز 110:1
32	مز 45:6
32	مز 145:13
33	مز 31:3
33	مز 9:9
33	رو 1:25
33	غل 4:8
34	رو 8:26
34	إش 26:13 (سبعينية)
34	أع 2:36

34	خر 27:37
35	مز 11:1
35	رو 25:1
35	یو 34:12
36	لو 26:24
36	یو 36:35:10
36	تث 66:2
36	مز 1:110
36	مز 10:16
37	تث 66:28
37	إش 7:5
37	مز 10:16
37	إش 8:25
38	اکو 21:1
39	أع 37:2
39	یو 9:14
39	تک 29:27
39	تک 37:27
40	مت 16:16
40	أع 17:2
41	یو 15:16
42	عب 4:1

عب3:2 43

رو1:20 45

1كو15:41 45

مز1:19 46

عزرا الأول 36:3 (من الأسفار القانونية الثانية حسب النسخة اليونانية) 46

يو14:6 46

أم8:30 سبعينية 46

يو5:17 46

إر1:5 48

يو14:9 49

خر33:20 49

مت10:27 49

يو6:46 49

مز2:7 51

مت3:17 51

مت4:11 51

أع10:26 51

رؤ22:9 51

قض13:16 51

مز76:7، عب1:6 52

إش45:14 سبعينية 52

يو13:13 52

52	یو 28:20
52	مز 10:23
52	یو 15:16
53	یو 3:1
54	رو 9:19
54	إش 28:40 سبعینية
55	مت 29:10
55	مت 6:25-30
57	مز 24:104
57	یو 3:1
57	دا 10:7
58	عد 25:11
58	تك 14:1
58	تك 18:16
59	تك 14:1
60	إش 1 : 11 سبعینية
61	یو 5 : 17
61	مز 6 : 135
61	رو 9 : 19
62	اکو 9 : 11
62	اکو 7 : 11
64	كو 1 : 16

64	تك: 1: 3
64	تك: 1: 9
64	تك: 1: 11
65	تك: 1: 26
65	مز: 23: 9
65	تك: 1: 3، 6، 11، 15
65	تك: 15: 8
65	خر: 4: 13
65	خر: 3: 13
65	زك: 1: 17
65	زك: 1: 12
66	زك: 1: 13
66	مز: 104: 24
66	مز: 63: 6
66	اكو: 8: 6
66	مت: 17: 5
66	أم: 8: 25
67	عب: 1: 3
67	اكو: 1: 24
67	مز: 36: 9
67	مز: 104: 24
67	إر: 1: 4

67	يو:1 1
67	لو:1 2
67	مز:107 20
68	حكمة:13 5
69	يو:14 10، 12
69	يو:10 30
69	يو:14 10
71	مت:13 25
72	يهوديت:8 16
72	خر:3 14
72	يو:1 1
73	عب:1 12، 13
73	يو:1 3
74	مز:199 89
76	يوثيل:2 25
76	مز:103 21
78	إر:23 29
78	أم:1 23
78	مز:119 101
78	يو:6 63
78	يو:1 4، يو:1 3
79	يو:1 3

80	مز 104: 24
81	مت 28: 19
82	أم 3: 19
82	يو 5: 19
83	يو 14: 23
83	يو 17: 21 و 22
83	رو 1: 7، 1كو 1: 3، أف 1: 2
83	باروخ 3: 12
83	1كو 1: 24
83	يو 19: 15
84	مت 28: 19
86	يو 14: 10
87	أم 8: 22
87	يو 16: 25
88	أم 9: 1
88	يو 1: 14
89	مز 103: 24 سبعينية
89	رو 8: 13
89	رؤ 8: 9
89	1 تي 4: 4
89	حكمة سليمان 9: 2
89	مز 10: 6

89	تنث 4:32
90	كو 1:17.15
90	مز 102:18
90	مز 51:10
90	أف 2:15
90	أف 4:24
91	إر 38:22 سبعينية
91	أم 9:1
92	عب 10:5
92	غلا 3:13
92	كو 5:21
92	غلا 3:13
93	إش 53:4
93	1بط 2:24
93	عب 10:5
95	رو 1:20
95	كو 1:16
96	مز 86:8
96	مز 89:6
96	بإروخ 3:36
96	أم 3:19
97	أم 9:1

97	مت 25:11
98	مز 16:86
98	تك 8:21
98	مل 2:18:4
98	مز 3:100
100	إش 49 : 5 سبعينية
101	فى 2: 8
101	مز 8: 6
101	مز 2: 6
102	يو 8: 58
102	أم 8: 27 سبعينية
102	أم 8: 30
103	يو 1: 1
103	يو 1: 14
103	فى 2: 6 ، 8
103	يو 14: 10
103	يو 10: 30
103	يو 14: 9
103	يو 8: 12
103	يو 14: 6
104	رو 1: 1 ، 2
104	يو 6: 38 . 40

104	یو 12: 46
104	یو 18: 37
105	1 یو 3: 8
105	عب 2: 14 و 15
105	1 کو 15: 21
105	رو 8: 3 و 4
105	یو 3: 17
106	یو 9: 39
106	أف 2: 14 و 15
107	أم 8: 30
107	یو 14: 10
108	أم 8: 25
109	تک 1: 1
109	مز 119: 73
109	مز 2: 7 و 101: 3
109	مز 45: 2 (سبعینية)
109	مت 19: 4
110	مز 102: 25
110	مز 74: 2
110	تک 2: 3 سبعینية
111	تث 32: 6
111	تث 32: 18

111	تك:1: 26
112	تث:32: 6
112	تث:32: 17 و 18
112	إش:1: 2
112	يو:1: 12 و 13
113	إش:1: 3
113	غل:4: 6
113	مل:1: 2 سبعينية
114	أم:8: 22
114	أم:8: 25
115	كو:1: 18
116	يو:14: 6
116	يو:10: 7
117	كو:1: 15
117	يو:1: 14
117	1يو:4: 9
117	مز:119: 89 (سبعينية)
117	يو:1: 1
117	1كو:1: 24
117	مت:3: 17
117	مت:6: 16
118	يو:1: 18

118	كو1: 16
119	تك35: 23
119	رو8: 29
120	رو8: 19
120	رو8: 21
121	عب1: 6
121	كو15: 20
121	مز119: 1
121	مت5: 8
122	تك3: 19
122	عب10: 20
122	كو2: 5: 17
123	كو1: 18
123	مز102: 18
123	مز22: 30 و 31 (مز 21 بالسبعينية)
123	تك2: 17
123	يو14: 3
124	أف2: 10
124	مز138: 8 (مز 137 بالسبعينية)
124	يو17: 4
124	يو5: 36
125	أف5: 27

126	ميخا: 7: 18
126	تك: 3: 19
126	يو: 8: 36
127	يو: 18: 5
127	مت: 20: 28
129	يو: 14: 30
129	أيو: 3: 8
129	يو: 14: 13
129	مت: 4: 10
130	مت: 22: 30
130	غلا: 3: 28
130	أكو: 15: 28
132	إش: 66: 2
132	مز: 102: 25
132	مز: 142: 5
132	يو: 1: 3
133	أكو: 8: 6
133	كو: 1: 17
133	دا: 3: 57 سبعينية
133	مز: 33: 4 سبعينية
133	مز: 104: 24
134	عب: 4: 12 و 13

134	رو8: 21 و 22
134	یو8: 35 و 36
135	أم8: 23
136	أم3: 19
136	مت16: 16
136	مت4: 6
137	اكو3: 11
137	اكو3: 10
139	أف 4 : 13
139	أم8: 23 . 25
139	تیطس2: 11
140	تی2: 1 . 8 . 10
140	أف1: 3 . 5
140	أف1: 11
141	مت25: 34
141	أم8: 25 . 22
143	أم1: 5 و 6
143	مز104: 24 س
143	ایو2: 23
144	مت10: 40
144	رو19: 20
145	اكو1: 21

145	حكمة6: 24 س
145	أم14: 16
145	أم24: 3
145	جا8: 1
145	جا7: 10
	ابن سيراخ1: 109 145
146	مز19: 1
147	أع9: 4
147	إش1: 22
147	أم1: 7
147	يو14: 9
147	1يو2: 23
147	أم 8 : 23 س
148	أم 8 : 1 . 22
148	أم 8 : 27 س
149	مز 119 : 91 س
149	رو1: 22
149	رو1: 19 . 21
149	رو1: 25
149	1كو1: 21
150	يو17: 3
150	أم8: 30 سبعينية

150 أم: 8: 31

151 یو: 14: 6

151 یو: 14: 10

151 یو: 1: 3

شرح نصوص : رابعًا:
" كونه أمينًا للذي أقامه "

عب2:3

1 . كنت أحسب أن أولئك المنافقين، مجانين الأريوسية، سيقنعون بالأدلة السابقة، والتي سبق أن سقتها ضدهم¹. وأنهم سيكتفون بالبراهين المتعلقة بالحقيقة، وأنهم عندئذ سيكفون عن الحديث ويندمون عن كل فكر ردي أو كلام شرير تحدثوا به عن المخلص. إلا أنني لا أدرى كيف أنهم لم يخلعوا، بل هم يتمرغون في الوحل كالخنازير ويلعقون قياهم كالكلاب، بل وأكثر من هذا فقد اخترعوا لأنفسهم بدعًا للكفر وعدم التقوى.

إذن فلأنهم لم يفهموا حتى ما كُتب في الأمثال: " الرب أقامني أول طريقه لأجل أعماله"²، ولا حتى ما قيل بواسطة الرسول: " كونه أمينًا للذي أقامه"³، لذلك فهم يتجادلون بلا داع قائلين إن ابن الله هو "مصنوع"، و"مخلوق". وكان يكفيهم استيعاب الأمور وإدراكها مما سبق

¹ كان أسلوب المجادلات والرد بالأدلة والبراهين هو الأسلوب المتبع بين الفلاسفة. أنظر كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية، أغسطس 2003، فصل 25، وفصل 50، وأيضًا هذا الأسلوب استخدمه الهرطقة، انظر " ضد الأريوسيين" ترجمة أ. صموئيل كامل ود. نصحي عيد الشهيد، مركز دراسات الآباء، الطبعة الثالثة 2002، 6:1، 10:3 وهنا يرد القديس أثناسيوس بنفس الأسلوب لإقناعهم.

² أم22:8.

³ عب2:3.

أن قلناه، ذلك إن لم يكونوا قد فقدوا عقلهم تمامًا. لأن الحق يشهد أن الابن لم يوجد من عدم، وهو لا ينتمي مطلقًا إلى الأشياء المخلوقة لأنه حيث إن الابن هو إله، فلا يمكن أن يكون مصنوعًا، وليس من الصواب أن يقول أحد عنه إنه مخلوق. فالمخلوقات والمصنوعات وحدها هي التي من المناسب أن يُقال عنها أنها من "العدم" وأنها لم تكن موجودة قبل أن تنشأ.

لكن يبدو أنهم يخشون أن يتخلوا عن أساطيرهم المبتدعة، ولذلك فهم يتعللون على الدوام بالأقوال التي سبق ذكرها من الكتب الإلهية. ورغم أنها صحيحة، إلا أنهم يقومون بتحريف معناها. لذلك سوف نشرح مرة أخرى معنى الأقوال التي أوردناها لكي نذكر بها المؤمنين ونوضح لهم بواسطة كل قول من هذه الأقوال أن هؤلاء لا يعرفون المسيحية على الإطلاق. لأنهم لو كانوا يعرفونها لما أغلقوا على أنفسهم في عدم الإيمان¹ كاليهود المعاصرين². بل كانوا سيسألون فيخبرونهم أنه "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"³. وهكذا بمشيئة الأب صار الكلمة نفسه إنسانًا، وهذا ما قاله عنه يوحنا بحق "أن الكلمة صار جسدًا"⁴. وما قاله بطرس: "جعله ربًا ومسيحًا"⁵. والرب نفسه يتكلم على لسان سليمان ويقول: "الرب أقامني أول طرقه لأجل

¹ انظر رو 11:32.

² يستعمل القديس أثناسيوس عبارة "اليهود المعاصرين" ليعبر بها عن الأريوسيين، انظر المقالة الأولى، المرجع السابق، فقرة 8 ص38، وفقرة 10 ص 24.

³ يو 1:1.

⁴ يو 1:14.

⁵ أع 2:36.

أعماله¹. وبولس يقول: " بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة"²، وأيضاً: " أخلق نفسه آخذاً صورة عبد"³، ومرة أخرى: " ومن ثم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية تأملوا رسول ورئيس كهنة اعترافنا، يسوع، حال كونه أميناً للذي أقامه"⁴، لأن كل هذه الأقوال لها قوتها الذاتية ولها مضمونها الذي يقود إلى التقوى ويظهر ألوهية الكلمة، وأن ما قيل عنه بحسب بشريته قد قيل بسبب أن الكلمة صار أيضاً ابن الإنسان.

ولكن رغم أن هذه الأمور كافية من تلقاء ذاتها لدحض أى اعتراض، إلا أنهم نظراً لعدم فهمهم لقول الرسول، يعتقدون أن كلمة الله هو واحد من المخلوقات وذلك بسبب ما هو مكتوب " كونه أميناً للذي أقامه". لهذا رأيت أنه من الضروري أن أواصل هذا الكلام كي أخلجهم بمثل كلامى السابق مستمداً مادة النقاش من أقوالهم نفسها.

2. فلو لم يكن هو الابن، لأمكن أن يُسمّى "مخلوقاً" وكل ما يُنسب إلى المخلوقات سيُنسب إليه، ولن يُلقب وحده "ابناً" ولا كلمة ولا "حكمة" ولن يُلقب الله أيضاً "بالآب"، بل فقط "بالخالق" و"البارى" للأشياء "الصائرة" بواسطته. وستكون الخليفة هي صورة وملامح إرادته الخلافة. ووفقاً لتعاليمهم فهو ذاته (الآب) لن تكون طبيعته مثمرة. وبذلك لن يكون لجوهره الذاتى أى "كلمة" ولا "حكمة" ولا "صورة" إطلاقاً. فلو لم

¹ أم 8:22.

² عب 1:4.

³ في 2:7.

⁴ عب 3:2و.

يكن هو "ابنًا" فلن يكون "صورة". ولكن لو لم يكن هناك وجود للابن فكيف يمكن أن تقولوا إذن أن الله خالق؟ فالمخلوقات إنما قد خُلقت قطعًا بواسطة الكلمة و"الحكمة". وبغير الكلمة لما كان ممكنًا أن يوجد أى شئ. والآب كما يقولون عنده الكلمة الذي فيه وبواسطته يخلق كل شئ وإلا لكان الجوهر ليس خصبًا بل عقيمًا ومجدبًا حسب رأيهم . كالنور الذي لا يضيء وكالنبع الجاف، فكيف لا يجفون عندما يقولون إن الله لديه طاقة خلاقّة؟ وكيف لا يحمّرون خجلًا وهم ينكرون الذي هو بحسب الطبيعة ويريدون أن يجعلوا الذي بحسب المشيئة متقدمًا عليه؟.

فإن كانت الأشياء التى معه خارج جوهر الله والتى لم تكن موجودة من قبل . قد خلقها عندما شاء أن يجلبها إلى الوجود، وأصبح هو خالقها وصانعها، لكان هو . قبل ذلك بكثير . أبا لمولود من جوهره الذاتى. لأنهم إن كانوا ينسبون لله أنه بالمشيئة يُوجد الأشياء غير الموجودة، فلما لا يقولون بأن في الله شئ أعلى من المشيئة، ألا وهو الطبيعة الخصبة، وأن يكون أبا لكلمته الذاتى؟ وعلى ذلك فإن كان الأول الذي هو بحسب الطبيعة لم يكن موجودًا بحسب جنون أولئك، فكيف يمكن أن يوجد الثانى، الذي هو بحسب المشيئة؟ لأن الكلمة هو الأول، والخليفة هي الثانية. فالكلمة كائن موجود مهما تجاسر الكافرون وتمادوا في أفكارهم، وذلك لأن الخليفة قد صارت إلى الوجود بواسطته. فمن الواضح أنه إن كان الله هو الصانع، فعنده أيضًا كلمته الخلاق الذي هو ليس من خارجه بل من ذاته هو نفسه، وهذا ما ينبغى أن نكرره كثيرًا، فإن كان الله لديه المشيئة، وكانت المشيئة مبدعة وكافية

لإيجاد الأشياء المخلوقة، فإن كلمته أيضاً يكون مبدعاً وخالقاً. ومما لا شك فيه أن الكلمة ذاته هو مشيئة الأب الحية، وقوته الجوهرية، وهو الكلمة الحقيقي الذي به تتكون جميع الأشياء وهو يضبطها جيداً. ولن يتردد أحد في القول بأن ذلك الذي ينظم، هو سابق على التنظيم نفسه، وعلى الأشياء المنظمة. وكما سبق أن قلنا، يكون عمل الله كخالق هو تالٍ لكونه أب. لأن الابن هو خاصته وهو حقاً من ذلك الجوهر الأزلي المطوّب. أما الأشياء المنظمة فقد صارت إلى الوجود من مشيئته الذاتية، من خارجه، وقد خلقت بواسطة ابنه الذي من ذات جوهره.

3. إذن فيما أن الحديث يوضح السخف الشديد للقائلين بأن الرب ليس هو ابن الله بل هو مخلوق، لذلك فمن الضروري أن نعترف نحن بأن الرب هو الابن. وإن كان هو ابن. كما هو هكذا بالحقيقة. فالابن يجب أن يُعترف به أنه ليس من خارج أبيه بل هو الذي وُلده. لذا يلزم. كما سبق أن قلنا. أن يكفوا عن تحوير الأقوال التي يستعملها القديسون بخصوص الكلمة نفسه. لأنهم يستخدمون عبارة "الذي أقامه" بدلاً من "الذي وُلده"، لأنه لا علاقة لهذه الأمور بالألفاظ طالما أن الابن قد أُعترف به أنه من طبيعة أبيه. فليست الألفاظ هي التي تقلل من قدر طبيعة الأشياء، بل بالأحرى فإن طبيعة الأشياء هي التي تضيء المعنى على الألفاظ وغيرها. لأن الألفاظ ليست سابقة على جواهر الأشياء بل أن الجواهر هي الأولى والألفاظ تأتي تالية لها. ولذلك فعندما يكون الجوهر "مصنوعاً" أو "مخلوقاً" عندئذٍ فإن الألفاظ: "صنع" و"صار" و"خلق" تُقال عنه بصفة خاصة ويقصد به أنه "مصنوع". ولكن حينما يكون الجوهر مولوداً وابتناً، عندئذٍ فإن ألفاظ "صنع" و"صار"

و"الخلق" لا تُستخدم بحسب مفهومها الحرفي، ولا تعنى أنه "مصنوع"، بل تكون كلمة "صنع" قد استُخدمت بدلاً من "وُلِدَ" بدون تحديد. وفي أحيان كثيرة يلقب الآباء أبناءهم الذين ينجبونهم عبيداً لهم، دون أن ينكروا أصالة طبيعتهم. وأحياناً يجاملون عبيدهم ويسمونهم أبناء دون أن يفقدوا حق امتلاكهم منذ البداية. إلا أنهم في الحالة الأولى يسمون أبناءهم عبيداً من خلال سلطانهم كأباء، وفي الحالة الثانية يسمون عبيدهم أبناء بدوافع إنسانية، فسارة كانت تدعو إبراهيم سيدياً¹ رغم أنها لم تكن عبدة له، بل كانت زوجة. وكان الرسول يصف أونسييموس العبد كأخ لفليمون الذي كان "سيدياً"²، أما بتشبع فرغم كونها أمّاً دعت ابنها عبداً قائلة "عبدك سليمان"³. وكذلك ناتان النبي أيضاً بعد أن وصل قال لداود نفس كلامها بأن "سليمان عبدك"⁴. إنهم لم يبالوا أن يقولوا عن الابن إنه "عبد"، لأن داود الذي سمع هذا القول كان يعرف طبيعة سليمان. وهم أيضاً بقولهم هذا لم يكونوا يجهلون أصالة سليمان. وكانوا يطالبون أن يكون وارثاً لأبيه، رغم أنهم كانوا يلقبونه عبداً، إذ كان هو ابناً لداود بالطبيعة.

4 . لذلك حينما نقرأ هذه الأقوال ونتمعن فيها جيداً، وعندما نسمع أن سليمان عبد، فلا يجب أن نظن أنه كان عبداً، بل هو ابن طبيعي وأصيل. وهكذا أيضاً في حالة المخلص المُعترف به حقاً أنه ابن، لكونه

¹ 1بط3:6.

² فليمون16.

³ 1مل1:16و19.

⁴ 1مل1:26.

هو **الكلمة** بالطبيعة فعندما يقول القديسون عنه: " كونه أميًّا للذي أقامه"¹ أو عندما يقول هو نفسه عن ذاته: " الرب قناني"² وأيضًا: " أنا عبدك وابن أمتك"³. ومثل هذه الأقوال كثير، فإن هذا لا يجب أن يجعل البعض ينكر أصالته من الآب، بل كما حدث في حالة داود وسليمان، هكذا فلنتأمل باستقامة فيما يخص الآب والابن. فإن كانوا عندما يسمعون أن سليمان عبد يعترفون به ابنًا، أليس من العدل أن يلحقهم الدمار مرات كثيرة لأنهم لا يحفظون للرب نفس اللقب؟! ولكنهم حينما يسمعون الكلمات "ابن"، و**كلمة**، و"حكمة" يسارعون إلى تحريف وإنكار البنية الأصلية التي بالطبيعة أعنى ولادة الابن من الآب. وعندما يسمعون كلمات أو أقوالاً تخص ما هو مخلوق ففي الحال يتعجلون الظن أن "الابن" مخلوق بالطبيعة، وينكرون **الكلمة** رغم أنه في استطاعتهم أن ينسبوا مثل تلك الأقوال كلها إلى بشريته . حيث إن **الكلمة** صار إنسانًا . فكيف لا يكون هؤلاء مكروهين لدى الرب. طالما أنهم هم أنفسهم يقيسون الأمور بمعيارين⁴: بأحدهما يفسرون الأقوال الأولى وبالآخر يجتفون على الرب؟ بالواحد يفهمون كلمة عبد حسب هواهم، وبالآخر يركزون على كلمة "الصانع"⁵ كسند قوى لهرطقتهم. وهذا السند يكون كقصبية محطمة بالنسبة لهم. وذلك لأنهم سيديون

¹ عب 3:2.

² انظر أم 22:8.

³ مز 116:16.

⁴ انظر أم 23:20.

⁵ يقول الآريوسيون عن المسيح إنه 'مصنوع'.

أنفسهم لو عرفوا أسلوب الكتاب. فقد دُعي سليمان "عبدًا" رغم كونه "ابنًا". كذلك أيضًا . ونكرر القول . قد يقول الآباء عن أبنائهم الذين أنجبوهم إنهم مخلوقون ومصنوعون وصائرون. فقد قال حزقيا وهو يصلي: " لأنه من هذا اليوم سأصنع أبناء يعلنون: يا إله خلاصي"¹. فهو يقول "سأصنع" في حين أن النبي في نفس السفر وفي سفر الملوك الرابع² يقول هكذا: " وأبناؤك الذين يخرجون منك"³، فهو يستعمل كلمة "سأصنع" بدلاً من كلمة "سألد"، ويقول عن المولودين منه إنهم "مصنوعون"، ولكن لا يشك أحد أن هذا اللفظ إنما يخص الميلاد بالطبيعة.

وعندما وُلدت حواء قايين قالت: " اقتنيت رجلاً من عند الرب"⁴. إذن فقد قالت "اقتنيت" بدلاً من "وُلدت"، لأنها بعد أن رأت الطقل قالت إنها "اقتنت". ولا يظن أحد أنها بسبب قولها "اقتنيت" أنها اشترت قايين من الخارج، أو أنها لم تلده من بطنها. ويعقوب البطريرك قال ليوسف " والآن إذن إبنك إبنك الولدان اللذان وُلدا لك في مصر قبل مجيئي إليك في مصر هما لي: افراريم ومنسى"⁵. ويقول الكتاب عن أيوب: " وصار له سبعة أبناء وثلاث بنات"⁶، مثلما قال موسى أيضًا في الشريعة: " إن

¹ إش 38:19 و 20 (سبعينية).

² وهو سفر الملوك الثاني في ترجمة دار الكتاب المقدس.

³ مل 2:18.

⁴ تك 4:1.

⁵ تك 48:5.

⁶ أيوب 1:2.

صار لأحد أبناء"، إن "صنع ولدا"¹.

5 . هوذا مرة أخرى يُقال عن المولودين أنهم "صائرون" و"مصنوعون"، إذ طالما أننا نعتزف أنهم أبناء فالأمر لا يختلف إن قال أحد إنهم قد صاروا سواء قيل "اقتنيت" أم "صنعت" لأن الطبيعة والحق يجعلان المعنى قريباً منهما. ولهذا فبالنسبة لهؤلاء الذين الذين يتساءلون إن كان الرب مخلوقاً أو "مصنوعاً" فينبغي عليهم أولاً أن يبحثوا إن كان هو "ابناً"، و"كلمة"، و"حكمة". لأنه عندما تثبت هذه الأمور، فإن الظن بخصوص "المصنوع" و"المخلوق" سيتوقف ويُطرح خارجاً في الحال. لأن "المصنوع" لا يمكن أن يكون "ابناً" و"كلمة"، ولا الابن يمكن أن يكون "مصنوعاً"، فإن كانت الأمور تجري هكذا فيكون البرهان واضحاً للجميع أن العبارة التي تقول "الذي أقامه"، و"الذي صنعه" لا تخدم هرطقتهم بل بالحرى تدينهم. لأنه قد اتضح أن تعبير "صنع" قد استخدم في الكتب الإلهية عن الأطفال الأصليين بالطبيعة وهو **كلمته** وحكمته، فإنه حتى إذا قيل بخصوصه "صنع" أو "صار" فلا يُقال عنه كما لو كان كائناً مصنوعاً. إن القديسين استخدموا التعبير بلا تمييز . مثلما حدث بالنسبة لسليمان وابنا حزقيا . لأنه مع أن هؤلاء الأبناء وُلدوا من آباءهم أنفسهم، فقد كُتب عنهم: قد "صنعت"، و"خلقت" و"صار". إذن فإن أعداء الله الذين يتعللون كثيراً بمثل هذه العبارات هم ملزمون الآن بعد هذا الذي قيل أن يتخلوا عما يتشددون به من أفكار بتجديفهم، وبهذا يعتقدون . بخصوص الرب . إنه ابن حقيقي وكلمة الآب وحكمته، وإنه

¹ انظر خر 4:21 (س).

ليس مصنوعًا أو مخلوقًا لأنه إن كان الابن مصنوعًا، فأية علة، وأية حكمة إذن هي التي أوجدته؟ لأن كل المخلوقات قد صارت بواسطة الكلمة والحكمة، كما قد كُتِبَ "كلها بحكمة صُنعت"¹ وأيضًا "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان"². فإن كان هو الكلمة والحكمة الذي به قد صار كل شيء، فينتج من ذلك أنه لا ينتمي إلى الأشياء المصنوعة ولا إلى الأشياء المخلوقة إطلاقًا، ولكنه هو مولود الآب.

6 . تأملوا إذن إلى أي انحطاط وصل قولهم عن كلمة الله إنه مصنوع. فسليمان يقول في موضع ما في سفر الجامعة: "لأن الله سيحضر كل عمل إلى الدينونة بكل خفاياه، إن كان خيرًا أو شرًا"³. وهكذا فإن كان الكلمة مصنوعًا أو مخلوقًا، فإنه وفقًا لكلامهم، سيُقدم هو أيضًا كغيره للدينونة. فأين تكون الدينونة إذن، إن كان الديان نفسه يُدان؟ ومن هو الذي سيعطي البركات للأبرار والعقوبات لغير المستحقين، عندما يقف الرب نفسه . حسبما تقولون . لئُدان مع الجميع. فبأية شريعة سيُدان واضع الشريعة نفسه؟ فإن من خصائص المخلوقات أنها تُدان أي تُثاب أو تُعاقب بواسطة الابن.

إذن، خافوا الديان، وافهموا ما سبق أن قاله سليمان. لأنه إن كان الله سيحضر كل عمل إلى الدينونة، إلا أن الابن ليس من بين المدانين، بل هو بالأحرى الديان لكل المخلوقات. أفلا يكون واضحًا أكثر من الشمس أن الابن ليس مخلوقًا بل هو كلمة الآب، والذي به

¹ مز 104:24.

² يو 1:3.

³ جا 12:14.

تصير المخلوقات وبه تُدان؟ وإن كانت عبارة: "كونه أميناً"¹ تثيرهم من جديد ظانين أن لفظ "الابن" يُقال عنه كما يُقال عن جميع الناس، وأنه، لأجل أمانته، فهو ينتظر أجر أمانته. إذن حان الوقت ليتهموا موسى من جديد، لأنه قال "الله أمين وحق"². ويتهموا بولس الذي كتب "ولكن الله أمين، الذي لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون"³. فالقدّيسون عندما يقولون هذا فإنهم لا ينسبون لله خصائص بشرية، بل يعترفون أن كلمة "أمين" في الكتاب المقدس لها معنيان: المعنى الأول أنه "مؤمن"، والآخر أنه "أمين". فالمعنى الأول يناسب البشر، والثاني يناسب الله. إذن فإبراهيم "مؤمن" لأنه قد آمن بالله، أما الله فهو أمين مثلما يرئم داود: "أمين هو الرب في كل أقواله"⁴. وهو أمين لأنه من المستحيل أن يكون الرب كاذباً. وعندما يقول بولس: "إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل"⁵ فالمرأة هنا تُدعى مؤمنة بسبب استقامتها. وأيضاً "أمانة هي الكلمة"⁶ لأن ما قاله يستوجب الإيمان، لأنه حق، ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

إذن فعبرة "كونه أميناً للذي أقامه"، لا تدل على أنه يشابه الآخرين ولا تعنى أنه لكونه أميناً قد صار مقبولاً، بل إذ هو ابن الله الحق فهو أيضاً أمين، ويجب أن يوثق به فيما يقول وفيما يعمل. وهو نفسه ظل

¹ عب 3:2.

² انظر تث 32:4.

³ 1كو 13:10.

⁴ مز 144:3 (سبعينية).

⁵ تي 5:16.

⁶ تي 3:8.

ثابتاً دون أن يتغير في تدبير تجسده وحضوره بالجسد.

7 . هكذا إذن فإن من يواجه وقاحتهم يستطيع حتى من لفظ "صنع" (= أقام)¹ أن يدحض هؤلاء المضللين الذين يحسبون أن كلمة الله مصنوع أو مخلوق. وحيث إن القصد من هذا اللفظ هو قصد مستقيم . إذ أنه يوضح الوقت والمناسبة التي قيل فيها . فإنه بالضرورة يتضح من هذا اللفظ عدم تبصر الهراطقة لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار وقت كتابته والحاجة إليه، كما سبق أن قلنا، فإن الرسول لم يقل هذه الأقوال لكي يسرد بالتفصيل ماذا كان قبل الخليقة، ولكنه يتحدث عن الوقت الذي فيه: " صار الكلمة جسداً"، لأنه كتب هكذا: " لذا أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أميناً للذي أقامه (صنعه)"². فمتى صار رسولاً إذن؟ ومتى صار رئيس كهنة اعترافنا؟ وعندما بذل نفسه لأجلنا، متى أقام الجسد من بين الأموات؟ ومتى جاء بهؤلاء الذين يتقدمون إليه بالإيمان ويقدمهم إلى الأب بعد أن يحررهم مكفراً عنهم جميعاً أمام الله؟³. فالرسول حينما قال " كونه أميناً للذي أقامه" لم يكن يشير إلى جوهر الكلمة ولا إلى ميلاده الطبيعي من الأب، حاشا، لأن الكلمة هو الذي يصنع وليس المصنوع. ولكنه قال هذا لأنه أراد أن يُظهر نزوله إلى البشر، ووظيفة رئاسة الكهنوت التي "صارت". وهو ما يمكن لأي شخص

¹ انظر عب2:3.

² عب1:3، 2.

³ انظر عب2:17.

أن يراه بوضوح من التاريخ الذي كُتِبَ عن الشريعة وعن هارون. فإن هارون لم يُولد رئيس كهنة بل وُلِدَ إنسانًا ثم بعد فترة، عندما أراد الله صار رئيس كهنة. وهو لم يصِر هكذا ببساطة، ولم يُعرف من ملابسه العادية ولكن عندما ارتدى القميص، والصدرة، وجبة الرداء وهي الثياب التي صنعتها النساء بحسب أمر الله. وبهذه الثياب كان يدخل إلى الأقداس ويقدم الذبيحة عن الشعب وبها أيضًا كان كوسيط لمعاينة الله ولتقديم ذبائح عن الناس¹. وهكذا الرب أيضًا، فإنه "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"². وعندما أراد الآب أن تُقدّم الفدية لأجل الجميع، وأن تُعطى النعمة للكل، عندئذٍ فمثلما ارتدى هارون الجبة. أخذ الكلمة جسدًا من الأرض³، متخذًا له من مريم أمًا بالجسد كما من أرض بكر حتى إذ يكون له. كرئيس كهنة. شئ يقدمه، فهو يقدم ذاته للآب ويطهرنا جميعًا من الخطايا بدم نفسه وقيمنا من بين الأموات.

8. وهذا الأمر كانت له ظلال في القديم، فإن ما حققه المخلص في مجيئه، هو الأمر الذي كان هارون رمزًا له بحسب الناموس. فلقد كان هارون هو هو نفسه، ولم يتغير بارتدائه ثياب الكهنة، بل ظل كما هو، إنما قد ارتدى الثياب فقط. فإن قال شخص ما عندما يراه وهو يقدم القرابين "ها هوذا هارون قد صار اليوم رئيس كهنة" فلا يعنى بذلك أنه قد صار عندئذٍ إنسانًا، إذ أنه كان إنسانًا حتى قبل أن يصير رئيس

¹ انظر خر 28 و 29.

² يو 1:1.

³ كثيرًا ما يكرر القدّيس أناسيوس هذه العبارة في كتاباته. انظر على سبيل المثال كتاب "تجدد الكلمة"، المرجع السابق، فصل 8:2.

كهنة، لكنه صار رئيس كهنة بسبب وظيفته متسرلاً بالثياب المصنوعة والمجهزة لوظيفة رئاسة الكهنوت. وبنفس الطريقة من الممكن أن يفكر أحد جيداً بخصوص الرب أنه لم يصّر شخصاً آخر بعد أن اتخذ الجسد، بل ظل هو نفسه كما كان قبل ان يتسرل بالجسد. وإن عبارة "قد صار" و"قد صنع"، لا ينبغي أن تُفهم كما لو أن الكلمة باعتباره الكلمة قد صنع بل لكونه الكلمة فهو خالق، وفيما بعد صار رئيس كهنة مرتدياً جسداً مصنوعاً ومخلوقاً. وهو الذي يستطيع أيضاً أن يقدم تقدمة لأجلنا، لذلك يُطلق عليه أيضاً " إنه قد صنع". فإن لم يكن السيد قد صار إنساناً، إذن فليحارب الأروسيون، أما إن كان " الكلمة صار جسداً" ¹ فماذا يكون من الواجب أن يُقال عنه وقد صار إنساناً، إلا " كونه أميئاً للذي أقامه" ²؟. لأنه كما هو لائق بالنسبة للكلمة أن يُقال عنه " في البدء كان الكلمة" ³، فإنه ما يليق بالإنسان هو أن يُولد ويُخلق. فمن إذن يرى الرب وهو يمشى كإنسان. وقد ظهر من أعماله أنه إله ⁴. ولا يتساءل قائلاً: "من الذي صنع هذا إنساناً؟" ومن أيضاً لا يجيب على هذا السؤال بأن: "الآب هو الذي صنعه إنساناً وأرسله إلينا كرئيس كهنة"؟ وما كتبه الرسول نفسه قائلاً: " كونه أميئاً للذي أقامه (صنعه)" يوضح هذا المعنى ويحدد هذا الوقت، ويشير إلى هذا

¹ يو 1:14.

² عب 2:3.

³ يو 1:1.

⁴ يشرح القديس أثناسيوس هذه الحقيقة في الفصول 18 . 19 من كتابه "جسد الكلمة" المرجع السابق

ص 51 . 55.

الشخص. وهذا يتضح أكثر عندما نقرأ ما كتبه الرسول قبل هذه الكلمات. إذ أن تسلسل الفكر الواحد وما جاء في هذا الفصل من الرسالة يشير إلى نفس الموضوع. فهو يكتب في رسالته إلى العبرانيين ما يلي: " *فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو نفسه أيضًا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل أيام حياتهم تحت العبودية. لأنه حقًا ليس يمسك الملائكة، بل يمسك نسل إبراهيم. ومن ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شيء، لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أمينًا فيما لله. حتى يكفر عن خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجربًا يقدر أن يعين المجريين*"¹. وأيضًا " *من ثم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أمينًا للذي أقامه*"².

9 . فمن الذي يقرأ كل هذه الفقرة ولا يدين الأريوسيين، ولا يُبدى إعجابه بالرسول المطوّب لأنه قد تكلم بالصواب. لأنه متى "صُنِعَ"، ومتى "صار" المسيح رسولاً إلاّ عندما اشتراك هو نفسه " *في اللحم والدم*" بطريقة مماثلة لنا؟ ومتى صار " *رئيس كهنة أو رحيماً وأميناً*"، إلاّ عندما صار " *مشابهاً لآخوته في كل شيء*"؟ ولقد حدثت المشابهة عندما صار إنساناً لابساً جسداً نحن. ولذلك فعندما يقول بولس " *كونه أمينًا للذي أقامه*" فإنه يتحدث عن تدبير تجسد الكلمة وليس بخصوص

¹ عب2:18.14.

² عب1:3و2.

جوهر الكلمة. إذن فلا يجب أن تتخدعوا وتقولوا إن كلمة الله مصنوع، لأنه بحسب الطبيعة هو ابن وحيد الجنس، ثم صار له "اخوة" عندما ارتدى جسداً شبيهاً بنا، والذي به بذل ذاته بذاته وحده وسُمي "رئيس كهنة"، ودعى رحيماً وأمييناً. فمن ناحية هو "رحيم" لأنه بذل نفسه عنا¹، ومن ناحية أخرى هو "أمين" ليس لأنه مشارك لنا في الإيمان، وليس لأنه يؤمن بشخص ما مثلنا، بل لأنه هو الذي يجب أن نؤمن به في كل ما يقوله وما يفعله. ولأنه قدّم ذبيحة أمينة أبدية وليست زائلة. لأن الذبائح المقدمة بحسب الشريعة ليست أمينة، إذ أنها تُقدم كل يوم. وهي أيضاً تحتاج إلى تطهير، أما ذبيحة المخلص فقد كانت مرة واحدة وأكملت (خلاص) الكل وظلت أمينة لأنها باقية على الدوام.

ولقد كان لهرود خلفاء، وعموماً فإن رجال الكهنوت بحسب الشريعة يحلّون محلّ سابقهم بمرور الوقت أو بسبب الموت. أما الرب فله "كهنوت ثابت لا يزول"². لقد صار رئيس كهنة أميناً باقياً إلى الأبد، وقد صار أميناً حسب الوعد لكي يستجيب لأولئك الذين يقتربون إليه ولا يخدعهم. هذا ما يمكن أن نتعلمه من رسالة بطرس العظيم الذي يقول: "إذن فالذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين"³، لأنه هو أمين وغير متغير، بل هو ثابت إلى الأبد. وهو يهب

¹ يذكر القديس أثناسيوس أن السيد المسيح قد قدم نفسه عنا ذبيحة خالية من كل عيب ببذله لجسده كتقدمة مناسبة لهذا رفع حكم الموت فوراً عن نظرائه البشر، انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق، فصل 9:1.

² انظر عب 7:47.

³ 1بط 4:19.

تلك الأثشاء التي وعد بها.

10 . ومن ناحية أخرى فإن تلك التي تُدعى آلهة عند اليونانيين دون أن تستحق هذا اللقب، هي ليست أمينة لا بحسب كيانها ولا بحسب وعودها إذ أنها ليست هي بعينها في كل مكان، بل هي آلهة محلية قد أفسدها الزمن واضمحلّت من تلقاء ذاتها¹، لذا يصرخ الكلمة ضدّهم: إن الإيمان ليس قوياً فيهم بل هم "مياه خادعة" وأنه "لا إيمان فيهم"، أما إله الجميع إذ هو واحد في الواقع وبالْحَقِيقَة فهو إله حق وأمّين وثابت إلى الأبد. وهو يقول: "انظروا إليّ فترون إني أنا هو هو"²، و"إني ما تغيرت"³. ولهذا السبب فإن ابنه أمّين وهو على الدوام غير متغير وغير مخادع لا في كيانه ولا في وعده. وكما كتب الرسول إلى أهل تسالونيكي قائلاً: "أمّين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً"⁴. لأنه إذ يعمل ما وعد به فهو أمّين في أقواله. ولهذا يكتب عن معنى اللفظ الذي يفيد عدم التغير "إن كنا غير أمّناء فهو يبقى أمّيناً لا يقدر أن ينكر نفسه"⁵. والرسول إذ يتحدث عن الحضور الجسدي للكلمة يقول: "كونه رسولاً وأمّيناً للذي أقامه"⁶، مبيّناً أنه حتى بعد أن صار

¹ انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 45 حيث يوضح القديس أنثاسيوس أن تجسد الكلمة أبطل أعمال الآلهة الكذبة احتلت الإنسان.

² تث 32:39.

³ ملا 6:3.

⁴ 1 تس 5:24.

⁵ 2 تي 2:13.

⁶ انظر عب 3:1 و2.

إنسانًا فإن يسوع المسيح " هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد"¹، أى لا يتغير. ومثلما أشار الرسول بواسطة رئاسة كهنوته إلى تأنس الرب عندما كتب في رسالته، فإنه لم يسكت طويلاً عن الحديث عن ألوهيته بل أشار إليها مباشرة، لكي يكون هناك أمان من كل ناحية وخاصة حينما يتحدث عن التواضع لكي نعرف على الفور رفعتة وجلاله الذى من الآب. ولذلك قال: وموسى كان خادمًا أما المسيح فهو ابن. كان الأول "أمينًا في بيته" أما الثاني فكان "على بيته"² لأنه هو الذى أقامه وشيّدته إذ هو ربه وخالقه، وكإله قد قدسه.

ولما كان موسى إنسانًا بالطبيعة. فإنه قد صار أمينًا بسبب إيمانه بالله الذى تحدث إليه عن طريق الكلمة، أما الكلمة فلم يكن في الجسد كأحد المخلوقات، ولم يكن كمخلوق في مخلوق، بل هو كإله في الجسد، كخالق ومشيد وسط ما خُلق بواسطته. وإن كان البشر قد لبسوا جسدًا فلكى يكون لهم وجود وكيان. أما كلمة الله فقد صار إنسانًا لأجل تقديس الجسد، وبينما هو رب فقد وُجد في هيئة عبد، لأن كل الخليقة التى وُجدت بالكلمة وخُلقت به هي عبدة له. وبهذا يتضح أن ما قاله الرسول: " للذي أقامه (صنعه)" لا يثبت أن الكلمة مصنوع، وإنما المصنوع هو الجسد المماثل لنا، الذى اتخذه، وبالتالي إذ قد صار إنسانًا فقد دُعى أخًا لنا.

¹ عب8:13.

² انظر عب3:6و5.

11 . فإن كان قد اتضح أنه حتى عندما يستعمل لفظ "صُنِعَ" منسوبًا إلى الكلمة نفسه، فإنه يستعمله بمعنى "وُلِدَ"، فأية حيلة خبيثة سيتمكنون من تليفيها زورًا في سبيل تحقيق غرضهم، في حين أن حديثنا قد ألقى الضوء على هذا اللفظ من كل ناحية، فقد اتضح أن الابن ليس مصنوعًا بل هو . بحسب الجوهر . مولود الآب، بينما بحسب تدبير التجسد ومسرة الآب الصالحة فإنه من أجلنا صُنِعَ وتشكّل كإنسان، ولذلك قيل بواسطة الرسول: "كونه أميًّا للذي صنعه" وفي سفر الأمثال "قناني" ¹ لأنه مادمننا نعترف أنه قد صار إنسانًا، فلا يوجد ما يمنع أن يُقال عنه كما سبق أن قيل إنه: "قد صار"، أو "قد صنِعَ"، أو "قد خُلِقَ"، أو "تشكّل" أو "إنه عبد" أو "ابن أمه" أو "ابن الإنسان"، أو إنه "تكوّن" أو "رجل" أو إنه "عريس" أو "أخ"، لأن كل هذه الألفاظ إنما هي الخصائص المعروفة عن البشر، وهي لا تتحدث عن جوهر الكلمة بل عن صيرورته إنسانًا.

¹ أم 8:22.

الفصل الخامس عشر

شرح نصوص : خامسًا:

” جَعَلَ يَسُوعَ .. رَبًّا وَمَسِيحًا ”

أع2:36

وهذا المعنى نجده أيضًا في سفر الأعمال حيث يقول بطرس الرسول " *إِنَّهُ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَّبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا*"¹. لأنه لم يُكتب هنا: " *جَعَلَ ابْنًا لِدَاتِهِ*" أو " *جَعَلَ كَلِمَةً لِنَفْسِهِ*" حتى يتخيلوا عندئذٍ مثل هذه الأفكار. فإن كان لم يغب عن بالهم أنهم يتحدثون عن ابن الله، فليبحثوا إن كان قد كُتِبَ في موضع آخر أن " *الله جعل لذاته ابنًا*" أو " *خلق لنفسه كَلِمَةً*" أو إن كان قد كُتِبَ صراحة في أى موضع أن " *الكَلِمَةُ مصنوعة أو مخلوقة*"، عندئذٍ فلينظر هؤلاء الجهلاء إن كان يمكن أن يجدوا شيئًا من هذا النوع. أما إذا لم يعثروا على شيء مثل هذا، بل هم فقط يتصيدون بعض التعبيرات المتفرقة مثل " *صُنِعَ*" و" *قد صُنِعَ*"، فإنى أخشى أنهم بعد قليل، عندما يسمعون كلمات مثل " *في البدء خلق الله السماء والأرض*" و" *صنع الشمس والقمر*" و" *صنع البحر*"²، فإنهم يقولون إنه السماء أو إنه هو النور الذي صار في اليوم الأول، وإنه أيضًا هو الأرض، وكل مخلوق من مخلوقاته. وبذلك فإنهم يتشبهون بالذين يُسمَّون بالرواقيين³. والرواقيون يعتبرون الله نفسه أنه منتشر في

¹ أع2:36.

² تك1:16:11.

³ الرواقيون هم أتباع الفلسفة الرواقية نسبة إلى رواق بوليجنوس المزخرف بأثينا والذي اتخذ زينون

كل المخلوقات. أما هم فإنهم يضعون كلمة الله في مرتبة واحدة مع كل مخلوق من المخلوقات، خاصة أنهم قد وصلوا فعلاً إلى هذه الدرجة، وذلك عندما قالوا إنه هو من بين المخلوقات.

12 . وهنا يلزم أن يسمعوا نفس الكلام مرة أخرى. وليتعلموا أولاً أن اللوغوس هو ابن الله، كما قيل أيضاً فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغي أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى ألوهيته، بل عليهم أن يفتشوا لماذا، وكيف كتبت هذه الأقوال؟ ومما لا شك فيه أن تدبير التجسد الذي صنعه لأجلنا سيجيب على الذين يتساءلون، لأن بطرس عندما قال " جعله رباً ومسيحاً " أضاف في الحال " الذي صلبتموه أنتم "1، مما جعل الأمر واضحاً للجميع. ولعله يصير أيضاً واضحاً لهؤلاء، إن كانوا يتابعون معنى النص، إن كلمة "جَعَلَ" ليست عن جوهر الكلمة . بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى الجسد؟ فكيف يمكن أن يتحدث عن ما هو جسد في الكلمة سوى بقوله "جَعَلَ (صنع)"؟. وإلى جانب ذلك، فإن قوله هنا "جَعَلَ"، له معنى أرثوذكسي (أى مستقيم)، لأنه لم يقل كما سبق وأوضحنا "جعله كلمته"، بل "جعله رباً"، وليس هذا فحسب بل جعله "رباً لكم"، و"فيما بينكم". وهذا هو ما يعنيه بقوله "تبرهن". فبطرس نفسه كان يشير إلى هذا عينه باهتمام، عندما بدأ هذه

(336 . 102 ق.م.) مقررًا له ليجتمع فيه مع أتباعه فدُعوا بالرواقيين وكانت فلسفة = = الرواقيين تدعو إلى السعي وراء الفضيلة والإصغاء إلى صوت الضمير وضبط العواطف والانفعالات، وكانوا يؤمنون أن كل الأشياء تؤدي إلى الخير. وقد اقتبس بولس الرسول عن شعرائهم في قوله: " كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً نرثته " (أع17:28) وهي من قول الشاعر الرواقى أراتوس.

1 أع2:36.

العظة الأولى بقوله: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله به في وسطكم كما أنتم أيضًا تعلمون"¹. وهذه الكلمة "صنع" التي استخدمها في نهاية حديثه شرحها في بداية حديثه بكلمة "تبرهن". لأنه من الآيات والعجائب التي كان الرب يصنعها، أثبت أنه ليس إنسانًا عاديًا، بل هو الله في الجسد، وأنه هو الرب وهو المسيح. وهذا ما قاله يوحنا في إنجيله "ومن أجل هذا كان اليهود يطاردونه، لأنه لم ينقض السبت فقط، بل أيضًا لأنه كان يقول إن الله أبوه، معادلًا نفسه بالله"². فإن الرب لم يصنع نفسه عندئذٍ إلهًا، ولا يمكن أن يُعقل أن يكون هناك إله مصنوع، ولكنه تبرهن أنه إله من خلال أعماله عندما قال "فإن لم تؤمنوا فأمنوا بأعمالى، لكي تعرفوا إني في الآب والآب فيّ"³. إذن فقد جعله الآب ربًا وملكًا في وسطنا، ولنا، نحن الذين كنا قبلًا عصاة. فمن الواضح أن هذا الذي يظهر الآن أنه ربٌ وملك، لم يبتدئ أن يصير عندئذٍ ملكًا وربيًا، بل ابتداءً أن يظهر ربوبيته، وأن تمتد ربوبيته حتى على الذين يعصونه.

13 . وإن كانوا يعتقدون أن المخلص لم يكن ربًا وملكًا، حتى قبل أن يصير إنسانًا وقبل أن يحتمل موت الصليب، وأنه عندئذٍ بدأ أن يكون ربًا، فليتهم يعرفون أنهم يرجعون من جديد إلى أقوال

¹ أع 2:36.

² يو 5:18.

³ يو 10:38.

الساموساطى¹ بصراحة. ولكن، إن كان كما سبق أن اقتبسناه وذكرناه أن الرب ملك أزلّى، وأن إبراهيم كان يعبده كرب. وموسى قال " فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء"². وداود يقول في المزمير " قال الرب لربى اجلس عن يمينى"³. و" عرشك يا الله إلى دهر الدهور، صولجان استقامة هو صولجان ملكك"⁴، و" ملكك ملك كل الدهور"⁵. فواضح أنه كان ملكًا وربًا سرمديًا قبل أن يصير إنسانًا لكونه صورة الآب وكلمته. وحيث إن الكلمة هو رب وملك أزلّى فيتضح أيضًا أن بطرس لم يقل إن جوهر الابن قد صنّع، بل أن ربوبيته علينا هي التي حدثت حينما صار إنسانًا، وأنه بافتدائه الكل بالصليب، قد صار رب الجميع وملكًا عليهم، وإن كانوا يجادلون بسبب أنه مكتوب "جَعَل" ولا يريدون أن يقرّوا بأن "جَعَل" تعنى "أظهر"، أو بسبب عدم فهمهم، أو بسبب ميلهم لمعاداة المسيح، فلم يسمعوا مرة أخرى أن أقوال بطرس لها معنى مستقيم. لأن الذي يصير ربًا لآخرين، فإنه يملك على الذين هم بالفعل تحت سلطانه

¹ كان بولس الساموساطى أسقفًا لأنطاكية (260 . 268) وأدين في عام 268 بعد سلسلة من المجامع التي من خلالها ظهر ضلال عقائده. وحسب تعليم هرطقته اعتبر أن المسيح كان مجرد إنسانًا عاديًا ثم صار إلهًا بسبب جدارة عظمة شخصيته التي استحقتها بسبب التبنى (ولذلك سُميَ مشابعوه بأصحاب تعليم التبنى) وهكذا أنكر الساموساطى تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.

² تك24:19.

³ مز1:110.

⁴ مز6:45.

⁵ مز13:145.

الآن. أما إن كان الرب خالق الكلّ، وملك أبدى، فعندما صار إنسانًا اقتنانا نحن أيضًا. وبهذا يصير واضحًا أن ما قاله بطرس لا يعنى أن جوهر الكلمة مصنوع، بل يعنى أن خضوع الكلّ له فيما بعد وأن ربوبية المخلص هي التي قد صارت، على الكلّ. وهذا يوافق ما سبق أن قلناه. لأنه مثلما استشهدنا هناك بالأقوال التي تقول: "كن لى إلهًا معيّنًا"¹ و "صار الرب أيضًا ملجأً للمسكين"²، واتضح أن هذه الأقوال لا تعنى أن الله مخلوق، بل تشير إلى إحسانه المُقدم منه لكل واحد، وهكذا فإن قول بطرس له نفس المعنى.

14. ولما كان ابن الله نفسه هو الكلمة فهو رب الكلّ. إلا أننا خضعنا منذ البدء "لعبودية الفساد" و"لعنة الناموس"، وروبيدًا روبيدًا، صنعنا لأنفسنا موجودات (معبودات) خدمناها، كما قال الرسول المغبوط³، " واستُعبدنا للذين ليسوا بالطبيعة آلهة"⁴، فأنكرنا الإله الحقيقي وفضلنا الأشياء غير الموجودة على الحق. إلا أنه فيما بعد مثلما تأوه الشعب القديم متضجرًا في مصر، بعد أن ثقل كاهله، هكذا نحن أيضًا الذين لدينا الناموس المغروس في الضمير، وبحسب أنات الروح التي لا يُنطق بها⁵ بدأنا نصرخ قائلين: "أيها الرب إلهنا امتلكنا"⁶. وقد " صار

¹ مز 31:3.

² مز 9:9.

³ رو 1:25.

⁴ غل 4:8.

⁵ رو 8:26.

⁶ إش 26:13 (سبعينية).

لنا بيت ملجأ"، و"إله معين". هكذا أيضًا قد صار الرب بالنسبة لنا، ولم يكن هذا هو بدء وجوده، بل نحن الذين بدأنا نأخذه ربًا لنا. ومن ثم لأن الله صالح وهو أبو الرب، وإذ تحنن وأراد أن يصير معروفًا من الجميع، فقد جعل ابنه الذاتى يلبس جسدًا بشريًا ويصير إنسانًا ويدعى يسوع، لكي يبذل نفسه في هذا الجسد لأجل الجميع، ويخلص الجميع من الضلال بعيدًا عن الله، ومن الهلاك، ويصير هو نفسه ربًا وملكًا للكّل. لذلك فإن صيرورته ربًا وملكًا، هو نفس ما قصده بطرس بقوله "جعله ربًا، وأرسله مسيحًا"¹. وهذا مشابه للقول إن الرب إذ قد جعل منه إنسانًا . لأنه أمر يخص الإنسان أن يكون مصنوعًا . فهو لم يجعله إنسانًا فقط بل جعله هكذا لأنه يكون ربًا على الجميع ويقدّس الكلّ بواسطة المسحة. لأنه وإن كان الكلمة وهو في صورة الله، اتخذ صورة عبد، إلا أن اتخاذه للجسد لم يجعل الكلمة وهو رب بالطبيعة أن يكون عبدًا، بل بالأحرى فإن الكلمة بهذا الحدث (اتخاذ الجسد) قد حرّ كل البشرية. إن الكلمة نفسه وهو بالطبيعة الرب الكلمة قد جعل إنسانًا، ومن خلال صورة العبد صار رب الجميع ومسيحًا، أى لكي يقدّس الجميع بالروح. وكما أن الله عندما صار إلهًا معينًا قائلًا: " سأكون لهم إلهًا"²، فإنه لم يصر في ذلك الوقت إلهًا أكثر من ذي قبل، ولم يبتدئ عندئذ أن يصير إلهًا، بل إن هذا هو الأمر الواقع دائمًا، ولكنه صار هكذا للمحتاجين إليه حينما سرّ بذلك. وهكذا أيضًا المسيح إذ هو بالطبيعة رب وملك أزلى، لم يصر ربًا عندما أرسل، ولم يبتدئ عندئذ أن يكون

¹ انظر أجم 2:36.

² خر 27:37.

ربًا وملكًا، بل هذا هو الأمر الواقع دائمًا، إنما قد جُعل هكذا بحسب الجسد. ولأنه صار فاديًا للجميع، فقد صار رب الأحياء والأموات. ولذلك فإن كل الأشياء تخضع له، وهذا أيضًا هو ما يعنيه داود حينما يترنم: "قال الرب لربي. اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئًا لتقدميك"¹. لأنه لا يجب أن يكون الفداء عن أى طريق آخر سوى عن طريق ذاك الذي هو رب بالطبيعة، لئلا بعد أن خلقنا الابن فإننا ندعو لنا ربًا آخر، أو نسقط في الحماقة الآريوسية والوثنية بأن نعبد المخلوق من دون خالق جميع الأشياء².

15 . هذا هو المعنى المقصود من هذا القول . وذلك على قدر حقارتى . لأن أقوال بطرس هذه الموجهة إلى اليهود، لها سبب حقيقي وصحيح لأن اليهود إذ ضلّوا عن الحق وزاغوا، مازالوا ينتظرون مجيء المسيح ظانين أنه لن يقاسى ألمًا عندما يأتى، ويقولون ما لا يفهمونه: "نحن نعرف أنه عندما يأتى المسيح سيبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يُرفع"³ وهم أيضًا لا يرون أنه الله الذي جاء في الجسد، بل إنه مجرد إنسان سامى مثل كل الملوك. ولذا وبخ الرب كليوباس والذي معه معلمًا إياهما "أن المسيح ينبغي أن يتألم أولًا"⁴. وهكذا فعل أيضًا مع اليهود الآخرين معلمًا إياهم أن الله أقام في وسطهم عندما

¹ مز 11:1.

² رو 1:25.

³ يو 12:34.

⁴ لو 24:26.

قال: " إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدسه الآب وأرسله إلى العالم، أتقولون أنتم إنك تجدف لأنى قلت إنى ابن الله"¹.

16. ولأن بطرس قد عرف هذه الأمور من المخلص، فقد قوم أفكار اليهود في كلتا الحالتين وكأنه يقول: [أيها اليهود إن الكتب المقدسة تعلن أن المسيح قادم، وأنتم تظنونونه إنساناً بسيطاً كواحد من نسل داود، أمّا ما كُتب عنه فيبين أنه ليس مثلما تقولونه أنتم، بل بالحرى يعلن أنه رب وإله، وغير مانت، وهو واهب الحياة. لأن موسى يقول: " سترون حياتكم معلقة قدام عيونكم"²، وداود يقول في المزمور المئة والتاسع: " قال الرب لربي اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك"³ وفي المزمور الخامس عشر " لن تترك نفسى في الهاوية، ولن تدع قدوسك يرى فساداً"⁴ لأن مثل هذه القوال، في الواقع لا تعود على داود، فهو نفسه يشهد قائلاً بأن الآتى هو ربه، وأنتم أنفسكم تشهدون أن داود قد مات ورفاته موجود لديكم. فإن كان المسيح يجب أن يكون هكذا كما تتحدث عنه الكتب، فأنتم أنفسكم يجب أن تعترفوا به لأن هذه الكلمات قد قالها الله، ولا يمكن أن يعترها أي كذب. فإن استطعتم أن تثبتوا أن هناك شخصاً مثل هذا قد جاء قبل ذلك، وتستطيعون أن تبرهنوا أنه هو

¹ يو 10:3635.

² تث 28:66، هكذا فهم الآباء هذا النص. راجع كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 35.

³ 1:110 في الطبعة المتداولة.

⁴ مز 16:10 في الطبعة المتداولة.

الله، من الآيات والمعجزات التي يكون قد صنعها، فيحق لكم أن تجادلوا. أما إن لم تتمكنوا من إثبات أن مثل هذا الشخص قد أتى، بل لا تزالون تنتظرونه، إذن فاعرفوا وقت مجيئه من نبوات دانيال. لأن ما قاله إنما يشير إلى الوقت الحاضر. فإن كان هذا الوقت الحاضر هو الوقت الذي سبق الإعلان عنه، وشاهدتم الأحداث التي وقعت بيننا الآن، فإن (يسوع) هذا الذي صلبتموه أنتم، هو المسيح نفسه، وهو المسيح المنتظر. لأن داود وكل الأنبياء ماتوا وقبورهم عندكم. أما القيامة التي حدثت الآن فإنها توضح أن ما قد كُتِبَ يخبر عنه.

لأن الصلب هو المقصود بالقول: "سترون حياتكم معلقة"¹ وجرحه بالحربة في جنبه هو تكميل للقول "كشاة سيقت إلى الذبح"². وقيامته . ليس هو وحده . بل قيامة الموتى القدامى من قبورهم (لأن غالبيتكم قد شاهدوهم)، هي ما يعنيه القول: "لن تترك نفسى في الهاوية"³. و"ابتلع الموت بقوته" وأيضاً "الرب مسح"⁴. لأن هذه العلامات التي حدثت فعلاً تثبت أن هذا الذي في الجسد هو الله، وأنه هو الحياة . وهو رب الموت. فالمسيح الذي هو واهب الحياة للآخرين لا ينبغي أن يسود عليه الموت. وهذا ما كان ممكناً أن يحدث لو كان المسيح إنساناً عادياً كما تعتقدون أنتم، بل هو بالحقيقة، ابن الله. لأن جميع الناس خاضعون للموت. من أجل هذا لا ينبغي لأحد أن يشك فيما بعد، بل

¹ نت66:28.

² إش7:5.

³ مز10:16.

⁴ إش8:25.

ليعلم كل بيت إسرائيل تمامًا، أن يسوع هذا، الذي رأيتموه إنسانًا في مظهره الخارجي، وهو يصنع آيات وأعمالًا مثل هذه . التي لم يصنع مثلها أحد قط . هو نفسه المسيح ورب الجميع . لأنه رغم أنه صار إنسانًا ودُعِيَ باسم "يسوع" كما سبق أن قلنا، إلا أن قدره لم ينقص بالآلام البشرية. بل بالحرى، فإنه بصيرورته إنسانًا قد برهن أنه رب الأحياء والأموات. " لأنه إذ كان العالم في حكمة الله، لم يعرف الله بالحكمة، استحسّن الله أن يخلّص المؤمنين بواسطة جهالة الكرازة"¹. وهكذا نحن البشر أيضًا، عندما رفضنا أن نعرف الله من خلال كلمته، ورفضنا أن نخدم سيدنا الطبيعي: كلمة الله، استحسّن الله أن يُظهر روبيته الذاتية في الإنسان، وأن يجتذب الجميع نحو نفسه². ولم يكن من اللائق أن يصنع هذا بواسطة إنسان عادي حتى لا نصير عابدى بشر باتخاذنا الإنسان ربًا، ولأجل ذلك فقد صار الكلمة نفسه جسدًا، ودعاه الآب يسوع. وهكذا جعله ربًا ومسيحًا. بمعنى أنك تقول: "جعله لكي يسود ويملك". ولأنه باسم يسوع . الذي صلبتموه . أنتم . تتحنى كل ركبة، فإننا نعترف أن الابن نفسه هو الرب والملك، ومن خلاله فقد نعترف أن الآب هو أيضًا الرب والملك].

17 . وعندما سمع غالبية اليهود هذه الأقوال رجعوا إلى أنفسهم، ثم اعترفوا بالمسيح كما هو مكتوب في سفر الأعمال³. ولأن مجانيين الآريوسية قد اختاروا أن يظلوا يهودًا، وأن يناضلوا ضد بطرس، لذلك

¹ 1كو1:21.

² انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 43.

³ أع2:37.

هيا بنا نقتبس لهم عبارات مماثلة، فربما يتحولون بهذه الطريقة عندما يتعلمون أسلوب الكتب المقدسة. فقد اتضح مما سبق أن المسيح رب أرلى وملك، ولا يشك أحد في هذا القول. فلأنه هو ابن الله، فإنه يلزم أن يكون مماثلاً له، ولكونه مماثلاً فهو قطعاً رب وملك معاً. فقد قال هو عن نفسه " من رأني فقد رأى الآب"¹. أما وأن عبارة بطرس هذه: " جَعَلَهُ رَبًّا وَمسيحًا"، لا تعنى أن الابن مصنوع، فهذا ممكن أن نراه من بركة اسحق. رغم أن هذه الصورة باهتة نوعاً ما من جهة الموضوع المطروح للبحث. وذلك عندما قال ليعقوب " كن سيِّداً لأخيك"²، وقال لعيسو " هأنذا قد جعلته سيِّداً لك"³.

إذن حتى لو كان لفظ "جَعَلَ" يشير إلى جوهر يعقوب وبدء وجوده فما كان ينبغي لهؤلاء أن يفكروا بمثل هذه الأفكار عن كلمة الله، لأن ابن الله ليس مخلوقاً مثل يعقوب. ومع ذلك فقد كان في وسعهم أن يستوضحوا الأمر ويعرفوه حتى لا يتمادوا أكثر في جنونهم. فإن فهموا هذه الأمور على أنها لا تخص الجوهر ولا بداية الوجود. على الرغم من أن يعقوب مخلوق ومصنوع بحسب الطبيعة. فكيف لا يكونون أكثر جنوناً من الشيطان، عندما يتجاسرون أن ينسبوا لابن الله تلك الأوصاف التي لا يتجاسرون أن يلصقوها بالكائنات المخلوقة بالطبيعة، ويقولون عنه إنه مخلوق؟ فإن قول إسحق "كن" و"جعلته" لا يعنى بداية خلقه يعقوب ولا جوهره، لأنه قال هذا بعد ثلاثين سنة أو أكثر من

¹ يو 14:9.

² تك 27:29.

³ تك 27:37.

ميلاد يعقوب، ولكن سيادته على أخيه هي التي حدثت بعد ذلك.

18 . إذن فبطرس بالأحرى . ما كان يقصد بهذه الكلمات أن جوهر الكلمة مخلوق لأنه يعرف أنه ابن الله، إذ أنه قد اعترف قائلاً: " أنت هو المسيح ابن الله الحي"¹، ولكنه يقصد بها ملكوته وسيادته التي تحققت وصارت فينا بحسب النعمة. وهو حينما قال هذا لم يصمت عن الحديث عن ألوهية ابن الله الأزلية التي هي أيضًا للآب. لأنه قد سبق وقال إنه قد سكب الروح علينا²، إذ ليس من طبيعة الخليقة ولا الأشياء المصنوعة أن تُعطى الروح بسلطان، بل هو عطية الله. فالمخلوقات تتقدس بواسطة الروح، أما الابن فحيث إنه لا يتقدس بواسطة الروح بل بالأحرى هو الذى يعطى الروح للجميع، لذلك فهو ليس مخلوقًا، بل هو ابن الابن الحقيقي. ورغم أنه هو واهب الروح، إلا أنه يُقال عنه أيضًا إنه قد صُنِعَ، وهذا يعنى أنه صُنِعَ ربًا فيما بيننا من خلال بشريته، في حين أنه واهب الروح لأنه كلمة الله. لأنه كما كان ابنًا على الدوام ولا يزال دائمًا، فهو أيضًا رب وسلطان على الجميع، لكونه مثل الآب في كل شئ وله كل ما للآب كما قال هو نفسه³.

¹ مت 16:16.

² أع 2:17.

³ يو 16:15.

الفصل السادس عشر

مقدمة لشرح أمثال 22:8 " الرب قناني أول طريقه " أن الابن ليس مخلوقاً

18 (تكملة) . هيّا إذن فلنتأمل ما قيل في سفر الأمثال: " الرب قناني (خلقى) أول طريقه لأجل أعماله " (أم 22:8 سبعينية). رغم أننا إذ قد أوضحنا أن الكلمة ليس مصنوعاً، فهذا يدل أيضاً على أنه ليس مخلوقاً. فأن يُقال عنه إنه مصنوع هو نفس معنى أن يُقال عنه إنه مخلوق، لذا فإن البرهان على أنه غير مصنوع هو نفس البرهان على أنه ليس مخلوقاً. لهذا قد يُدهش البعض مما اخترعه هؤلاء من تبريرات لكفرهم، غير مستحين من البراهين التي أقمناها لكل نقطة على حدة. لأنهم قبل كل شيء، أخذوا يخدعون البسطاء بأسئلتهم مثل: "هل الكائن قد صَنَع من غير الموجود كائناً غير موجود أم كائناً موجوداً؟" وأيضاً "هل كان لك ابن قبل أن تلده؟". ولما اتضح أن كلامهم هذا فاسد وبلا أساس، أخذوا يخرعون هذا السؤال " هل يوجد واحد فقط غير مخلوق أم اثنان؟" وبعد أن دحضت أفكارهم سرعان ما أضافوا "هل له إرادة حرة؟ وهل طبيعته قابلة للتغيير؟"¹. ولكن بعد أن رفضت هذه أيضاً يقولون في الحال " صائراً أعظم من الملائكة بهذا القدر"². وحينما دحضت الحقيقة هذا الإدعاء أيضاً، فهم الآن، وقد ساقوا كل تلك

¹ انظر "ضد الأريوسيين"، المرجع السابق المقالة الأولى: الفصل العاشر .

² عب 4:1.

الأقوال معاً يظنون أنهم عن طريق لفظتي "مصنوع"، و"مخلوق" سيدعمون هرطقتهم. فإن هذا هو ما يعنونه أيضاً، فهم لم يتخلوا عن خبثهم وسوء نيتهم، إذ هم يحوِّرون ويشكِّلون هرطقتهم نفسها بأشكال متنوعة، لعلهم يستطيعون أن يخدعوا البعض عن طريق هذه الأشكال المتغيرة، رغم أن كل ما سبق أن قلناه يثبت بطلان حجّتهم. ولكن حيث إنهم ملأوا كل مكان بهذا القول المأخوذ من سفر الأمثال حتى يبدو هذا القول لدى كثيرين من الذين يجهلون العقيدة المسيحية أنه يعنى شيئاً ما، فإنه من الضروري أن نوضح هنا القول مثلما اوضحنا عبارة "كونه أميئاً للذي أقامه"¹، وبنفس الطريقة سنفحص لفظ "قنى" (خلق) كى يظهر للجميع أنهم في هذا الأمر . كما في غيره . لا يملكون شيئاً سوى الخيال.

19 . أولاً، يلزم أن نرى الإجابات التي أجابوا بها على المطوب الذكر "الكسندروس"² في بادئ الأمر عندما ابتدعوا هرطقتهم، فقد كتبوا هكذا: "إنه مخلوق ولكن ليس واحداً من المخلوقات. إنه مصنوع ولكنه ليس واحداً من المصنوعات، إنه مولود ولكنه ليس واحداً من المولودين". إذن فليحذر كل واحد خبث هذه البدعة ودهائها، ذلك لأنها بعد أن عرفت مرارة انحرافها وضلالها، اضطرت أن تزين نفسها باستعمال ألفاظ تحتمل معانى مختلفة، فتقول "إنه مخلوق" وهذا ما تعتقده، ولكنها تظن أنها تستطيع أن تخفى ذاتها بقولها "ولكنه ليس كواحد من

¹ عب2:3.

² كان البابا الكسندروس أسقفاً لكبرى الأسكندرية عندما ظهرت الهرطقة الأريوسية. وهو أول من تصدى لها. انظر المقدمة المنشورة عن الأريوسية في بداية المقالة الأولى ضد الأريوسيين.

المخلوقات". فهم بكتاباتهم هكذا قد كشفوا كفرهم أكثر .
لأنه إن كان وفقاً لرأيكم أنه مخلوق، فكيف تتظاهرون بقولكم "لكن ليس كواحد من المخلوقات"؟ وإن كان هو "مصنوعاً" فكيف يكون "ليس كواحد من المصنوعات"؟. وفي كلامهم هذا يمكن أن نرى سم الهرطقة. لأنه بقولهم "مولود" ولكن "ليس كواحد من المولودين" فإنهم يقدمون أبناء كثيرين ويقولون أن الرب أيضاً واحد من بينهم، فإنه حسب اعتقادهم ليس بعد "وحيد الجنس" بل إنه واحد بين اخوة عديدين، وإنه يسمّى مولوداً وابتناً. فأية فائدة إذن من القول بانه من ناحية مخلوق، ومن ناحية أخرى غير مخلوق؟ وأيضاً لو قلتم "ليس كواحد من المخلوقات" فإنني سأثبت أن مغالطتكم هذه خالية من الحكمة. فإنكم لا تزالون تقولون "إنه واحد من المخلوقات". والأشياء التي يمكن أن يقولها أحد الناس عن سائر المخلوقات، تفكرون بها أنتم هكذا عن الابن كجهلاء وعميان حقاً. فهل أى مخلوق من المخلوقات هو مثل الآخر حتى تنسبوا هذا للابن كشيء مميز له؟ وكل الخليقة المرئية قد تكوّنت في ستة أيام. ففي اليوم الأول عمل النور الذي دعاه نهاراً، وفي اليوم الثاني كان الجلد، وفي اليوم الثالث بعد أن جمع الماء أظهر اليابسة، وأُنبت فيها مختلف الثمار وفي اليوم الرابع صنع الشمس والقمر وكل النجوم. أما في اليوم الخامس فقد خَلَقَ جنس الأحياء في البحر، والطيور في الهواء. وصنع في اليوم السادس نوات الأربع التي على الأرض، وبعد ذلك الإنسان.

" إن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مُدركة

بالمصنوعات"¹. فالنور ليس كالليل ولا الشمس كالقمر. ولا غير العاقل كالإنسان العاقل، ولا الملائكة كالعروش، ولا العروش كالسلطين، فكلها مخلوقات ولكن كل واحد حسب نوعه من المخلوقات، يوجد ويظل في جوهره الذاتى كما خُلق.

20 . وعندئذٍ إما يُستثنى الكلمة من بين المصنوعات، وكخالق يُنسب إلى أبيه ويُعترف به أنه ابن بالطبيعة، أو أن يكون مجرد خليفة وعندئذٍ يُعترف به أن له وضعه الخاص الذي للمخلوقات الأخرى تجاه بعضها البعض. فليُقل إذن عن كل هذه المخلوقات كما يُقال عنه، "خليفة ولكن ليس كواحد من المخلوقات. مولود أو مصنوع وليس كواحد من المصنوعين أو المولودين؟"، لأنكم قد قلتم إن "المولود" هو نفسه "المصنوع" عندما كتبتم: "مولود أو مصنوع". وبالإضافة إلى ذلك إن كان الابن يتفوق على سائر المخلوقات الأخرى بالمقارنة فإنه كمخلوق يظل مثل سائر المخلوقات. فإنه بالنسبة لتلك المخلوقات التى هي بطبيعتها مخلوقة، ممكن أن نجد البعض يتفوق على البعض الآخر " لأن نجمًا يمتاز عن نجم في المجد"². لأنه يوجد اختلاف بين سائر المخلوقات عند مقارنتها بعضها ببعض، ولكن ليس معنى هذا أن بعضها سادة، والبعض الآخر تخدم الأسمى منها، ولا يكون البعض علّة للمصنوعات والبعض الآخر ناتجًا منها. ولكن عمومًا فإن جميع الأشياء لها طبيعة صائرة ومخلوقة، وكلها تعترف فى ذاتها بخالقها كما

¹ رو 1:20.

² 1كو 15:41.

يترنم داود: "السموات تُحدِّثُ بمجد الله، والفلك يُخبر بعمل يديه"¹. كما يقول أيضاً الحكيم زربابل: "كل الأرض تتنادى والسماء تباركه، وكل المصنوعات تنزل وتترعد"². فإن كانت الأرض تسبح الخالق والحق وتباركه وترتعد أمامه، وإن كان خالقها هو الكلمة، وهو ذاته يقول: "أنا هو الحق"³، فتبعاً لذلك لا يكون الكلمة مخلوقاً، فهو الوحيد الذي من ذات الأب، والذي دبر كل الأشياء، وجميعها تسبحه كخالق، كما يقول هو ذاته: "كنت عنده مدبراً"⁴ و"أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضاً أعمل"⁵، إن تعبير "حتى الآن" يدل على أنه كائن ككلمة في الأب منذ الأزل، لأنه من خاصية الكلمة أن يعمل أعمال الأب ولا يكون خارجاً عنه.

21. وإن كانت هذه الأشياء التي يعملها الأب يعملها الابن أيضاً، والأشياء التي يخلقها الابن هي مخلوقات الأب، ومع ذلك يكون عمل الابن هو عمل الأب وخالقه، فعندئذ إما سيصنع نفسه ويكون هو خالق نفسه (حيث إن الأعمال التي يعملها الأب هي الأعمال التي يعملها الابن)، وهذا أمر غير معقول ومستحيل. أو إن كان يخلق ويعمل مخلوقات الأب، فلا يمكن أن يكون هو عملاً ولا خليفة. لأنه إن كان هو علة خالقه، وفي نفس الوقت مصنوعاً = مخلوقاً (حسب قولكم) فإن

¹ مز 1:19.

² عزرا الأول 3:36 (من الأسفار القانونية الثانية حسب النسخة اليونانية).

³ يو 6:14.

⁴ أم 8:30 سبعينية.

⁵ يو 17:5.

هذا يجعل نفس الشيء يحدث في حالة المخلوقات كما حدث معه (أى تصوير مخلوقة وخالقة في نفس الوقت) وإلا فإنه لا يكون قادرًا أن يصنع على الإطلاق. لأنه كيف يكون قد صار من العدم . كما تقولون . ويكون في إمكانه أن يخلق ويجلب إلى الوجود الأشياء غير الموجودة؟ فإن كان وهو نفسه يقوم بالخلق، فمن الممكن أن يُفهم أن هذا الأمر يحدث أيضًا لكل مخلوق حتى أنه يكون في وسع هذه المخلوقات أن تخلق. فإن كنتم تريدون أن يكون الأمر هكذا، فما الحاجة إذن إلى وجود الكلمة طالما أنه يكون في وسع المخلوقات الأقل منزلة أن تخلق المخلوقات الأسمى منها . أو إن كان في إمكان كل مخلوق . على وجه الإطلاق . أن يسمع مباشرة من الله منذ البدء "كن" و"فلتُخلق"، وتكون هذه هي الطريقة التي تكونت بها سائر الأشياء ولكن هذا لم يُكتب، وليس ممكنًا أن يُكتب هكذا لأنه ليس من الممكن أن يكون أحد المخلوقات علة خالقة، لأن كل الأشياء قد صارت بالكلمة، فلو كان الكلمة ذاته معدودًا بين المخلوقات كما كان في استطاعته أن يخلق كل الأشياء. بل ولا الملائكة أيضًا يستطيعون أن يخلقوا لأنهم هم أيضًا من بين المخلوقات¹، حتى إن كان فالنتينوس² وماركيون³ وباسيليديس⁴

¹ عن حقيقة أن الملائكة من المخلوقات وبالتالي لا تستطيع فداء الإنسان انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 7/13.

² فالنتينوس: يعد من أبرز الكتبة الغنوسيين وكثيرًا ما كان يمزج ما هو شعري بما هو تأملي. وكان يعلم في روما بين سنتي 140، 160م.

³ فالنتينوس: هرطوقى عاش وعلم في القرن الثاني، رغم نشأته المسيحية إلا أنه اعتنق الفكر الغنوسى فيما بعد وأنكر العهد القديم وإنجيل لوقا ورسائل بولس الرسول.

⁴ باسيليدس: هرطوقى غنوسى كان يعلم في ألسكندرية في أيام هادريان (117 . 138م).

يعتقدون بذلك وأنتم تتمثلون بهم. ولا الشمس لكونها مخلوق تستطيع أن تجلب إلى الوجود ما هو غير موجود، ولا يستطيع الإنسان أن يخلق إنسانًا، ولا الحجر حجرًا، ولا يتكاثر الخشب من خشب.

إنما هو الله " الذى صَوَّرَ الإنسانَ في الرحم"¹. وهو الذى ثبتت الجبال، والذى ينمى الأشجار. أما الإنسان فلكونه قادرًا على تحصيل المعرفة، فإنه يرتب هذه المادة ويصنفها، ويصنع أشياء من المادة الموجودة كما تعلّم، ويكون راضيًا بصناعته لها. ولأنه عرف طبيعة نفسه، فإنه عندما يحتاج إلى شئ، يعرف أن يطلبه من الله.

22. إذن فإن كان الله أيضًا يصنع ويشكّل شيئًا من المادة الموجودة سابقًا، كما تعلّم الفلسفة اليونانية، فإن الله لن يُدع خالقًا بل فنائًا، وهكذا فإن الكلمة سيعمل الأشياء بأمر من الله وفي خدمته².

ولكن إن كان الله قد دعا الأشياء غير الموجودة إلى الوجود بواسطة كلمته الذاتى، فلا يكون الكلمة من بين الأشياء غير الموجودة والتي دُعيت (إلى الوجود)، وإلاّ فلنبحث عن كلمة آخر بواسطته دُعي الكلمة نفسه أيضًا إلى الوجود. لأن كل الأشياء غير الموجودة قد صارت بالكلمة. وإن كان الأب يخلق ويصنع به، فلا يكون هو نفسه من بين الأشياء المخلوقة والمصنوعة، بل بالأحرى هو كلمة الله الخالق، ومن الأعمال الأب التى يعملها هو ذاته، يُعرف أنه " في الأب والآب فيه"،

¹ إر 1:5.

² وفي موضع آخر يؤكد القديس أثناسيوس على حقيقة أن الله يخلق كل شئ بالكلمة من عدم وليس من مادة موجودة. انظر كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق فصل 5 فقرة 3.

وأن " من رآه فقد رأى الآب"¹، وذلك بسبب أن جوهر الابن هو جوهر الآب ومماثل له في كل شيء. فكيف إذن يخلق به إن لم يكن هو نفسه **كلمته** وحكمته؟ وكيف يمكن أن يكون **كلمته** وحكمته إن لم يكن هو مولود جوهره الذاتى، ولا يكون واحداً من المخلوقات مثل الأشياء الأخرى؟ وإن كانت كل الأشياء قد صارت من العدم، وهي كائنات مخلوقة، وإن كان الابن . حسب معتقداتهم . هو واحد من بين المخلوقات التى لم تكن موجودة في وقت ما، فكيف يكون هو وحده الذى يُعلن الآب وهو وحده الذى يعرفه؟

لأنه إن كان ممكناً له أن يعرف الآب بالرغم من كونه مخلوقاً، فإن جميع المخلوقات أيضاً إذن يمكنها أن تعرف الآب، بحسب قياس المخلوقات، لأن جميع المخلوقات أيضاً مصنوعة مثله. وإن كان من غير الممكن للمخلوقات أن ترى الآب وتعرفه لأن هذه الرؤية وهذه المعرفة تعلق على مستوى جميع المخلوقات، فالله نفسه قد قال: " لا أحد يرى وجهى ويعيش"². أما الابن فقال: " ليس أحد يعرف الآب إلا الابن"³. إذن فإن الكلمة مختلف عن المخلوقات، وهو وحده الذى يعرف الآب ويراه كما قال " ليس أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الآب"⁴، وأيضاً " ليس أحد يعرف الآب إلا الابن". وإن كان هذا لا يروق لأريوس، فكيف إذن عرفه (أى عرف الآب) هو وحده إن لم يكن هو نفسه من ذات الآب؟ وكيف يمكن أن يكون من ذات الآب لو كان

¹ يو 14:9.

² خر 20:33.

³ مت 10:27.

⁴ يو 6:46.

مخلوقاً ولم يكن ابناً حقيقياً منه؟ لأنه يجب ألا نَمَلّ من تكرار نفس الأقوال المتعلقة بالتقوى مراراً¹. ولذلك فإنه يعدّ تجديدًا أن يعتقد أحد بأن الابن هو واحد من بين جميع المخلوقات. وأنه من التجديف والغباء أن يُقال " مخلوق ولكنه ليس كواحد من المخلوقات" و"مصنوع ولكنه ليس كواحد من (المصنوعات)"، و"مولود ولكنه ليس كواحد من بين المولودين". لأنه كيف لا يكون واحد من بين تلك المخلوقات لو أنه من وجهة نظرهم لم يكن موجودًا قبل أن يُولد؟ لأن خاصية المخلوقات والمصنوعات هي أنها تكون غير موجودة قبل أن تُخلق، وأنها تُوجد من العدم، حتى لو كانت هناك فروق بين المخلوقات بسبب اختلافها في المجد، فإن هذا الفرق بين الواحد والآخر يوجد في جميع المخلوقات ويتضح في كل المرثيات.

23. ولكن إن كان الهراطقة يحسبون الابن "مخلوقًا أو مصنوعًا ولكن ليس كواحد من المخلوقات" بسبب تفوقه عنها في المجد، لكان من الواجب أن تظهره الأسفار المقدسة وتميزه في درجة أسمى بالمقارنة بالمصنوعات الأخرى، فمثلًا كان يجب أن يُقال إنه أعظم من رؤساء الملائكة، وأنه أكثر كرامة من العروش، أو أكثر بهاءً من الشمس والقمر، وأعظم أيضًا من السموات. ولكن الواقع أن الكتب المقدس لا تذكره هكذا، بل إن الآب يُظهره أنه ابنه الذاتى والوحيد بقوله: " إنك

¹ يُفضل القديس أثناسيوس تكرار المعنى الذي يريد توضيحه باستخدام طرق متعددة من شرحه وهو ينه القارئ دائمًا إلى عملية التكرار. انظر فصل 80 وأيضًا تجسد الكلمة، المرجع السابق فصل 3/20.

أنت ابني¹، و " هذا ابني الحبيب الذي به سُررت"². ولهذا صارت " الملائكة تخدمه"³. حيث إنه كان مختلفاً عنهم وهم يسجدون له ليس لكونه أعظم منهم في المجد، بل لأنه مختلف تماماً عن جميع المخلوقات بما فيهم أولئك الملائكة، لأنه بحسب الجوهر هو الابن الوحيد الذاتي للآب. فلو كانوا يسجدون له لمجرد أنه متفوق في المجد لكان من الواجب على كل كائن من الكائنات الأدنى أن يسجد للأسمى منه. لكن ليس الأمر هكذا، لأن المخلوق لا يعبد مخلوقاً آخر، بل أن العبد يعبد الرب، والمخلوق يعبد الله. لذا فعندما أراد كرنيليوس أن يسجد لبطرس، منعه الرسول بطرس قائلاً: " أنا أيضاً إنسان"⁴. وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملاك في الرؤيا منعه الملاك قائلاً: " انظر لا تفعل فإني عبد معك ومع اخوتك الأنبياء ومع الذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. اسجد لله"⁵. وتبعاً لذلك فإن السجود يكون لله وحده، وقد عرف الملائكة أنفسهم هذا رغم أنهم يفوقون غيرهم في المجد. فهم جميعاً مخلوقات وليسوا من الذين يُسجد لهم، بل هم من بين الذين يسجدون للرب. فعندما أراد منوح أبو شمشون أن يقدم ذبيحة للملاك، منعه الملاك قائلاً: " لا تقدم لي بل لله"⁶. أما الرب فإنه يُسجد له من

¹ مز:2:7.

² مت:3:17.

³ مت:4:11.

⁴ أع:10:26.

⁵ رؤ:22:9.

⁶ قض:13:16.

الملائكة لأنه مكتوب: "فلتسجد له جميع ملائكة الله"¹. ومن كل الأمم، كما يقول إشعيا: "مصر تعبت لأجلك، وتجار الأثيوبيين، ورجال سبأ طوال القامة إليك يعبرون، وسيكونون عبيداً لك"، ثم يقول: "ولك يسجدون وإليك يتضرعون قائلين فيك وحدك الله. لا يوجد إله سواك يارب"². وعندما سجد له التلاميذ قَبِلَ منهم السجود وأخبرهم من يكون هو قائلاً: "أنتم تدعونني رباً ومعلماً وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك"³، وحينما قال له توما: "ربى وإلهى"⁴، سمح له بهذا القول، وبالأحرى قَبِلَهُ ولم يمنعه. لأنه كما يقول سائر الأنبياء، وكما يترنم داود: "هو رب القوات"⁵، و"رب الصاباؤوت" الذي تفسيره "رب الجنود" وهو إله حق ضابط الكلّ حتى ولو مزق الأريوسيون ثيابهم بسبب هذا.

24. فهو ما كان ليُسجد له، أو تُقال عنه تلك الأقوال لو أنه كان من بين المخلوقات. ولكنه الآن حيث إنه ليس بمخلوق، بل هو المولود الذاتى لجوهر الله المعبود، وهو ابنه بالطبيعة، لذلك فإنه يُسجد له ويُؤمن به أنه إله وأنه رب الجنود وله السلطان، وهو ضابط الكلّ مثل الآب، لأنه هو نفسه قد قال: "كل ما للآب فهو لى"⁶. لأنه من خاصية الابن أن يكون له ما للآب، وأن يكون هكذا حتى أن الآب يرى فيه، وأن جميع الأشياء تصير به، وأن خلاص الكلّ به يتم وفيه يتحقق.

¹ مز 76:7، عب 1:6.

² إش 45:14 سبعية.

³ يو 13:13.

⁴ يو 20:28.

⁵ مز 23:10.

⁶ يو 16:15.

الفصل السابع عشر

مقدمة لشرح أمثال 22:8 ” الرب قناني أول طريقه ” تابع : أن الابن ليس مخلوقًا

وجيد هنا أن نسألهم هذا السؤال أيضًا لكي يكون دحض هرطقتهم أكثر وضوحًا.

رغم أن " كل الأشياء " مخلوقة، وأصلها كلها من العدم وحتى الابن أيضًا . حسب فكرهم . مخلوق ومصنوع، وهو واحد من الأشياء التي لم تكن موجودة قط. فلماذا نجد في نفس الوقت، أنه هو ذاته قد صنعت به كل الأشياء، " وبغيره لم يكن شيء مما كان"¹؟ أو لماذا، حينما يكون الحديث عن "كل الأشياء" لا يفهم أحد أن الابن محسوب بين كل الأشياء، وإنما يُفهم أن المقصود هو المخلوقات فقط؟ في حين أنه عندما نتحدث الكتب المقدسة عن الكلمة، فهي لا تعنى أنه محدود بين "كل المخلوقات"، بل تضعه مع الآب، إذ أن الآب يعمل ويحقق به العناية والخلص للكل. فحسب فكرهم فإن نفس كلمة الأمر التي بها قد صارت كل الأشياء يمكن أن يوجد بها الابن أيضًا من الله وحده. ولكننا نقول إن الله لا يتعب من إصدار الأوامر ولا يضعف من خلق الأشياء كلها حتى يخلق الابن وحده فقط (كما يقولون)، وحتى بحسب احتياجه إليه كخادم ومعين لأجل خلق الأشياء الأخرى. لأن الله لا ولن يؤجل

¹ يو 1:3.

شيئاً مما يريد أن يصير، بل إنه فقط قد شاء، وكما شاء صار الكلّ في الحال، ولأن أحد لا يستطيع أن "يقاوم مشيئته"¹. إذن، لماذا لم توجد كل الأشياء إلاّ بأمر الله، ذلك الأمر الذي به قد وُجِدَ الابن أيضاً (حسب فكرهم) أو فليقولوا: لماذا قد صارت به كل الأشياء بالرغم من أنه هو أيضاً صائر؟ فيالحماقتهم عندما يقولون عنه: "إن الله عندما أراد أن يُوجد طبيعة مخلوقة، ورأى عدم قدرتها على احتمال لمسة يد الآب الشديدة، فإنه يصنع ويخلق أولاً واحداً مفرداً فقط، ويسمّيه ابناً وكلمة، كي عن طريقه كوسيط، يُوجد به كل الأشياء أيضاً". وهم لا يقولون هذا وحسب، بل أيضاً تجاسروا وكتبوا بيد كل من يوسيبوس وأريوس وأستيوريوس مقدم الذبائح (لأوثان).

25. أليس هذا برهان كافٍ على الكفر الذي مزجوا أنفسهم به بجنون متناه، وهم لا يستحون هكذا من أن يهذوا كالسكارى ضد الحق؟ لأنهم إن كانوا يؤكّدون أن الله قد صنع الابن فقط بسبب أنه تعب من خلق كل الأشياء الأخرى، فإن كل الخليقة ستصرخ² هازئة بهم باعتبار أنهم يقولون أشياء غير لائقة بالله. أما إشعيا فقد كتب قائلاً: "الله الأبدى الذي صاغ أطراف الأرض لا يجوع ولا يكل. وليس هناك فحص لفهمه"³. أما إن كانوا يقولون إن الله يستنكف أن يخلق الأشياء الأخرى، لهذا فقد صنع الابن فقط، وسلّم خلقه الأشياء الأخرى للابن كمساعد،

¹ انظر رو 9:19.

² استخدم القديس أثناسيوس فعل "تصرخ" لوصف شهادة الخليقة على عظمة عمل الله فيها. انظر ضد الوثنيين فصول 1/4، 3/27، 4/34، "تجسد الكلمة"، المرجع السابق 2/32.

³ إش 28:40 سبعمينية.

فإن هذا يكون غير لائق بالله لأن ليس عند الله كبرياء. وهؤلاء يخجلهم الرب الذي في السموات عندما يقول: " أليس عصفوران يباعان بدرهم؟ وواحد منها لا يسقط على الأرض بدون إذن أبيكم"¹؟ ويقول أيضاً: " لا تهتموا لحياتكم ماذا ستأكلون وماذا ستشربون. ولا لأجسادكم ماذا ستلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس. تأملوا طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوتها. أليست أنتم بالحرى أفضل منها؟ ومن منكم إذا اهتم بقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، وهي لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غداً في الأتون، يُلبسه الله هكذا، أفلنيس بالحرى جداً يُلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان"².

فإن لم يكن من غير اللائق بالله أن يعتنى بأصغر الأشياء إلى هذه الدرجة، مثل شعرة الرأس والعصفور، وعشب الحقل فإنه لا يكون من غير اللائق أن يخلق هذه الأشياء لأن الأشياء التي هي موضع عنايته، هي نفسها التي يكون هو خالقها بكلمته الذاتى. فإما أن تكون كل الأشياء ومعها الابن قد خُلقت من الآب، والذين يقولون هكذا يواجهون سخافة وبطلاناً شديدين، لأنهم لا يفرّقون بين المخلوقات وبين عمل الخلق، ويعتبرون أن الخلق هو عمل الآب، بينما يعتبرون الأعمال (المخلوقات) أنها عمل الابن، وإما إن كانت كل المخلوقات قد خُلقت

¹ مت 10:29.

² مت 6:30.

بالابن . فينبغى ألا يُقال إن الابن واحد من بين المخلوقات.

26 . ومن ثمَّ يكون من الممكن دحض حماقاتهم هكذا: فحتى لو كانت طبيعة الكلمة مخلوقة، فطالما يستحيل على هذه الطبيعة أن تُخلَق مباشرة من الله، فكيف استطاع الابن وحده من بين جميع المخلوقات أن يُخلَق من جوهر الله غير المخلوق والفائق النقاء كما تقولون أنتم؟ فالضرورة تقتضى أنه إن كان الكلمة يستطيع ذلك فكل الطبيعة المخلوقة تستطيع ذلك أيضًا. ولكن إذا لم يكن هذا فى استطاعة كل الطبيعة المخلوقة، فإن الكلمة نفسه أيضًا لا يستطيع ذلك لأنه . حسب فكركم . هو واحد من بين المخلوقات.

ومرة أخرى إن كانت الطبيعة بسبب عدم قدرتها أن تحتل فعل الخلق المباشر من الله، احتاجت إلى وجود وسيط، فالكلمة أيضًا لكونه مخلوقًا ومصنوعًا (حسب قولكم) فإنه يكون هو نفسه فى حاجة إلى وسيط لخلقه بسبب كونه واحدًا من الطبيعة المخلوقة التى لا تستطيع أن تحتل فعل الله، بل يحتاج إلى وسيط. وحتى لو وُجد هناك وسيط للكلمة فستكون هناك حاجة مرة أخرى لوسيط آخر لهذا الوسيط وهكذا باستمرار البحث والتتقيب سنجد حشدًا عارمًا من الوسطاء، وبذلك يكون من المستحيل أن تقوم للخليقة قائمة. إذ انها ستحتاج دائمًا إلى وسيط، وهذا الوسيط لن يستطيع أن يُوجد بغير وسيط آخر لأنهم جميعًا من طبيعة مخلوقة وهي التى لا تستطيع . كما تقولون أنتم . أن تحتل فعل الخلق الذى هو عمل الله وحده.

إذن، ما أكثر حماقاتهم التى تجعلهم يعتبرون الأشياء التى وُجدت

أنها لا يمكن أن تُوجد. أو ربما يتصورون أنها لم تكن قد وُجدت ماداموا لا يزالون يطلبون وسيطاً. لأنهم بحسب كفرهم وفكرهم الغبى لا يكون ممكناً بالكائنات أن تُوجد حيث إنها لا تجد الوسيط.

27 . ولكنهم أيضاً يدعون قائلين: " هوذا بواسطة موسى قد أخرج الله الشعب من مصر، وبواسطته أعطى الشريعة بالرغم من كونه إنساناً، حتى يكون ممكناً أن تصير الأشياء المماثلة بواسطة ما يماثلها". فكان ينبغي وهم يقولون هذا أن يخفوا وجوههم من الخجل الشديد، فإن موسى لم يُرسل لكي يخلق ولا لكي يدعو إلى الوجود تلك الأشياء التى لم تكن موجودة.

من أجل ذلك، ففيما يخص الخلق، لا يوجد من يقوم به سوى كلمة الله فقط، لأن " كل الأشياء قد صُنعت بالحكمة"¹، و" بغير الكلمة لم يكن شئ مما كان"². أما فيما يخص الخدمة، فليس هناك واحد فقط، بل يوجد كثيرون يستطيع الرب أن يرسلهم متى أراد، فهناك كثيرون من رؤساء الملائكة وكثيرون هم العروش والسلطين والسيادات، " ألوف وريوات ريوات يقدمون له الخدمة"³، وهم على استعداد أن يُرسلوا. وهناك أنبياء كثيرون واثنى عشر رسولاً ويولس، بل وموسى أيضاً لم يكن وحده بل كان معه هارون أيضاً، وبعد ذلك كان معه " سبعون

¹ مز 104:24.

² يو 1:3.

³ انظر دا 10:7.

آخرون امتلأوا بالروح القدس"¹. وموسى خَلَقَهُ يشوع ابن نون، وهذا خَلَقَهُ القضاة، وهؤلاء لم يخلفهم واحد بل كثيرون.

فلو كان الابن إذن مخلوقًا، وواحدًا من المخلوقات لكان من اللازم أن يكون هناك أنبياء كثيرون مثله، لكي يكون لله أيضًا خدام كثيرون من هؤلاء، كما أن له جمعًا غفيرًا من أولئك الآخرين. وإن لم يكن في الإمكان أن يرى أحد هذا الرأي، فإن الكلمة واحد، لكن المخلوقات كثيرة. من هؤلاء لا يفهم أن الابن يتميز على الجميع، وليس له أى وجه شبه بالمخلوقات، بل هو من ذات الآب. من أجل ذلك فلا يوجد عدد كثير من الكلمات، بل هناك كلمة واحد للآب الواحد، وصورة واحدة للإله الواحد. وهم يقولون: "ها هي شمس واحدة فقط وأرض واحدة". يا لهم من حمقى! فليقولوا أيضًا إن الماء واحد والنار واحدة، لكي نجيبهم بقولنا إن كل مخلوق بين المخلوقات هو واحد بحسب جوهره الخاص. أما من جهة الخدمة والعمل الموكلين إليه فليس كل مخلوق بمفرده كفاء ولا كافيًا، لأن الله قال: "لتكن أنوار في جلد السماء لتضيئ على الأرض، وتنفصل بين النهار والليل وتكن لآيات وأوقات وأيام وسنين"². ثم قال: "فصنع الله النورين العظيمين، النور الكبير لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل. والنجوم ثبتها في جلد السماء لتضيئ على الأرض فتحكم النهار والليل"³.

28. ها هي كواكب كثيرة: وليس فقط الشمس وحدها ولا القمر وحده،

¹ عد 11:25.

² تك 1:14.

³ تك 1:18.16.

بل كل منهما واحد بحسب جوهره، إلا أن خدمة الكلّ واحدة ومشاركة وما ينقص الواحد يكمله الآخر. وهكذا يشترك الكل في سد الحاجة إلى النور. فالشمس لديها السلطان أن تظهر في فترة النهار فقط، والقمر خلال الليل، أما النجوم فيتم بها مع الشمس والقمر الفصول والسنين، فتكون آيات¹ حسب الاحتياج المطلوب من كل منها. والأرض أيضًا ليست لكل شيء، بل للثمار وحدها، ولكي تكون موطنًا للحيوانات التي تمشي عليها. أما الجلد فهو الذي يفصل بين مياه ومياه: لكي يكون مكانًا للكواكب. وهكذا كل من النار والماء قد صار مع كل الأشياء الأخرى لأجل تكوين الأجسام. وعمومًا فليس هناك شيء واحد قائمًا بمفرده. بل كل واحد من المخلوقات كما لو كان مع بقية المخلوقات كأعضاء بعضها لبعض، يشكّلون العالم معًا كأنه جسد واحد.

فإن كانوا يفترضون أن الابن أيضًا هكذا، فإنهم يستحقون أن يُرجموا من جميع الناس. لأنهم يظنون أن الكلمة جزء من الكلّ، جزء لا يكفى بدون الأشياء الأخرى أن يقوم بالخدمة المسلّمة له. فإن كان هذا كفر واضح، فدعهم يعترفون أن الكلمة ليس معدودًا بين المخلوقات، بل هو كلمة الآب الوحيد، الذاتى وهو خالق المخلوقات ولكنهم قالوا عنه: " إنه مخلوق ومعدود بين المخلوقات، وقد تعلّم فن الخلق كما من معلم وفنّى، وهكذا خدم الله الذى علّمه". لأن أسستيريوس السفسطائى قد تجاسر على كتابة هذه الأقوال مثلما تعلّم أن ينكر الرب غير مدرك للحماقة التى تترتب عليها. لأنه إن كان الخلق شيء يمكن أن يُكتسب بالتعليم، فليحذروا أيضًا لئلا يقولوا عن الله نفسه أنه ليس خالقًا بالطبيعة

¹ انظر تك 1:14.

بل بالتعليم، فتكون النتيجة أنه يمكن أن يفقد خاصيته كخالق. وعلى ذلك فلو حصل حكمة الله على الخلق بالتعليم، فكيف يكون حكمة إن كان لا يزال في حاجة إلى دروس؟ وماذا كان حاله قبل التعليم؟ فإن كان ينقصه التعليم فإنه لا يكون حكمة، بل يكون شيئاً فارغاً، وليس حكمة بجوهره، ويكون قد اتخذ اسم الحكمة عن طريق الترقى ويظل هكذا حكمة على مدى الوقت مادام يحتفظ بما قد تعلمه. فالذى لا يوجد في طبيعة شخص ما، بل من خلال التعلم فمن الممكن أيضاً أن يفقد في وقت ما. ولكن من يقول مثل هذا الكلام عن كلمة الله فليس من بين المسيحيين، بل من بين الوثنيين.

29 . لأنه إن كان عمل الخلق يمكن اكتسابه بواسطة التعلم فإن عديمي العقل هؤلاء يقولهم هذا ينسبون الحسد والضعف إلى الله. فمن ناحية ينسبون إليه الحسد لأنه لم يعلم الخلق لكثيرين، لكي مثلما يوجد كثيرون من الملائكة ورؤساء الملائكة، هكذا يوجد حوله أيضاً خالقون كثيرون. ومن ناحية أخرى ينسبون له الضعف لأنه عجز عن أن يقوم بالخلق وحده، بل احتاج إلى معين أو خادم وذلك بالرغم من البرهنة على أن الطبيعة المخلوقة يمكن أن توجد من الله وحده، إذ هم يقولون إن "الابن مخلوق وقد صار من الله وحده". ولكن الله ليس في حاجة إلى أحد، حاشا لله. لأنه هو قال: "إني ممثلي"¹. والكلمة لم يصر خالقاً بل هو صورة الأب وحكمته فإنه يعمل أعمال الأب. والأب لم يجعل الابن من أجل عمل المخلوقات، لأنه هوذا رغم وجود الابن يظل الأب عاملاً أيضاً كما يقول الرب نفسه "أبى يعمل حتى الآن وأنا

¹ إش 1 : 11 سبعينية .

أعمل¹.

فإن كان الابن قد وُجد . حسبما تقولون . لكي يخلق الأشياء التي جاءت بعده، ومع ذلك يُرى الأب عاملاً حتى بعد وجود الابن، فإن وجود مثل هذا الابن يكون . بحسب قولكم . لا لزوم له. وإلا فلماذا يبحث الأب عن وسيط عندما شاء لأن يخلقنا كما لو أن مشيئته لم تكن كافية لخلق ما يبدو له حسناً؟ مع أن الأسفار المقدسة تقول: "كل ما شاء صنع"² وأيضاً "من يقاوم مشيئته"³. لو أن مشيئته وحدها كانت كافية لخلق كل الأشياء، فإن مرة أخرى تكون حاجته لوسيط . وفقاً لقولكم . من نافلة القول. ولذا فإن المثل الذي تضربونه عن موسى وعن الشمس والقمر يتضح أن لا أساس له. وبناء على ذلك فإن هذا القول يلجم ألسنتكم. فإن كان الله . حسبما تعتقدون . عندما أراد أن يخلق الطبيعة المخلوقة وقد عزم العزم على ذلك . خطط أن يخلق الابن أولاً لكي يخلقنا بواسطته، فتأملوا واعتبروا أى قدر من الكفر قد تجاسرتم أن تنطقوا به.

30 . فبحسب كلامكم يظهر أولاً أن الابن قد جُعل من أجلنا، ولسنا نحن من أجله، بمعنى أننا لم نُخلق لأجله ولكنه قد صُنِع من أجلنا، وبذلك يكون هو مديناً بالفضل لنا ولسنا نحن المدينين له، كوضع المرأة بالنسبة للرجل. فالكتاب يقول: "لأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل

¹ يو 5 : 17

² مز 135 : 6

³ رو 9 : 19

الرجل"¹. ولذلك إذن " فإن الرجل هو صورة الله ومجده، أما المرأة فهي مجد الرجل"². وهكذا فنحن صورة الله، وقد صرنا من أجل مجده، أما الابن فيكون . على أساس كلامهم . هو صورتنا وأنه وُجِدَ من أجل مجدنا، ونحن قد جُعِلنا لكي نُوجد. أما كلمة الله . حسب اعتقادكم . فإنه لم يُجعل لكي يوجد، بل قد جُعِل ليكون أداة لأجل وجودنا حتى أننا لم نتكوّن منه بل هو الذى قد تكوّن لأجل وجودنا. أليس الذين يفكرون بهذه الأفكار يفوقون كل جنون وحمافة؟ لأنه لو أن الكلمة قد صار من أجل وجودنا فلا يكون سابق علينا سوى الله، لأن الله (فى هذه الحالة) لم يخطط بخصوص وجودنا والكلمة كائن فى داخله، ولكنه خَطَطَ لأجل وجود كلمته . كما يقولون . ونحن فى داخله. فلو كان الأمر كذلك، فلربما لم يكن الأب يريد الابن على وجه الاطلاق، لأنه خلقه . حسب قولكم . لا لأنه كان يريد بل لأنه كان يريدنا نحن، فقد خلقه من أجلنا، لأنه خطط لوجوده بعد أن خطط لوجودنا معاً.

لذا فإنه حسب أفكار الكافرين يكون الابن الذى خُلِقَ لكي يكون أداة لا لزوم له. لأن الذين كان ينبغي أن يخلقهم كانوا موجودين بالفعل، فإن كان الابن وحده قد صار من الله مباشرة بسبب قدرته على احتمال ذلك، أما نحن فقد صرنا من الكلمة بسبب عدم قدرتنا، فلماذا لا يخطط الله بخصوص وجوده أولاً . وهو القادر (أى الابن) على احتمال ذلك، بل يخطط بخصوصنا؟ ولماذا لا يفضّل القادر على غير القادرين؟ ولماذا حيث إنه قد صنعه أولاً، لا يخطط بخصوصه أولاً؟ أما إن كان يخطط بخصوصنا أولاً، فلماذا لا يصنعنا نحن أولاً؟، مادامت مشيئته كفيّلة بتكوين الكلّ؟ بل يخلق

¹ 1 كو 11 : 9

² 1 كو 11 : 7

ذاك أولاً ومع ذلك فهو يُخطط أولاً بخصوص وجودنا، ويريدنا أولاً قبل الوسيط. وحينما يريد أن يخلقنا ويخطط بخصوصنا فإنه يسمينا مخلوقات. أما هذا الذى يخلقه من أجلنا فيسميه ابناً ووارثاً ذاتياً؟ فكان ينبغي بالأحرى أننا نحن الذين من أجلنا قد صنعه، أن يسمينا أبناء. ولكن بلا شك فلأنه هو ابنه فإنه يفكر فيه أولاً ويريده وهو الذى به صنعنا جميعاً. هذه هى إفرزات الهرطقة وتقيؤاتهم.

الفصل الثامن عشر

مقدمة لشرح : أمثال 8: 22
 ” الرب قناني أول طريقه ”
 تابع : أن الابن ليس مخلوقاً

31 . لا يجب الصمت عن مبدأ الحق بل فى الواقع ينبغى النطق به بصوت عالى . لأن كلمة الله لم يصر من أجلنا بل بالحرى نحن قد صرنا من أجله . وبه خلقت الأشياء¹ . وليس بسبب ضعفنا نحن كان هو قوياً وصائراً من الأب وحده ، لكى يخلقنا بواسطته كأداة! حاشا! فالأمر ليس كذلك . لأنه حتى لو لم يستحسن الله أن يخلق المخلوقات ، فالكلمة مع ذلك كان عند الله وكان الله فيه . وكان فى نفس الوقت من المستحيل أن تكون المخلوقات بغير الكلمة لأنها قد صارت به . وهذا هو الصواب . وحيث إن الابن هو الكلمة الذى له جوهر الله بالطبيعة ، وهو منه وهو فيه كما يقول هو نفسه ، لذلك لم يكن ممكناً أن تصير المخلوقات إلا به . لأنه مثلما يبينر النور كل شئ بأشعته وبدون إشعاعه ما كان شئ قد أضاء ، هكذا أيضاً فإن الله قد خلق كل شئ بالكلمة كما بواسطة يد ، وبدونه لم يخلق شيئاً .

فعلى سبيل المثال كما ذكر موسى " قال الله ليكن نور"² ، و" لتتجمع المياه"³ ، و" لتتبت الأرض"¹ ، و" لنصنع الانسان"² . وترنم

¹ كو 1: 16

² تك 1: 3

³ تك 1: 9

أيضاً داود القديس " هو قال فصارت هو أمر فُحَلِّقْتُ"³. أما أنه "قال" فليس كما يحدث في حالة البشر عندما يتكلم المرء يستمع خادم ما وبمجرد علمه برغبة المتكلم يسارع إلى التنفيذ والعمل، لأن هذا يختص بالمخلوقات. أما بالنسبة للكلمة فلا يليق أن يفكر أحد هكذا عنه. لأن كلمة الله خالق وصانع وهو نفسه مشيئة الآب. من أجل هذا لم يقل الكتاب الإلهي بأن المستمع سمع وأجاب فيما يخص الكيفية التي يريد أن تكون عليها المخلوقات، بل قال الله "ليكن" ثم أضاف " وكان هكذا"⁴.

لأن ما رآه الله حسناً وأراد، فعله الكلمة وأتمه في الحال. أما عندما أمر الله آخرين سواء ملائكة أو عندما كلم موسى، أو عندما أمر إبراهيم، عندئذ فإن الذي استمع أجاب. فقال الواحد "كيف سأعرف"⁵. وقال الآخر: " أقم آخر "⁶ وأيضاً " عندما يسألونني ما اسمه فماذا سأقول لهم"⁷. وقال الملاك لذكريا " هكذا يقول الرب"⁸. وسأل الملاك الرب " يارب يا ضابط الكل إلى متى لا ترحم أورشليم"⁹، وكان ينتظر

¹ تك: 1: 11

² تك: 1: 26

³ مز: 23: 9

⁴ تك: 1: 3، 6، 11، 15

⁵ تك: 15: 8

⁶ خر: 4: 13

⁷ خر: 3: 13

⁸ زك: 1: 17

⁹ زك: 1: 12

أن يسمع " كلمات طيبة ومعزية"¹. لأن كل واحد من هؤلاء يوجد عنده الكلمة الوسيط² وحكمة الله العارف بمشيئة الآب. ولكن عندما يعمل الابن ويخلق لن يكون هناك سؤال وجواب . لأن الآب موجودًا في الكلمة والكلمة في الآب . بل تكفى المشيئة فيصير العمل. ولفظة " قال " هذه كُتبت من أجلنا لكي نعرف مشيئته. ومن ناحية أخرى فعبارة " كان هكذا" تشير إلى العمل الذى تم بواسطة الكلمة والحكمة، الذى توجد فيه أيضًا مشيئة الآب. ونفس التعبير " قال الله" يشير إلى الكلمة لأنه يقول " صنعت كل الأشياء بالحكمة"³ و" بكلمة الرب تُبنت السموات"⁴. و" رب واحد يسوع المسيح الذى صارت به جميع الأشياء ونحن به"⁵.

32. من هذا ندرك أن الأريوسيين لا يحاربوننا من أجل هرطقتهم، بل يستعرضون أنفسهم أمامنا وهم يحاربون الألوهية ذاتها. لأنه إن كان الصوت القائل " هذا هو ابني"⁶ هو صوتنا لكان اللوم الذى يستحقونه منا قليل. ولكن إن كان الصوت هو صوت الآب والتلاميذ سمعوه،

¹ زك: 13

² يقصد القديس أثناسيوس بتعبير "الوسيط" أن كلمة الله قبل تجسده كان هو الذى يعلن مشيئة الله للملائكة والأنبياء كما هو وارد في هذه الفقرة.

³ مز: 104: 24

⁴ مز: 63: 6

⁵ 1كو: 8: 6

⁶ مت: 17: 5

والابن نفسه أيضًا يقول عن ذاته "قبل كل الجبال ولدنى"¹، ألا يكونون بهذا يحاربون الله مثل العمالقة الأسطوريين ولسانهم نحو عدم التقوى "سيف ماض" كما يقول المرئم لأنهم لم يخافوا صوت الآب، ولم يحترموا كلمات المخلّص، ولم يطيعوا القديسين، حيث كتب أحدهم "الذى هو بهاء مجده ورسم جوهره"². و"المسيح قوة الله وحكمة الله"³، وترئم آخر "لأن عندك ينبوع الحياة، وبنورك نرى نوراً"⁴، و"كلها بحكمة صُنعت"⁵. ويقول الأنبياء: "كلمة الرب صارت إلّى"⁶. ويقول يوحنا "فى البدء كان الكلمة"⁷، ويقول لوقا "مثلما سلمها إلينا الذين صاروا منذ البدء معانين وخدامًا للكلمة"⁸. كما يقول داود أيضًا "أرسل كلمته فشفاهم"⁹. وكل هذه الأقوال تفضح الهرطقة الأريوسية فى كل مكان، بل توضح أيضًا أزلية الكلمة، وأنه من جوهر الآب وليس غريبًا عنه. لأنه متى رأى أحدهم نورًا بغير إشعاع؟ أو من يجرؤ أن يقول إن "رسم الجوهر شىء آخر غير الجوهر"؟ وألا يكون قد أصيب بالجنون بدرجة كبيرة ذلك الذى يفكر أيضًا أن الله فى وقت ما كان بلا كلمة

¹ أم 8: 25

² عب 1: 3

³ كو 1: 24

⁴ مز 36: 9

⁵ مز 104: 24

⁶ أر 1: 4

⁷ يو 1: 1

⁸ لو 1: 2

⁹ مز 107: 20

وبلا حكمة؟.

لأن الكتاب وضع مثل هذه الأمثلة، ومثل هذه الصور . نظرًا لعجز الطبيعة البشرية عن إدراك الله . وذلك لكي يمكننا بقدر المستطاع أن نكون فكرة ولو طفيفة وباهتة. كما أن الخليفة فيها أمثلة كافية لمعرفة وجود الله وعنايته، " لأنه بقدر عظمة وجمال المخلوقات، هكذا يرى خالقها بطريق المقايسة"¹. ونحن نتعلم من المخلوقات دون أن نطلب منها أن تتطرق، بل إذ نسمع الكتب المقدسة فإننا نؤمن، وبرؤيتنا لنظام جميع الأشياء وانسجامها فإننا نعرف أنه هو خالق جميع الكائنات وربها وإلهها. وندرك عنايته المذهلة وسيادته على الكل. وهكذا نفس الحال بالنسبة لألوهية الابن، فإن ما سبق ذكره من أقوال يكفي كشاهد على ألوهيته. فيكون من نافلة القول أو بالأحرى من الجنون أن يشك أحد، ويسأل بطريقة هرطوقية: كيف يمكن أن يكون الابن أزلًا؟ أو كيف يمكن أن يكون من جوهر الآب وليس جزءً منه؟ لأن ما ينتج من شيء يعتبر جزء منه، وما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملًا².

33. هذه هي أفكار الهرطقة الشريفة ومغالطاتهم. وبالرغم من أننا سبق أن توصلنا إلى دحض ما في تعاليمهم من هراء، فإن المعنى الدقيق للآيات والأمثلة التي وضعها الكتاب هي نفسها تدحض مجمل عقيدتهم النكراء. لأننا نرى أن الكلمة موجود دائمًا، ووجوده هو من الآب ومن

¹ حكمة 13: 5

² ولهذا يُقال إن جوهر الله مثلث الأقانيم هو جوهر بسيط غير مركب لأن التركيب هو بداية التقسيم وأقانيم الثالوث هي أقانيم كاملة لأن ما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملًا.

جوهره وليس عنده سابق ولاحق. ونرى أيضًا أن الإشعاع هو من الشمس وهو خاص بها، وأن جوهرها لا يتجزأ ولا ينتقص، بل هو كامل. والإشعاع بالغ حد التمام والكمال بغير أن ينتقص جوهر النور، بل أنه مولود حقيقي منه. وبالمثل نرى أن الابن ليس من خارج الآب، بل هو مولود منه وأن الآب يبقى كاملاً و"رسم جوهره"¹، كائن دائماً ومحتفظاً بمماثلة الآب ومطابقة صورته حتى أن من يراه يرى فيه الجواهر الذى هو رسم له. ومن فاعلية الرسم ندرك ألوهية الجواهر الحقيقية. لأن هذا هو ما علّم به المخلص نفسه عندما قال: "الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال التى أعملها"²، و"أنا والآب واحد"³، و"أنا فى الآب والآب فىّ"⁴.

لذلك فلندع الهرطقة المحاربة للمسيح تحاول أولاً أن تفصل بين مكونات الأمثلة الموجودة فى المخلوقات، وتقول إن الشمس كانت يوماً بدون إشعاع، أو أن هذا الإشعاع ليس من ذات جوهر النور، أو أنه من ذاته ولكنه . بمنطق التجزئة . يعتبر جزءاً من النور. ودع الهرطقة أيضًا تفصل الكلمة وتقول إنه غريب عن العقل، أو أنه كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً، أو أنه ليس من جوهره الذاتى، أو أنه جزء من العقل قابل للتجزئة. أما بالنسبة إلى "الرسم" و"النور" و"القوة" فدع الهرطقة هكذا تفصلها كما فعلت بالنسبة للكلمة و"الإشعاع" وعندئذ

¹ أى من الابن انظر عب1: 3.

² يو 14: 10، 12.

³ يو 10: 30.

⁴ يو 14: 10.

فلتخيل بخصوصها كما تشاء. فإن كان مثل هذا التهور مستحيلاً عليهم فكيف لا يكون من الجنون المطبق أن يقحموا أنفسهم عبثاً فيما هو أسمى من الأشياء المخلوقة وأعلى من طبيعتها، وهم بذلك يحاولون المستحيل؟

34. لأنه إن كانت الأشياء المخلوقة والجسدية لها مواليد دون أن تكون أجزاء من الجواهر التي ولدت منها دون أن تتغير طبيعتها ولا تنتقص من جواهر والديها، فكيف لا يكونون قد أصيبوا بالجنون وهم يتصورون وجود التجزئة والتغيير في إله حقيقى غير جسدى ناسبين الإنقسام إلى إله غير منحول وغير متغير لكي يبلبلوا مسامع البسطاء ويضلّوهم عن الحق؟

لأن من ذا الذى يسمع كلمة ابن ولا يتبادر إلى ذهنه أنه من ذات جوهر الآب؟ ومن . عندما سمع أثناء تعلمه أصول الإيمان فى المرحلة الأولى أن الله له ابن وأنه قد صنع كل الأشياء بواسطة كلمته الذاتى . لم يدرك هذا الأمر بنفس الطريقة التى نفهم بها نحن الآن. ومن . عند ظهور هرطقة الأريوسيين الشائنة . لم يندهش حالما سمع ذلك الكلام الذى يقولونه، حيث إنهم يرددون كلاماً مخالفاً للحق وينفثون تعاليمًا مغايرة لتلك التعاليم التى سبق بذرها منذ البداية؟ لأن ما بُدِر منذ البداية فى كل نفس هو أن الله له ابن وهو الكلمة، والحكمة، والقوة، وهو صورته وبهاؤه، وتبعاً لهذا فهو كائن دائماً، وأنه هو من الآب وأنه المماثل، وأنه له أزلية الولادة من الجوهر، ولا توجد هنا أية فكرة عن

كونه مخلوقاً أو مصنوعاً. ولكن "الإنسان العدو بينما الناس نيام"¹، زرع زوان تقول إن الابن "مخلوق"، وأنه "كان هناك وقت لم يكن فيه موجوداً"، وأنه "كيف يمكن أن يكون؟". وعندئذ انتشرت هرطقة أعداء المسيح الأثيمة حالاً كالزوان وهي خالية من كل فكر قويم، وصاروا يطوفون مثل لصوص ويتجاسرون ويقولوا: "كيف يمكن أن يكون الابن كائنا مع الأب على الدوام؟" لأن الناس يصبحون أبناء من الناس بعد مضي فترة من الزمن، وإذ يبلغ الأب ثلاثين عاماً يبدأ الابن عندئذ ميلاده. وعلى العموم كل ابن إنسان لم يكن له وجود قبل أن يولد. ومرة يهيمسون: "كيف يمكن أن يكون الابن كلمة، أو أن يكون الكلمة صورة الله؟ لأن كلمة الناس تتكون من مقاطع وتدل فقط على مشيئة المتكلم، ثم تتوقف وتتلاشى في الحال؟".

35. إن أولئك إذن . كما لو كانوا قد نسوا البراهين التي سبق أن قيلت ضدهم . يورطون أنفسهم أيضاً في أمور الكفر وعدم الإيمان شاغلين عقولهم بمثل هذه الأفكار . ولكن كلمة الحق تدحضهم هكذا: إن كانوا يجادلون بخصوص إنسان ما، فدعهم يفكرون بطريقة بشرية بخصوص كلمة هذا الإنسان وبخصوص ابنه. أما إذا كانوا يفكرون بخصوص الله خالق البشر فدعهم لا يتفكرون بعد في هذا الأمر بطريقة بشرية، بل بطبيعة أخرى أعلى من طبيعة البشر. لأنه مثلما يكون الذي يلد، هكذا يكون بالضرورة المولود منه أيضاً. ومثلما يكون "أب الكلمة" هكذا يكون أيضاً كلمته. وعلى هذا فيما أن الإنسان يولد في وقت ما. وحيث إن

¹ مت 13: 25

الإنسان قد وُجد من العدم، لذلك فإن كلمته تتوقف ولا تبقى. أما الله فهو ليس كالإنسان لأن هذا ما قاله الكتاب¹. لكنه "هو كائن"². وهو الموجود دائماً، ولهذا فإن كلمته أيضاً كائن وأزلى مع الأب مثل إشعاع النور.

وكلمة البشر تتكون من مقاطع وهي لا تحيا ولا تعمل شيئاً، بل تعبر فقط عن قصد المتكلم. وبمجرد أن تخرج من الفم تضيع ولا تظهر بعد حيث إنها لم تكن موجودة إطلاقاً قبل أن ينطق بها، ولذلك فهي لا تحيا ولا تعمل شيئاً. وهي ليست انساناً إطلاقاً. بل يحدث لها هذا. كما سبق أن قلت. لأن الانسان الذى ولدها طبيعته نفسها من العدم. أما كلمة الله فهو ليس مجرد كلمة منطوقة مثلما قد يقول أحد، ولا هو همس كلمات. وليس "الابن" هو أمر صادر من الله، بل هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل. ولهذا فهو الله كما أنه صورة الله. لأنه مكتوب "وكان الكلمة الله"³. فى حين أن كلام البشر لا يستطيع أن يعمل شيئاً، ولهذا فإن الانسان لا يعمل بواسطة الكلمات، بل بيديه. لأن يديه لهما وجود أما كلمته ليس لها وجود فعّال. لكن كلمة الله يقول الرسول: "كلمة الله حىّ وفعّال وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارق إلى مفترق الروح والنفس والمفاصل والمخاخ ومميّز لأفكار القلب ونياته. ولا توجد خليفة غير ظاهرة أمامه، بل كل شىء مكشوف وعريان لعينى

¹ انظر يهوديت 8: 16

² انظر خر 3: 14

³ يو 1: 1

ذاك الذى تقدم له الحساب"¹. فهو إذن خالق " وبغيره لم يكن شيء واحد"²، ولا يمكن أن شيء يكون بدونه.

36. فلا ينبغي إذن أن يتساءل أحد: لماذا لا يكون كلمة الله مثل كلمتنا نحن؟... لأن الله ليس مثلنا كما سبق القول. بل لا يجب التساؤل: كيف يكون الكلمة من الله؟ أو كيف يكون هو إشعاع الله؟، أو كيف يلد الله؟، وما هي طريقة ولادته؟ فإن من يجرؤ على مثل هذه الأقوال يكون مجنوناً. لأن هذا أمر لا يُنطق به، وهو خاص بطبيعة الله، ومعروف له ولاينه فقط لأن من يسأل هكذا يطلب تفسيراً بالكلام. لأنه يشبه من يسأل " أين الله؟" وكيف يكون الله؟، وما هو نوع طبيعة الآب؟ وكما أن مثل هذه الأسئلة تدل على عدم تقوى، وعلى جهل بالله، هكذا فإنه ليس من اللائق التجاسر بمثل هذه الأقوال عن ميلاد ابن الله، ولا أن يُقاس الله ورحمته بطبيعتنا وعجزنا.

ولا يحق لأحد أن ينحرف بفكرة بعيداً عن الحق. وإن كان أحد يرتبك وهو يفتش ويبحث فى هذه الأمور، فلا يجب أن ينكر المكتوب. لأنه من الأفضل فى حالة الارتباك أن نصمت ونؤمن، بدلاً من ألا نؤمن بسبب هذه الحيرة. ذلك لأن الذى يتحير يستطيع بطريقة ما أن يجد غفراناً طالما أنه قد هدأ كلياً بعد أن تساءل. أما ذلك الذى . بسبب حيرته . يفكر فى نفسه تلك الأفكار غير الملائمة، ويتكلم عن الله بأمور لا تليق به، فإن إدانته تكون بغير مغفرة بسبب تطاوله.

¹ عب 1: 12، 13

² يو 1: 3

لأنه في مثل هذه الارتباكات يمكن للشخص أن يجد بعض الراحة بواسطة الكتب الإلهية حتى أنه من ناحية يمكنه أن يستوعب تلك الأقوال المكتوبة استيعابًا صحيحًا، ومن ناحية أخرى يمكنه أن يتخذ من طريقة الكلام مثالاً له لأنه كما أن ما نقوله هو قولنا ونابع منا وليس عملاً ناتجاً من خارجنا. هكذا بالمثل أيضاً كلمة الله هو من ذات الله ونابع منه، وليس مصنوعاً، ومع ذلك فهو ليس مثل كلمة البشر، حيث إنه في مثل هذه الحالة سنضطر أن نفهم الله كإنسان.

لاحظ إذن أن كلام الناس كثير ومختلف ويزول كل يوم بسبب أن الكلام السابق لغيره لا يبقى بل يتلاشى. وهذا يحدث لأن الناطقين بهذا الكلام وأعمالهم زائلة، وأفكارهم تتلاحق وتتابع، وهم ينطقون الكلام وفقاً للأفكار التي يتفكرون بها ويتدارسونها أولاً بأول إلى أن يكون لديهم كلمات كثيرة، ولكن بعد هذه الكلمات الكثيرة لا يتبقى منها شيء إطلاقاً، لأنه بمجرد أن يكف المتكلم عن الكلام فسرعان ما يتلاشى. أما كلمة الله فهو واحد، وهو هو نفسه، كما هو مكتوب "كلمة الله تثبت إلى الأبد"¹. دون أن يتغير، وليس هو سابقاً أو لاحقاً لغيره، بل يبقى كما هو على الدوام. لأنه من المناسب، بما أن الله واحد فصورته أيضاً تكون واحدة، وكلمته أيضاً واحد، وكذلك أيضاً حكمته واحدة.

37. ولهذا اتعجب أنه طالما أن الله واحد، فكيف يُدخل هؤلاء صوراً، وحكمات، وكلمات متعددة بحسب بدعهم واختراعاتهم، ويصرون على

¹ مز 199: 89

أن كلمة الآب الذاتى بالطبيعة هو غير الابن، وأنه بالكلمة قد صنع الابن أيضًا. أما من هو ابن بالحقيقة فيقولون عنه أنه كلمة بالاسم فقط، مثلما قيل لأنه كرمة، وطريق، وباب، وشجرة حياة. ويتشددون أيضًا أنه يلقب بالحكمة بالاسم فقط، وأن حكمة الآب هو حقيقة ذاتية أخرى مصاحبة له فى الوجود بغير ولادة. والذى عن طريقه صنع الابن ودعا حكمة أيضًا بحسب مشاركته فى الحكمة. وهم لا يقتصرون فى هذا على كلمات فقط، بل نجد أن أريوس صنف شعرًا فى كتابه " ثاليا"، واستريوس السفسطائى¹ كتب ما سبق أن قلناه هكذا: [لم يقل بولس المبارك أنه كرز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، بل " قوة الله وحكمة الله"، بدون أداة تعريف، وكرز أن قوة الله الذاتية شىء آخر، وهى قوة الطبيعة الموجودة معه بغير ولادة، وأنها هى التى وُلدت المسيح وخلقت العالم كله. وبخصوصها يعلم فى رسالته إلى أهل رومية ويقول: " لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته "... وكما أنه لا يستطيع أحد أن يقول أن الألوهية المشار إليها هنا هى المسيح، بل هى ذات الآب، كذلك أظن أن قوته السرمدية وألوهيته ليست هى الابن الوحيد الجنس، بل الآب الذى ولده]. ويعلم أنه توجد قوة أخرى وحكمة أخرى لله، وأنها هى التى تتضح من خلال المسيح. وبعد قليل يعلم استريوس نفسه: [إن قوته السرمدية وحكمته التى تعبر عنها التأملات الحقيقية أنها بلا بداية، وانها غير مولودة هى حتمًا واحدة بذاتها. لأنه توجد قوات كثيرة قد

¹ استريوس: ويسمى أيضًا استريوس الكبادوكى (ق43م) كان الهرطوقى تلميذًا مثل أريوس للوكيانوس مؤسس مدرسة إنطاكية ومن أوائل من كتب ضد تعاليم القدّيس أناسيوس ودفاعه عن ألوهية الابن.

خُلِقَتْ واحدة فواحدة بواسطة الله، والتي من بينها المسيح هو البكر والوحيد الجنس، وجميعها . بطريقة مماثلة . تعتمد على من يمتلكها . فجميعها تدعى بحق قواته المخلوقة التي يستخدمها، كما يقول النبي أن الجراد الذي أُرسِل من الله بسبب الخطايا البشرية قد سماه الله ليس قوة، بل " قوة عظيمة"¹ . والمطوّب داود فى كثير من مزاميره يحث ليس الملائكة فقط، بل القوات لتسبح الله [²].

38. والآن ألا يكونون مستحقين لكل مقت لمجرد قولهم هذا؟ لأنه إن كان هو . بحسب ما يعتقدون . ليس ابناً بسبب ولادته من الأب ومن ذات جوهره، بل يسمى كلمة بسبب الأشياء المدركة، ويسمى حكمة بسبب الأشياء التى نالت حكمة، ويسمى قوة بسبب الأشياء التى اكتسبت قوة، فإنه بالتالى ينبغى أن يسمى ابناً بسبب أولئك الذين نالوا البنوة. وربما حتى وجوده يكون بسبب الأشياء التى لها وجود، وذلك بحسب بدعتهم.

إذن، فمن يكون هو هذا؟ لأنه لن يكون هو واحداً من هذه الأشياء، حتى لو كانت هذه الأشياء هى أسماء له فقط، وكان له وجود خيالى فحسب، وكانت هذه الاسماء قد أُضيفت عليه بواسطةنا. بل بالحرى فإن هذا يعتبر حماقة شيطانية قصوى، وربما أكثر من ذلك، لأنه يريدون أن يكونوا هم أنفسهم موجودين حتماً بينما يظنون أن كلمة الله هو موجود بالاسم فقط. فكيف لا تكون أقوالهم هذه عبارات متناقضة إذ يقولون إن

¹ انظر يوثيل 2: 25

² انظر مز 103: 21

الحكمة موجودة مع الآب، ولكنهم يرفضون أن يكون هذه الحكمة هي المسيح؟ ويقولون إنه توجد قوات خالقة وحكمات كثيرة، وأن الرب هو واحد من بين هذه، وهم يقارنونه " بالدودة"، و"الجرادة"¹؟ وأيضاً أليسوا خبثاء إذ أنهم حينما يسمعون منا أن **الكلمة** موجود مع الآب، فإنهم يتذمرون محتجين ويقولون " أستم بذلك تتحدثون عن اثنين غير مخلوقين؟ " وهم أنفسهم عندما يتحدثون عن "حكمته غير المخلوقة " لا يرون أن الاتهام الباطل الذي يوجهونه ضدنا إنما يتجه ضدهم؟.

فكيف إذن، لا تكون بدعتهم هذه حماقة بالغة أيضاً، وهي التي بمقتضاها يقولون أن " الحكمة غير المخلوقة " الموجودة مع الله هي الله نفسه؟ فإن الذي يشترك في الوجود، لا يشترك في الوجود مع نفسه، بل مع شخص ما، مثلما يقول البشيريون عن الرب أنه كان موجوداً مع التلاميذ، بمعنى أنه لم يكن موجوداً مع نفسه، بل مع التلاميذ، إلا إذا كانوا يقولون أن الله مركب، أى لديه حكمة مختلطة، أو متممة لجوهره، وهي أيضاً غير مخلوقة مثله وهؤلاء الهراطقة يقدمونها على أنها بديل لخالق الكون، وذلك لكي "يسقطوا عن الابن خاصية الخلق. لأنهم يتلاعبون بكل الأمور لكي لا يفكروا عن الرب باستقامة.

39 . فأين وجدوا في الكتاب الإلهي إطلاقاً، أو ممن سمعوا أنه يوجد كلمة آخر غير الابن نفسه، لكي يشكّلوا مثل هذه الأقوال في مخيلتهم؟ لأنه مكتوب " أليس كلمتي كنار، وكمطرقة تحطم الصخر"². وجاء في

¹ راجع فصل 37.

² أر 23: 29

سفر الأمثال " سأَعَلِّمكم كلماتي"¹. فإن هذه وصايا وأوامر قد تكلم بها الله للقديسين عن طريق كلمته الذاتى، الوحيد، الحق، والتي بخصوصها يقول المرنم " منعت قدمي عن كل طريق شر لكي أحفظ كلامك"². وقد أوضح المخلص أن هذه "الكلمات" هي شيء آخر غيره هو ذاته، وذلك حينما يقول بنفسه " الكلام الذى أنا كلمتكم به"³. فليسست إذن مثل هذه "الكلمات" مواليد أو أبناء، ولا توجد كلمات خالقة بمثل هذا العدد، ولا صور للإله الواحد بمثل هذا العدد. وليس كثيرون صاروا بشرًا من أجلنا، وليس من بين العدد الكثير واحد صار جسدًا بحسب يوحنا، بل إن يوحنا بشر به **كلمة** الله الوحيد قائلاً: " **الكلمة صار جسدًا**" و"كل شيء به كان"⁴.

لهذا فإن شهادة الآب التى تؤكد أن الابن الوحيد، وشهادة القديسين الذين فهموا هذا ويقولون أن **الكلمة** واحد ووحيد الجنس، هذه الكلمات تشير إلى ربنا يسوع المسيح بمفرده وإلى وحدته مع الآب، وأن الأعمال التى قد صارت به إنما تشهد بنفس الأمور لأن " كل الأشياء " المنظورة وغير المنظورة " به كانت وبغيره لم يكن شيء مما كان"⁵.

إنهم لا يفكرون عن أى شخص أياً كان، بل هم يصورون لأنفسهم كلمات وحكمات لم يشر الكتاب لا إلى اسمها ولا إلى عملها، بل هم

¹ أم 1: 23

² مز 119: 101

³ يو 6: 63

⁴ يو 1: 4، يو 1: 3

⁵ يو 1: 3

وحدهم الذين يطلقون عليها هذه الاسماء. ويخترعون أفكارًا ووطنًا معادية للمسيح ويسئئون استخدام اسم " الكلمة " و " الحكمة". وإذ يصورون لأنفسهم أفكارًا أخرى ينكرون كلمة الله الحقيقي وحكمة الآب الحقيقية الفريدة. وهكذا فإن هؤلاء التعساء يسببون في إثر خطوات المانويين¹، ذلك لأنهم وإن كانوا يرون أعمال الله فإنهم ينكرون الإله الكائن الوحيد والحقيقي، ويصوّرون لأنفسهم إلهًا آخر لا يستطيعون إثباته بأى عمل ولا بأية شهادة من الأقوال الإلهية.

– ▶. فإن لم يكن هناك من الأقوال الإلهية حكمة أخرى غير هذا الابن، وإن كنا لم نسمع من الآباء شيئًا مثل هذا، بل هم قد اعترفوا وكتبوا أن الحكمة موجودة أزليًا مع الآب حيث إنها هي وجوده الذاتي وخالقة العالم هذه . حسبما يقول الآباء . يلزم أن تكون هي الابن نفسه، وهو الموجود مع الآب أزليًا. فهي أيضًا خالقة كما هو مكتوب " صنعت كل الأشياء بالحكمة"². ولأن استيريوس نفسه . كما لو كان قد نسى ما سبق أن كتبه . فإنه فيما بعد . ودون أن يقصد مثلما فعل قيافا أيضًا . وقف ضد اليونانيين، لم يتكلم عن حكمت كثيرة ولم يسمها جرادة³، ولكنه أعترف بحكمة واحدة فقط عندما كتب ما يلي: [واحد هو الكلمة الإلهي، أما الكائنات العاقلة فهي كثيرة. وواحد هو جوهر الحكمة وطبيعتها، أما الأشياء الحكيمة والحسنة فهي كثيرة] وبعد قليل

¹ المانويين: هم أتباع بدعة "مانى" الذى كان فيلسوفًا ورسامًا مجوسيًا وقيل أنه أصبح مسيحيًا وعاش وعلم في القرن الثالث (277-215م)، وتعليمهم هي خليط من المسيحية الوثنية.

² مز 104: 24

³ عن هذه التسمية انظر فقرة 37، راجع أيضًا فقرة 38.

يقول أيضًا [من هم أولئك الذين يستحقون أن يلقبهم هؤلاء بلقب أبناء الله فهم طبعًا لا يقولون عنهم أنهم كلمات لا أنه توجد حكومات أكثر، فإن هذا غير ممكن إذ أن الكلمة واحد. وقد ثبت أن الحكمة واحدة، ولا يمكن أن يوزع "جوهر الكلمة" على عدد كثير من الابناء ولا أن يعطى لهم لقب الحكمة].

إذن فليس من المستغرب أبدًا أنه عندما يحارب الأريوسيون ضد الحق فإنهم يصطدمون ببعضهم بعضًا، إذ تتعارض أفكارهم فيما بينها. فأحيانًا يقولون أن الحكومات كثيرة، وأحيانًا أخرى يقولون أن الحكمة واحدة وأحيانًا يوحدون بين الحكمة والجرادة، وأحيانًا أخرى أنها غير موجودة مع الآب وأنها من ذاته. وأحيانًا أخرى أن الآب واحد غير مخلوق. ومرة أخرى يقولون إن حكمته وقوته غير مخلوقتين، وهم يحاربوننا لأننا نقول إن كلمة الله كائن دائمًا، بينما هم أنفسهم يقولون إن الحكمة كائنة مع الله أزليًا، ويتناسون أقوالهم نفسها. وهكذا يعانون من الدوار في الأمور ذلك لأنهم اخترعوا ما لا وجود له وأنكروا الحكمة الحقيقية، مثلما فعل المانويون الذين ابتدعوا لأنفسهم إلهًا آخر وأنكروا الله الكائن حقيقة.

□ ▶ لكن فلنسمع الهرطقات الأخرى ولنسمع المانويون¹ أن أب المسيح هو واحد، وهو رب الخليفة وصانعها بكلمته الذاتى. وعلى وجه الخصوص فليسمع أصحاب الجنون الأريوسى أن كلمة الله هو واحد، وهو الابن الوحيد والذاتى الحقيقى الذى هو من جوهره، وله وحدة

¹ انظر الشاهد رقم 51 فى هذا الفصل.

الألوهية مع أبيه بلا انفصال كما قلنا مرارًا وتكرارًا. لأننا تعلّمنا هذا من المخلّص نفسه. ولو لم يكن الأمر كذلك فلماذا يخلق الآب بواسطته ويعلم نفسه بواسطته للذين يريدونهم والذين ينيرون عليهم؟ أو لماذا يسمّى باسم الابن مع الآب عند إتمام المعمودية؟¹ فإن قالوا أن الآب غير كافٍ بذاته فيكون هذا التعبير كفرًا، أما إن كان كافياً بذاته (لأنه من الصواب قول هذا) فما هو الاحتياج للابن لخلق العالم أو لإتمام المعمودية المقدسة؟ لأنه أية مشاركة هناك بين المخلوق والخالق؟ ولماذا يحسب المخلوق مع الخالق عند إنجاز كل الأشياء؟ أو لماذا تقولون أن الإيمان بخالق واحد وبمخلوق واحد هو إيمان مسلّم لنا؟ لأنه إن كان الأمر هكذا لكي نتحد نحن بالألوهية فما الحاجة إلى المخلوق؟ أما إن كان هذا بغرض أن نتحد مع الابن . وهو مخلوق حسب قولكم، يكون من غير اللازم . وفقًا لمعتقداتكم . ذكر اسم الابن عند إتمام المعمودية، لأن الله الذي تبناه وجعله ابنًا قادرًا أن يتبنانا ويجعلنا أبناء. ومن جهة أخرى فإن كان الابن مخلوقًا . ولأن طبيعة المخلوقات العاقلة هي واحدة . فليس باستطاعة مخلوق أن يقدم معونة لمخلوق آخر، حيث إن الجميع محتاجون لنعمة الله.

لقد تكلمنا فيما سبق عن الآية: " كل شيء به كان ". وحيث إن سياق الحديث قد جعلنا نتحدث عن المعمودية المقدسة، فمن الضروري أن نقول . كما اعتقد وأؤمن . إن اسم الابن يسمّى مع الآب ليس ببساطة ولا مصادفة. وذلك ليس لأن الآب غير كافٍ بذاته، بل حيث إن الابن هو كلمة الآب وحكمته فإنه موجود دائمًا مع الآب، لأنه هو

¹ انظر مت 19:28.

بهاؤه. لهذا فمن المستحيل عندما يعطى الآب نعمة ألا يعطيها بالابن، لأن الابن موجود فى الآب مثلما يوجد الشعاع فى الضوء. وذلك ليس لأن الله معوذ أو ضعيف، بل كأب " قد أسس الأرض بحكمته"¹، وصنع كل الأشياء بالكلمة المولود منه، ويختم على المعمودية المقدسة بالابن. وحيث يكون الآب هناك يكون الابن أيضاً، كما أنه حيث يكون النور هناك أيضاً يكون الشعاع. وأى عمل يعمله الآب فإنه يعمله بالابن، ويقول الرب نفسه " ما أرى الآب يصنعه أصنعه أنا أيضاً"². وهكذا أيضاً عندما تُعطى المعمودية فإن من يعمده الآب يعمده الابن أيضاً، ومن يعمده الابن فهذا يتم بالروح القدس.

وأيضاً عندما تتير الشمس قد يقول شخص أن الشعاع ينير، وذلك لأن النور واحد ولا يمكن أن يتجزأ ولا أن ينفصل الشعاع عنه. وهكذا أيضاً حيث يكون الآب أو يُسمّى، وحيث إن الآب يسمّى فى المعمودية، فبالضرورة أن يسمّى الابن أيضاً معه.

✠ . ولذلك أيضاً عندما وعد القديسين تكلم هكذا: " إليه نأتى . أنا والآب . وعنده نضع منزلاً"³. وأيضاً " ولكى يكونوا هم أيضاً واحد فينا.. كما أننى أنا وأنت واحد"⁴. والنعمة المعطاه هى واحدة، وهى معطاه من الآب بالابن كما يكتب بولس فى كل رسالة " نعمة لكم

¹ أم: 3: 19

² انظر يو: 5: 19

³ انظر يو: 14: 23

⁴ انظر يو: 17: 21 و 22

وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح"¹. لأنه يلزم أن يكون النور مع الفجر وأن يُشاهد الشعاع في نفس الوقت مع نوره الخاص به. واليهود كذلك إذ أنكروا الابن فليس لهم الأب أيضًا، لأنهم تركوا " ينبوع الحكمة" كما قال باروخ² موبخًا إياهم، وأبعدوا عن أنفسهم الحكمة النابعة من هذا الينبوع أي ربنا يسوع المسيح. لأن الرسول يقول: " المسيح قوة الله وحكمة الله"³. أما هم فكانوا يقولون " ليس لنا إلا قيصر"⁴. وقد لقي اليهود ما يستحقونه من عقاب بسبب إنكارهم، فقد تلاشت مدينتهم وأفكارهم معها. أما هؤلاء الآريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السر وأعنى به المعمودية. لأنه إن كان إتمام السر يُعطى باسم الأب والابن وهم لا يقرون بأب حقيقي بسبب إنكارهم للابن الذي هو منه، الذي هو مثله في الجوهر، منكرين الابن الحقيقي ويسمون لأنفسهم ابناً آخر، إذ أنهم يصيغونه في مخيلتهم على أنه مخلوق من العدم، ألا يكون طقس المعمودية الذي يتمونه فارغًا تمامًا وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجي، أما في الحقيقة فإنه ليس له شيء يعين على التقوى؟ لأن الآريوسيين لا يعمدون باسم الأب والابن، بل باسم خالق ومخلوق، وباسم صانع ومصنوع. ومثلما يختلف المخلوق عن الابن، هكذا فإن تلك المعمودية التي يظنون أنهم تختلف عن الحقيقة رغم أنهم يتظاهرون بأنهم يسمون اسم الأب والابن بسبب

¹ رو: 1، 7، 1كو: 3، أف: 2

² انظر باروخ 3: 12

³ 1كو: 1: 24

⁴ يو: 19: 15

كلمات الكتاب. فليس من يقول ببساطة "يارب" هو الذى يُعطى المعمودية، بل هو ذلك الذى مع الاسم الذى يدعوه، عنده أيضاً إيمان مستقيم. لهذا السبب فإن المخلص لم يأمر فقط بالعماد، بل قال أولاً " تلمنوا" ثم بعد ذلك قال " عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس"¹، لكى يأتى الإيمان المستقيم من التعليم ومع الإيمان يأتى إتمام المعمودية.

◀ ▶ . وهناك هرطقات أخرى كثيرة² تذكر الأسماء فقط، ولكن بدون اعتقاد مستقيم . كما سبق أن قيل . وبدون إيمان سليم. ولذلك فالمعمودية التى يعطونها عديمة الجدوى وتعوزها التقوى، حتى أن من يعمدونه يثوث بالحادهم بدلاً من أن يُفتدى. وهكذا الوثنيون أيضاً فرغم أنهم ينطقون باسم الله بشفاهم، إلا أنهم يزرعون تحت وذر الإلحاد لأنهم لا يعرفون الكائن بالفعل الله الحق أبا ربنا يسوع المسيح. والمانويون أيضاً والفريجيون واتباع الساموساطى، رغم أنهم يستخدمون الأسماء فهم ليسوا أقل هرطقة. وهكذا أيضاً كل الذين يعتقدون بتعاليم أريوس بدورهم فإنهم وإن قرأوا الكتب، أو ذكروا الأسماء إلا أنهم هم أنفسهم يسخرون من الذين ينالون المعمودية بواسطتهم. وهم أكثر كفرة وإلحاداً من الهرطقات الأخرى ويفوقونها قليلاً قليلاً، ويعطونها تبريراً بهذرهم وثرثرتهم. لأن هذه الهرطقات تكذب على الحق، وذلك إما أنها تخطئ بخصوص جسد الرب زاعمة أن الرب لم يتخذ جسده من مريم، أو أنه لم يحدث له موت

¹ مت 28: 19

² يشير القديس أثناسيوس في موضع آخر من كتاباته إلى هذه الهرطقات ويدعوها أساطيرا، وذلك في مقابل التعليم الإلهي المستقيم. انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 1/3.

إطلاقًا، ولم يصر انسانًا قط، بل أنه ظهر فقط كإنسان ولكنه لم يكن انسانًا حقيقيًا، وظهر وكأن له جسدًا دون أن يكون له جسد. وأنه ظهر كإنسان كما يبدو في حلم¹. أما الأريوسيون فهم يكفرون بالآب ذاته لأنهم يجدفون على ألوهيته، رغم أنهم يسمعون الكتب تشهد لألوهية الآب في الابن كصورة له، ويقولون إن هذه الألوهية مخلوقة. وهذا القول "إنه لم يكن كائنًا"، ينقلونه معهم في كل مكان مثل وحل في حقيبة، وينفتون هذا القول مثلما تنفت الحية سمها. ومن ثم إذن بما أن التعليم النابع منهم يثير الأشمئزاز والمقت، فإنهم في الحال يصنعون حماية بشرية كدعامة لجيفة هرطقتهم، حتى أن الساذج عندما يراها أو يقبلها وهو خائف مرتعد فإنه لا يدرك الهلاك المميت لأقوالهم الفاحشة وضلالهم. فكيف لا يكون الذين ضلوا بواسطتهم مستحقين للشفقة والرتاء؟ وكيف لا يكون من الصواب نرف الدمع السخين على هؤلاء؟، لأنهم يخونون منفعتهم الذاتية في سبيل خيال سريع للاستمتاع بملذات يفقدون بها رجاءهم الآتي؟ لأنهم لن يحصلوا على شيء مادام إيمانهم عند معموديتهم كان باسم غير الكائن². وإذا يربطون أنفسهم بالمخلوق فلن ينالوا من المخلوق أية معونة. وإذا يؤمنون بمن هو مختلف عن الآب وغريب عن جوهره، فإنهم لن يتحدوا مع الآب طالما ليس لهم الابن الذاتى النابع منه بالطبيعة، الذى هو فى الآب، والآب فيه كما

¹ هذه هي تعاليم بدعة الخياليين: التي ظهرت في القرن الأول الميلاد وانتشرت في القرن الثاني الميلادى، والخياليون هم أول من علم تعاليم منحرفة ضد السيد المسيح، قائلين بأن جسده ليس جسدًا حقيقيًا من دم ولحم بل مجرد خيال. وقد كتب ضدهم القدّيس يوحنا رسائله (انظر 1يو4:2، 2يو7).

² أى الذى ليس هو كائنًا أزليًا مع الآب.

قال هو نفسه¹. ولكن حيث إن التعساء خُدعوا من هؤلاء فقد ظلوا هكذا مقفرين وعراة من اللاهوت. لأن الأمور الأرضية الوهمية لن تتبعهم عندما يموتون. لأنهم عندما يرون الرب الذي أنكروه، وهو جالس على عرش أبيه، ويدين الأحياء والأموات. فلن يتمكن أحد منهم أن يلتمس مساعدة أى واحد من أولئك الذي خدعهم. لأنهم سيبصرون هؤلاء أنفسهم أيضًا وهم يدانون، فيندمون على ما ارتكبه من إثم وتجديف!

¹ انظر يو 14: 10

الفصل التاسع عشر

شرح نصوص : سادسًا:
 ” الرب خلقنى (قنانى) أول طرقه لأجل
 أعماله ”

أمثال 8:22

44 . لقد سبق أن عالجت النص الذى جاء فى الأمثال داخضين خرافاتهم الملققة الخارجة من قلوبهم، لكى يعرفوا أنه من غير اللائق أن يقولوا إن ابن الله مخلوق، وأن يتعلموا أيضًا أن يقرأوا جيدًا النص الذى جاء فى سفر الأمثال والذى يحمل المعنى المستقيم. لأنه قد كُتب " الرب خلقنى (قنانى) أول طرقه لأجل أعماله"¹. وحيث إنها أمثال وكتبت على شكل مثل للتعبير، فليس من الواجب تفسير أية عبارة بطريقة ارتجالية أو ببساطة هكذا، بل يجب أن نتقصى أولاً عن الشخص ثم ننسب المعنى إليه بورع وتقوى. لأن كل ما يُقال بأمثال لا يُقال بطريقة واضحة، بل يُعلن بطريقة غامضة، مثلما علّم الرب نفسه فى الإنجيل بحسب يوحنا قائلًا: " قد كلمتكم بهذه الأشياء بأمثال، ولكن تأتي ساعة حين لا أكلمكم فيما بعد بأمثال... بل علانية"². ولذلك ينبغي كشف معنى القول والتقصى عنه لكونه خفيًا، وألاً يُفسر ببساطة كما لو كان قد قيل علانية، لكى لا نضل عن الحقيقة عندما

¹ أم 8: 22

² انظر يو 16: 25

نُسىء الفهم.

إذن، فإن كان المكتوب يشير إلى ملاك أو أى كائن آخر من المخلوقات، كما لو قيل عن أى واحد منا نحن المصنوعون. فإنه يمكن أن يُقال " *خُلِقنى (قناني)* "، ولكن إن كان الكلام عن حكمة الله الذى به قد خُلقت جميع المخلوقات، فما الذى يجب أن يفهمه الواحد منا سوى أنه عندما يُقال " *خَلَقَ* " فإنه لا يقصد شئ آخر مُضاد للفظ " *وَلَدَ* ". ولا يحسب الحكمة بين المخلوقات كأننا ننسى أنه هو الخالق والمصوّر أو ننكر الفرق بين الخالق والمخلوقات. ولكن الحكمة لها معنى آخر يبدو مخفياً فى الأمثال، وليس ظاهراً علانية، وهى التى أوحى إلى القديسين أن ينطقوا بالوحى الإلهى. بينما هى تُعطى فى الأمثال بعد قليل معنى موازياً لـ " *قنى* "، فنقول بألفاظ أخرى " *أن الحكمة بنت لنفسها بيتاً* " ¹. وواضح أن بيت الحكمة هو جسدنا الذى عندما اتخذ *الكلمة* صار إنساناً. وقال عنه يوحنا بحق " *الكلمة صار جسداً* " ². وبواسطة سليمان تقول الحكمة عن ذاتها بإدراك وتبصّر: ليس إننى أنا مخلوق، بل قالت: " *الرب قناني أول طريقه من أجل أعماله* " دون أن تقول: " إنه قناني لكى أوجد، وليس لأن لى بداية وميلاد كالمخلوق ".

45 . لأن *الكلمة* هنا لم يتحدث من خلال سليمان مشيراً إلى جوهر ألوهيته ولا إلى ميلاده الأزلى والحقيقى من الآب، ولكنه يشير إلى ناسوته وعمل تدبير خلاصنا. ولهذا . كما سبق أن قلت . فإنه لم يقل

¹ أم 9:1.

² يو 1:14.

إني "مخلوق" أو "صرت مخلوق"، بل قال فقط "قنى" أو "خلق"، بمعنى أن الأشياء الصائرة حيث إنها ذات جوهر مخلوق، فإنها تنتمي إلى المخلوقات، ويُقال عنها إنها تُخلق، وبديهي فإن المخلوق يُخلق، ولكن اللفظة المذكورة "خلق" في الآية السابقة لا تعنى الجوهر أو الولادة إطلاقاً. بل توضح أن شيئاً آخر قد طرأ على ذلك الذى يشير إليه، فليس كل ما يُقال عنه إنه يخلق يكون مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر. والكتاب الإلهي يعرّف هذا الفرق عندما يتحدث عن المخلوقات قائلاً: "امتألت الأرض بخليقتك"¹ و"الخليقة تثن وتتوجع معاً"². ويقول في الرؤيا "ومات ثلث الخلائق الحيّة التي في البحر التي لها نفوس"³. ويقول بولس أيضاً " كل خليقة الله جيدة، ولا يُرفض أى شئ عندما يُؤخذ مع الشكر"⁴، أما في سفر الحكمة فقد كُتب " بحمتك صوّرت الإنسان كي يسود على الخلائق التي تكونت بك"⁵. ولأن هذه خلائق فإنه يقول إنها تُخلق. وهكذا أيضاً يمكننا أن نسمع الرب وهو يقول: " منذ البدء صنعتهم نكراً وأنثى"⁶. أما موسى فقد كتب في أنشودته " فاسأل عن الأيام التي كانت قبلك من اليوم الذي خلّق الله فيه الإنسان على الأرض، ومن أقصاء السماء إلى أقصاها"⁷. ويقول بولس في

¹ مز 24:103 سبعينية.

² رو 8:13.

³ رؤ 8:9.

⁴ 1تيمو 4:4.

⁵ حكمة سليمان 9:2.

⁶ مز 10:6.

⁷ تث 4:32.

رسالته إلى أهل كولوسى: "الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خلقته، فإنه فيه خُلق الكلّ ما فى السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رئاسات أم سلاطين. كل الأشياء خُلقت به وله. الذى هو قبل جميع الأشياء"¹.

46 . إذن، فتلك الأشياء ذات الجوهر المخلوق بالطبيعة، تُسمى مخلوقات وتُخلق. وما ذكرناه من آيات الكتاب يكفى لإثبات ذلك. وقد قيلت هنا للتذكير والتنبيه. ولكن الكتاب مملوء بأمثالها. أما عندما يُقال اللفظ "خَلَقَ" فهو لا يُقال عن الجوهر إطلاقاً، ولا يعنى الولادة. فداود يترنم: "ليكتب هذا لجبل آخِر وشعب عندما يُخلق سيسبح الرب"² ويقول أيضاً: "قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله"³. ويقول بولس فى رسالته إلى أهل أفسس: "مُبتلاً ناموس الوصايا فى فرائض لكى يخلق الاثنى فى نفسه إنساناً واحداً جديداً"⁴. وأيضاً: "البسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق"⁵.

فإن داود لم يشر إلى أى شعب مخلوق بحسب الجوهر، ولا كان يتضرع لكى يحصل على قلب آخر غير القلب الذى كان له. بل كان يقصد التجديد ونوال الحياة بحسب الله. وبولس أيضاً لم يقصد شخصين مختلفين مخلوقين فى الرب بحسب الجوهر. ولا كان يوصينا بأن نلبس

¹ كو 1:17:15.

² مز 102:18.

³ مز 51:10.

⁴ أف 2:15.

⁵ أف 4:24.

إنسانًا آخر، لكنه دعا الحياة بحسب الفضيلة أنها "الإنسان بحسب الله"، أما الاثنان المخلوقان في المسيح فيقصد بهما شعبيين مُجدّدين به. وهذا مشابه لما يقوله إرميا: "خلق الله خلاصًا لأجل زرع جديد الذى به سيتجول الناس فى أمان"¹. وعندما قال هذا لم يقصد أى جوهر خاص بمخلوق، بل هو يتنبأ بالخلاص المتجدد بين البشر، ذلك الخلاص الذى صار بالمسيح لأجلنا. وحيث إن هناك فرقًا بين المخلوقات وبين القول المذكور "خَلَق"²، فإن وجدتم الرب يُدعى مخلوقًا فى أى موضع فى الكتاب فاظهروه لنا وحاربونا. أما إن لم يكن قد كُتب فى أى موضع أنه مخلوق سوى ما قاله عن ذاته فى الأمثال "الرب خَلَقنى" فاحجّلوا إذن من الفرق السابق ذكره.

ومن الآن فصاعدًا لا تستمعوا إلى لفظ "خَلَق" على أن معناه هو "مخلوق"، بل افهموا به الطبيعة البشرية الخاصة بالرب، لأن لهذه الطبيعة خاصية مميزة لها وهى أنها مخلوقة. وكيف لا تكونون ظالمين ما دمتم عندما تسمعون لفظ "خَلَق" من داود ومن بولس لا تفهون به الجوهر والكيان، بل التجديد بينما عندما تسمعون لفظ "خَلَق" من الرب فإنكم تحسبون جوهره فى عداد المخلوقات؟ وأيضًا عندما تسمعون القول: "الحكمة بنت لنفسها بيئًا وأقامت سبعة أعمدة"³ فإنكم تفهون بيئًا بمعنى مجازى. أما لفظ "خَلَق" فتقبلونه كما هو⁴، وتحولونه إلى

¹ إر 22:38 سبعينية.

² باليونانية (إكتيسى) ἔκτισεν.

³ أم 1:9.

⁴ أى حرفيًا وليس مجازيًا.

معنى "مخلوق" فكونه هو نفسه خالقاً ليس كافياً لإقناعكم، وكذلك لم تخشوا كونه هو وحده مولود من الآب الذاتى، بل تحاربون بغير اكتراث كما لو كنتم تسجلون هذه الألفاظ ضده، وتعتبرونه أنه أقل بكثير من البشر .

47 . لأن نفس العبارة توضح أيضاً أنه إختراع منكم أن تقولوا إن الرب مخلوق . لأن الرب حيث إنه يعرف جوهره وأنه هو الحكمة وحيد الجنس ومولود الآب وأنه مختلف عن الأشياء الصائرة والمخلوقة بالطبيعة، وأنه محب للبشر فهو يقول الآن: " الرب خلقنى أول طريقه " كما لو كان يقول " الآب هيا لى جسداً"¹ وخلقنى للبشر من أجل خلاص الناس . لأنه كما أننا عندما نسمع من يوحنا: " الكلمة صار جسداً " فإننا لا نفهم من ذلك أن الكلمة كله جسد، بل أنه لبس جسداً صائراً إنساناً . وعندما نسمع " صار المسيح لعنة لأجلنا"² . وأيضاً " جعل الذى لم يعرف خطيئة، خطيئة لأجلنا"³ . فأننا لا نفهم من كل هذا أنه هو نفسه قد صار لعنة وخطية، بل تحمل اللعنة الموجهة ضدنا كما قال الرسول: " افتدانا من اللعنة"⁴ . ومثلما قال إشعياء " حمل خطايانا"⁵، ومثلما كتب بطرس " حمل خطايانا فى جسده على الصليب"⁶ . لهذا فإذا سمعنا فى

¹ انظر عب 10:5.

² غلا3:13.

³ 2كو 5:21.

⁴ غلا3:13.

⁵ انظر إيش 4:53.

⁶ 1بط2:24.

الأمثال لفظ " خَلَقَ " فلا يجب أن نفهم أن الكلمة مخلوق بحسب الطبيعة، بل إنه ليس الجسد المخلوق. وأن الله خَلَقَهُ من أجلنا و " هبياً له جسداً مخلوقاً من أجلنا " كما هو مكتوب¹، لكي ما نستطيع أن نتجدد ونؤله.

أيها الأغبياء ما الذى خدعكم إذن لكي تقولوا أن الخالق مخلوق؟ أو من أين اشتريتم لأنفسكم هذا الاعتقاد الجديد الذى تتفاخرون به؟ فالأمثال تقول " خَلَقَ " ولكنها لا تقول إن " الابن مخلوق " بل "مولود" ووفقاً لما سبق أن اتضح من تمييز الأسفار المقدسة بين " خَلَقَ " و"مخلوق" فهى تعتبر أن الابن بطبيعته الذاتية هو الحكمة الوحيدة الخالصة وأنه خالق المخلوقات. وحينما تقول الأمثال " خَلَقَ " فهى لا تشير إلى جوهره، بل تؤكد أنه صار أول كل طريقه. وهكذا يكون لفظ " خَلَقَ " متعارضاً من لفظ "مولود"، وما تقوله عنه الأمثال إنه " أول طريقه " يتعارض مع كونه الكلمة الوحيد الجنس.

48 . لأنه لو كان مولوداً فكيف تسمونه مخلوقاً؟ لأنه لا أحد يقول إنه يلد ما يخلقه. ولا أحد يسمى المولود الذاتى مخلوقاً. ومرة أخرى فإن كان هو وحيد الجنس فكيف يصير هو نفسه " أول الطريق "؟ لأنه من الضرورى أنه إن كان هو نفسه قد خُلِقَ أول كل طريقه فهو لا يكون بعد موجوداً وحده، بل يكون معه أولئك الذين خُلِقوا بعده. فرأوبين الذى كان أول الأبناء لم يكن الوحيد، بل الأول زمنياً، ولكنه بحسب الطبيعة والقرباة كان واحداً بين أولئك الذين وُلدوا بعده. إذن فإن كان الكلمة هو

¹ عب 10:5.

" أول الطرق " فإنه سيكون مثلما تكون الطرق أيضًا، وتكون هذه الطرق مثلما يكون الكلمة أيضًا، حتى إن كان من جهة الزمن، يُخْلَق هو الأول بينها. ولأن بداية المدينة هي مثل أجزاء المدينة الأخرى، فإن الأجزاء نفسها تكون مرتبطة ببداية المدينة تمامًا، وتكون كلها مدينة واحدة مثل الأعضاء الكثيرة التي تكوّن جسدًا واحدًا. ولا يكون جزء من المدينة صانعًا وجزء آخر مصنوعًا . أى يكون خاضعًا للأول . بل كل المدينة تخضع لحكم ورعاية ذلك الذى قام بصنعها وصياغتها وتشكيلها أيضًا.

إذن فإن كان الرب أيضًا يُخْلَق هكذا أول جميع الأشياء، فمن الضرورى أن يكون هو مع كل الأشياء الأخرى خليفة واحدة. ولا يختلف عن الأشياء الأخرى حتى إن كان هو أول جميع الأشياء. ولا يكون هو رب أجزاء الخليفة الأخرى حتى إن كان هو أقدم منها زمنيًا. بل يكون قد خلقه مثل المخلوقات الأخرى كلمة خالق واحد ورب واحد. وعلى وجه العموم فإن كان هو مخلوقًا فكيف يمكن أن يُخْلَق هو وحده باعتباره الأول ليكون بداية الجميع؟ بينما يبدو مما سبق أنه لا يوجد بين المخلوقات ما له طبيعة راسخة وثابتة وله الأولوية فى الوجود. بل كل منها يأخذ وجوده مع بقية المخلوقات حتى لو اختلفت عن الأشياء الأخرى فى المجد.. لأن أى نجم من النجوم ولا أى كوكب من الكواكب العظمى يظهر الواحد منها كالأول والآخر كالثانى، بل إنها دُعيت جميعها إلى الوجود فى يوم واحد وبنفس الأمر¹. وهكذا تشكلت هيئة نوات الأربع والطيور والأسماك والحيوانات والنباتات. وهكذا أيضًا قد

¹ أى الأمر الذى خلقت به جميعها.

خُلِقَ جنس البشر على صورة الله. لأنه وإن كان آدم وحده قد خُلِقَ من التراب، إلاّ أنه توجد فيه كل ذرية الجنس البشرى¹.

49. ومن خليقة العالم الظاهرة نعرف بوضوح أن "أموره غير المنظورة المُتَرَكَّة بواسطة المصنوعات"²، لا نرى كل واحد منها منفصلاً عن الآخر إذ لا يوجد بينها أول وآخر، بل أنها خُلِقَتْ سوياً بحسب نوعها. لأن الرسول لم يحص كل واحد منفصلاً فيقول مثلاً سواء كان ملاكاً أم عرشاً أم سيادة أم سلطاناً، بل إنه أشار إليها كلها معاً بحسب الدرجة بقوله "سواء ملائكة أو رؤساء ملائكة أو رئاسات"³. فإنه هكذا تكون خِلقَةُ المخلوقات. فكما سبق أن قلت إنه إن كان الكلمة مخلوقاً فلم يكن من اللازم أن يكون هو أولها بل يكون مع سائر القوات الأخرى، حتى وإن تفوّق في المجد عن الآخرين بدرجة أكبر. وهذا ما يمكن أن نجده في القوات الأخرى لأنها وإن كانت قد خُلِقَتْ كلها في نفس الوقت ولا يوجد أول أو ثان، إلاّ أنها تختلف بعضها عن بعض في المجد، فيقف البعض عن اليمين والبعض حول العرش والبعض الآخر عن اليسار، والجميع يسبحون معاً ويقفون في خدمة الرب.

إذن فإن كان الكلمة مخلوقاً لما كان هو أول الآخرين ولا بدايتهم، أما إن كان قبل الجميع كما هو واقع فعلاً، وهو نفسه وحده أول وابن، فلا يترتب على ذلك أن يكون هو بداية الجميع بحسب الجوهر، لأن

¹ انظر أيضاً تجسد الكلمة فصل 1/6.

² انظر رو 20:1.

³ انظر كو 1:16.

أول الجميع يُحسب في عداد الجميع. وإن كان هو ليس بداية ولا خليفة فإنه يكون واضحًا تمامًا أنه يختلف عن المخلوقات في الجوهر وأنه مغاير لها. وهو مثال وصورة الله الفريد الحق إذ هو نفسه أيضًا فريد. لذلك فالكتب لم تضعه بين المخلوقات، بل إن داود يوبخ أولئك الذين يتجاسرون أن يفكروا في أنه واحد من مثل هؤلاء عندما قال: "من مثلك يارب بين الآلهة"¹، وأيضاً "من يشبه الرب بين أبناء الله"²، أما باروخ فيقول: "هذا هو إلهنا ولن يُقارن به آخر"³. لأن الكلمة يخلق بينما المخلوقات تُخلق، وهو كلمة جوهر الآب ذاته وحكمته. بينما المخلوقات التي لم تكن موجودة قبلاً قد صُنعت بواسطة الكلمة نفسه.

50 . أما تلك الثروة التي تدأبون على ترديدها بقولكم إن الابن مخلوق، فهذا أمر غير صحيح بل هو من نسج خيالكم وحده، وقد أدانه سليمان إذ أنه كثيراً ما كذّب. لأنه لم يذكر أن الابن مخلوق، بل هو مولود وهو حكمة الله بقوله "أسس الله الأرض بالحكمة"⁴ و"الحكمة بنت لها بيتاً"⁵. ومثل هذا القول عندما يُفحص فهو يثبت مدى كفركم، لأنه مكتوب "الرب خلقني أول طريقه من أجل أعماله". فإن كان هو موجوداً قبل الجميع فإنه يقول "خلقني" ليس لكي أصنع الأعمال بل "من أجل الأعمال"، وإن لم تكن عبارة خلقني تشير إلى

¹ انظر مز 86:8.

² مز 89:6.

³ باروخ 36:3.

⁴ أم 19:3.

⁵ أم 1:9.

شئ لاحق له فسيبدو هو كلاحق للأعمال حيث إنه عندما خُلِقَ وجد الأعمال التي قد صار من أجلها، قائمة قبله. فلو كان الأمر هكذا فكيف يظل هو موجودًا قبل جميع الأشياء؟ وكيف أن " كل شئ به كان؟" وكيف تتحد فيه كل الأشياء وتتماسك؟ وما أنتم تقولون إن الأعمال التي من أجلها خُلِقَ وأُرسل، اتحدت وتماسكت قبله. ولكن حقيقة الأمر ليست هكذا. حاشا! إن فكر الهرطقة كاذب، لأن كلمة الله ليس مخلوقاً بل خالقاً. وعندئذ فهو يتكلم بواسطة الأمثال فيقول "خَلَقَنِي" عندما لبس الجسد المخلوق، وهناك شئ آخر يمكن استنتاجه من نفس اللفظ. لأنه بالرغم من كونه ابناً وله أب هو الله إذ أنه هو مولوده الذاتى، إلا أنه يدعو الآب رباً ليس لأنه كان عبداً، بل لأنه اتخذ شكل عبد. لأنه من ناحية كان يلزم. لكونه الكلمة من الآب. أن يدعو الله أباً. فهذه هي خاصية الابن تجاه الآب، ومن الناحية الأخرى عندما يأتى لينجز العمل آخذاً صورة عبد فإنه يدعو الآب رباً. وقد علّم هو نفسه هذا الاختلاف بتمييز حسن عندما قال فى الأناجيل: "أحمدك أيها الآب" وبعد ذلك " رب السماء والأرض"¹. لأنه يقول إن الله هو أبوه ولكنه يدعو رب المخلوقات، إذن يتضح من هذا بجلاء أنه عندما لبس الجسد المخلوق كان عندئذ يدعو الآب رباً. وكذلك فى صلاة داود أوضح الروح القدس نفس الاختلاف عندما قال فى المزامير " اعط قوتك لعبدك وخلص ابن أمّك"². لأن ابن الله الحقيقى بالطبيعة هو شئ وأبناء الأمة الذين هم من طبيعة المخلوقات شئ آخر. لذلك فهو

¹ مت 11:25.

² مز 86:16.

وحده كابن تكون له قوة الآب. أما أبناء الأمة فهم فى حاجة إلى الخلاص.

51 . فإن كانوا يهذون بسبب أنه سُمى ولدًا، فليعرفوا أن اسحق دُعى ولدًا لابراهيم¹، وابن الشونمية سُمى ولدًا². وحيث إننا عبيد فمن الصواب إذن أنه عندما صار هو مثلنا، يدعو هو نفسه الآب ربًا كما ندعوه نحن. وقد صنع هذا لمحبتته للبشر، لكي نتشجع نحن الذين بحسب الطبيعة عبيد . نتشجع بقبولنا روح الابن . أن ندعو الآب أبًا بحسب النعمة، وهو رب لنا بحسب الطبيعة. وكما أننا حينما ندعو الرب أبًا لا ننكر عبوديتنا له بحسب الطبيعة لأننا نحن عمله " وهو صنعنا لا نحن"³، هكذا أيضًا عندما اتخذ الابن شكل عبد وقال " الرب خلقتى أول طريقه " فدعهم إذن لا ينكرون أزلية ألوهيته وأنه " فى البدء كان الكلمة"، و" كل شىء به كان"، و" به خلقت كل الأشياء".

¹ تك 8:21.

² مل 2:4، 18.

³ انظر مز 3:100.

الفصل العشرون

شرح نصوص: سادسًا
 ” الرب خلقني (قناني) أول طرقة لأجل
 أعماله ”

أمثال 8: 22

(تابع)

أما العبارة الواردة في الأمثال . كما سبقت أن قلت . فهي لا تشير إلى جوهر الكلمة، بل إلى ناسوت الكلمة. لأنه إن كان يقول إنه قد خُلِقَ ” لأجل الأعمال ” فإنه لا يريد أن يشير إلى جوهره، بل إلى التدبير الذى صار لأجل أعماله، وهو الأمر الذى يكون تاليًا لوجوده. لأن تلك الأشياء الصائرة والمخلوقة قد صُنِعت أولاً و أساساً من أجل أن تكون وأن تُوجد، وثانيًا أن يكون لهذه الأشياء أن تعمل بما يأمرها به الكلمة مثلما يمكن أن يرى مثل هذا الأمر فى جميع الأشياء.

لأن آدم خُلِقَ لا لى يعمل بل لى يوجد أولاً كإنسان، لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يعمل. ونوح خُلِقَ ليس من أجل الفلك، بل ليوجد أولاً ويصير إنسانًا، لأنه بعد ذلك تلقى أمرًا أن يصنع الفلك. ومن يبحث ويفتش فإنه سيجد نفس الشيء مع كل واحد من المخلوقات. لأن موسى العظيم أيضًا قد كان إنسانًا أولاً وبعد ذلك عُهد إليه بقيادة الشعب. وهكذا هنا أيضًا من الممكن أن نفهم نفس الشيء لأنك ترى أن الكلمة لم يُخلق لى يكون له وجود، بل ” فى البدء كان الكلمة ”، ولكنه بعد ذلك أُرسل ”لأجل الأعمال” وتدبير التجسد لأجل خلاصها لأنه من قبل

أن تُخلَق "الأعمال" كان الابن كائنًا دائمًا ولم تكن هناك أية حاجة لكي يُخلَق، وعندما خُلِقَت "الأعمال" وصارت الحاجة ماسّة بعد ذلك إلى تدبير إصلاحها، عندئذٍ قدّم الكلمة ذاته لكي ينزل ويصير مشابهًا "للأعمال". وهذا ما يوضح لنا معنى لفظ "خَلَق"¹. ولأنه يريد أن يثبت التشابه فإنه يقول مرة أخرى بإشعيا النبي: "والآن هكذا يقول الرب الذي جبلني من الرحم لأكون له عبدًا. لأرجع إليه يعقوب وأسرائيل. وسأجمع إليه وأتمجد أمام الرب"².

52 . فأنت ترى هنا أنه لا يُجَبَل لكي يُوجَد، بل من أجل تجميع الأسباب التي كانت موجودة قبل أن يُجَبَل. فكما أن هناك لفظ "خَلَق"³، هكذا هنا لفظ "جَبَل"⁴ ومثلما هناك عبارة من "أجل الأعمال"، هكذا هنا عبارة من "أجل التجميع" حتى تبدو لفظتا "خَلَق" و"جَبَل" أنهما تأتيان بعد وجود الكلمة. وكما أن الأسباب التي من أجلها جُبلت كانت موجودة قبل أن يُجَبَل، هكذا يتضح أن "الأعمال" التي من أجلها "خُلِق" قد وُجدت أيضًا. وعندما "كان الكلمة في البدء" لم تكن "الأعمال" موجودة بعد، كما سبق أن أشرت. وعندما صارت "الأعمال" وأصبحت الحاجة ملحة، عندئذٍ قيلت لفظة "خَلَق" وكما أن أي إبن فُقدت أملاكه وسبى عبيده بسبب إهمالهم وبسطو الأعداء عليهم، فإن إقتضت الحاجة فرما

¹ أصلها اليوناني اكنيسى ἔκτισε.

² إش 49 : 5 سبعينية.

³ باليونانية اكنيسى ἔκτισε.

⁴ باليونانية إيلاسى ἔπλασε.

يرسله أبوه لأستردادها وتجميعها. وعندما يتوجه لهذا الأمر فإنه قد يرتدى رداءً مشابهًا لردائهم، ويتشكّل بشكلهم كي لا يتعرّف عليه المستولون عليها أنه السيد فيهرىوا، وبهذا يتعذر عليه أن ينزل ويكتشف الكنوز التي خبّوها تحت الأرض. وعندئذ إذا سأله أحد، لماذا أنت هكذا، فإنه قد يُجيب قائلاً: " *جبلنى أبى هكذا وأعدنى لأجل أعماله*". وكأنه بهذا القول لا يعنى أنه عبد ولا أنه واحد من أعماله. ولا يتحدث عن بدء ميلاده، بل عن المهمة الموكلة إليه فيما بعد " *من أجل الأعمال*". وبنفس الطريقة أيضًا فإن الرب قد لبس جسدنا، " *وجد فى الهيئة كإنسان*"¹. فلو أنه سُئل من الذين رأوه وتعجبوا لكان يقول لهم " *الرب خلقنى أول طرقه لأجل أعماله*" و" *جبلنى لكى أجمع إسرائيل*" وهذا ما يقوله الروح فى المزامير " *أقمته على أعمال يديك*"². وهذا الأمر هو ما يشير به الرب عن ذاته قائلاً: " *أنا أقمّت ملكًا بواسطته على صهيون جبله المقدس*"³. وكما أنه حينما " *أشرق جسديًا*"⁴ على صهيون لم يكن هذا له بداية وجود أو ملك، بل لكونه كلمة الله وملكًا أبدىًا، فإنه حسب مستحقًا من الناحية البشرية أن تشرق مملكته فى صهيون أيضًا، لكى بعد أن يفديهم ويفدينا من الخطية المتملكة عليهم، يجعلهم تحت سلطان مملكة أبيه. وهكذا إذ قد أقيم من أجل الأعمال، فإن هذا ليس من أجل الأشياء التي لم تكن موجودة بعد،

¹ فى 2: 8

² مز 8: 6

³ مز 2: 6

⁴ " *أشرق جسديًا*" هونفس التعبير الوارد فى ثيوطوكية الاثنى عشر (المعرب).

بل من أجل الأشياء التي كانت موجودة عندئذ وكانت في حاجة إلى إصلاح.

53. إذن فإن الكلمات "خَلَقَ" و"جَبَلَ" و"أَقَامَ" لها نفس المعنى ولا تعنى وجود الابن ولا أن جوهره مخلوق، بل تعنى التجديد الذى صار لأجلنا كعمل خير منه. وبينما كان يقول هذه الكلمات، فإنه كان يعلم في نفس الوقت أنه كان كائنًا قبل هذه الأشياء وذلك عندما قال: "قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن"¹. وأيضًا "هيا السموات كنت أنا موجودًا هناك معه"². و"كنت عنده أقوم بتربيتها"³. وكما كان هو كائن قبل ابراهيم وجاء اسرائيل بعد ابراهيم، فيتضح أنه رغم أنه كان من قبل فإنه جُبل بعد ذلك. والجبل⁴ لا يعنى بداية وجوده، بل يشير إلى تأنسه الذى فيه يجمع أسباط إسرائيل. وهكذا أذن حيث إنه كائن دائمًا مع الآب، فإنه هو خالق الخليقة. وواضح أن أعماله وُجدت بعده. وأن لفظ "خَلَقَ" لا يعنى بداية وجوده بل يُعلن التدبير الذى تم في الجسد "من أجل الأعمال". لأنه كان من اللازم أن يكون هو مختلفًا عن الأعمال، بل بالحرى يكون هو خالقها، وأن يتكفل هو نفسه بتجديدها، لكى إذ قد خُلِقَ لأجلنا فإن جميع الأشياء تُخَلَقَ به من جديد.

لأنه عندما قال خَلَقَ أُضيف السبب في الحال وذكر لفظ "الأعمال"، وذلك لكى يتضح أنه خُلِقَ "من أجل الأعمال". وهذا أمر مألوف في

¹ يو 8: 58

² أم 8: 27 سبعينية

³ أم 8: 30

⁴ الجبل معناها الصيغة والتشكيل.

الكتب الإلهية. لأنه عندما يشير إلى ميلاد الكلمة بحسب الجسد يذكر السبب الذى من أجله صار إنساناً. وحينما يتحدث هو وخدامه بخصوص ألوهيته فإن كل شىء يُقال بألفاظ بسيطة وفكر صاف، ولا يُقال أبداً بطريقة معقدة. ذلك لأنه هو بهاء الآب، وهو مثل الآب لم يوجد عن طريق أية علة، ولذلك لا يجب أن نبحث عن سبب هذا البهاء، لأنه مكتوب " فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"¹. ولم يكن هناك تساؤل بصيغة "لماذا" وعندما كُتب " الكلمة صار جسداً" حينئذ ذكر السبب الذى من أجله قد صار إذ دُكر " وحل فينا"² وعندما يقول الرسول أيضاً: " الذى إذ كان فى صورة الله" فإنه لم يذكر السبب إلا عندما أخذ صورة عبد. لأنه حينئذ أشار كنتيجة لذلك قائلاً: " وضع نفسه حتى الموت موت الصليب"³. ولهذا فقد صار جسداً متخذاً صورة عبد.

54 . وكثيراً ما تحدث الرب نفسه بأمثال، ولكن عندما كان يشير إلى نفسه كان يقول بطريقة مطلقة: "أنا فى الآب والآب فى" ⁴، و "أنا والآب واحد"⁵، "من رأتى فقد رأى الآب"⁶، "أنا هو نور العالم"⁷ و "أنا

¹ يو: 1

² يو: 14 نص الآية فى الأصل يونانى حرفياً ليس بيننا بل خيم أو سكن فينا.

³ فى: 2، 6 ، 8

⁴ يو: 14: 10

⁵ يو: 10: 30

⁶ يو: 14: 9

⁷ يو: 8: 12

هو الحق"¹، دون أن يذكر السبب في كل قول ولا التساؤل "لماذا"، لكي لا يبدو تالياً لتلك الأشياء التي من أجلها صار أيضاً. لأنه من الضروري أن يكون السبب قبل مجيئه، والذي بدونه حتى هو نفسه لا يكون ممكناً أن يصير، فمثلاً بولس "الرسول المفرز للإنجيل الذي سبق فوعده به بأنبيائه"²، كان الإنجيل الذي صار خادماً له، سابقاً عليه. ويوحنا الذي كان قد عُيِّن لكي يعد الطريق فقد كان الرب سابقاً عليه. أما الرب فلأنه لم يكن له سبب قبله لكي يكون كلمة سوى أنه مولود من الآب وحكمته الوحيد، فإنه صار إنساناً، عندئذ فقط دُكِرَ السبب الذي كان مزمماً من أجله أن يلبس الجسد. لأن حاجة البشر تسبق صيرورته إنساناً، هذه الحاجة التي بدونها ما كان ليرتدى الجسد. إن الحاجة التي بسببها قد صار الرب نفسه إنساناً هو ما يشير إليه هو نفسه عندما قال: "قد نزلت من السماء ليس لكي أعمل مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً. بل أقيمه في اليوم الأخير. هذه مشيئة أبي أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير"³. وكما يقول أيضاً "أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى أن كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة"⁴. ويقول أيضاً: "لهذا قد وُلِدت

¹ يو 14: 6

² انظر رو 1: 1، 2

³ يو 6: 38 . 40

⁴ يو 12: 46

أنا لهذا قد جئت إلى العالم لكي أشهد للحق"¹. وقد كتب يوحنا: " لهذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس"².

55. إذن فقد جاء المخلص إلى العالم من أجل الشهادة، ولكي يقاسى الموت من أجلنا، ويقيم البشر، وينقض أعمال إبليس، وكان هذا هو سبب حضوره بالجسد. لأنه بغير هذا ما كان للقيامة أن تتحقق لو لم يكن هناك موت. وكيف يكون هناك موت إن لم يكن هناك جسد؟ والرسول نفسه تعلم هذا من الرب عندما قال: " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو أيضًا كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ولكي يعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية"³. وأيضًا " فإنه إذا جاء الموت بواسطة الإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات"⁴، وأيضًا لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه إذ كان ضعيفًا بالجسد. فإن الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"⁵. ويقول يوحنا: " لأن الله لم يرسل ابنه إلى العالم لكي يُدين بل ليخلص العالم"⁶. والمخلص أيضًا قد تكلم عن نفسه قائلاً: " لديونة أنا قد

¹ يو 18: 37

² يو 3: 8

³ عب 2: 14 و 15

⁴ 1كو 15: 21

⁵ رو 8: 3 و 4

⁶ يو 3: 17

جئت إلى هذا العالم لكي يبصر الذين لا يبصرون والذين يبصرون يصيرون عمياناً¹.

إذن فالمخلص لم يأت لأجل ذاته بل لأجل خلاصنا ولكي يبطل الموت ولكي يدين الخطية، ولكي يعيد أبصار العميان، ولكي يقيم الجميع من بين الأموات. فإن كان قد أتى ليس لأجل لذاته بل لأجلنا فهو إذن لم "يُخلَق"² لأجل نفسه بل لأجلنا. وإن كان لم يُخلق لأجل ذاته بل لأجلنا فلا يكون هو نفسه مخلوقاً بل هو يقول هذا حيث إنه أرتدى جسداً. وهذه الفكرة هي ما تعنيه الكتب المقدسة. وهذا هو ما نتعلمه من الرسول لأنه يقول في رسالته إلى أهل أفسس: "ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض. لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً"³. فلو أن الاثنين خُلِقا في نفسه ووُجدا في جسده، فمن الطبيعي أن كان يلبس الاثنين في نفسه، فإنه يكون كما لو كان هو نفسه الذي يُخلق. لأن الذين يخلقهم يتحدثون به ويكون هو فيهم كما يكونون هم فيه. هكذا إذن فما دام قد خُلِق الاثنين فيه فيكون من الملائم تماماً أن يقول "الرب خلقتني". فلأنه يأخذ على عاتقه ضعفاتنا يُقال عنه أنه يضعف رغم أنه هو لا يضعف لأنه قوة الله، وقد صار خطية ولعنة من أجلنا، بالرغم من أنه غير خاطئ، ولكنه يقال هذا لأنه حمل خطايانا ولعننتنا. وهكذا إذ قد خُلِقنا فيه فيقال أيضاً "خلقتني من أجل

¹ يو 9: 39

² أى لم يُخلق بالجسد

³ أف 2: 14 و 15

الأعمال" رغم أنه هو غير مخلوق.

56. وبحسب فكر أولئك يعتبر جوهر الكلمة مخلوقاً بسبب قوله " الرب *خَلَقَنِي*"، وبالتالي لكونه مخلوق فهو لم يُخلق من أجلنا، وإن لم يكن قد خُلِقَ من أجلنا فنحن لم نُخلق به، وإن لم نُخلق به فلن يكون هو لنا في داخلنا، بل سيكون من خارجنا كما لو كنا نقبل منه التعليم مثلما نقبله من معلّم. ولو كان الأمر هكذا معنا لما فقدت الخطية سلطانها على الجسد، بل لظلت ملتصقة به وليست بعيدة عنه. غير أن الرسول يعارض تعليم هؤلاء بإعلانه لأهل أفسس قبل ما سبق أن أقتبسنا بقليل قائلاً: "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع". فإن كنا قد خُلِقْنَا في المسيح فلا يكون هو الذي خلقنا، بل نحن الذين خُلِقْنَا بواسطته. لذا فالقول "خَلَقَ" هو من أجلنا نحن وبسبب احتياجنا. فإن الكلمة رغم أنه خالق، احتمال أيضاً لقب المخلوقين. ولم يكن هذا لقبه الخاص. إذ أنه هو الكلمة، ولكن اللقب "خَلَقَ" هو خاص بنا نحن المخلوقين بواسطته.

وأيضاً كما أن الآب كائن دائماً فإن كلمته كائن دائماً أيضاً، ولأنه كائن دائماً فهو يقول "وكننت أنا موضع بهجته، فرحاً في حضرته كل يوم"¹ وأيضاً "أنا في الآب والآب فيّ"². هكذا فإنه حينما صار إنساناً تابعاً لجنسنا البشري مثلنا، قال "الرب *خَلَقَنِي*" لكي يستطيع أن يطرد الخطية بعيداً عن الجسد بسكناه فيه ولكي نحصل نحن على فكر حر³.

¹ أم: 8: 30

² يو: 14: 10

³ حر من الخطية.

إذن فماذا كان يناسبه أن يقول عندما صار إنسانًا. أيقول " في البدء كنت إنسانًا؟" ولكن هذا ليس لائقًا به وليس حقيقيًا. وكما أنه لم يكن من الواجب أن يقول هذا القول، فمن المناسب ومما يميز صفات الإنسانية أن يقول "خَلَقَهُ" و"صَنَعَهُ". ولهذا يُضاف أيضًا سبب قوله: "خَلَقَ" وهو حاجة "الأعمال". وحيث إنه بذلك السبب فإن هذا السبب بلا شك يعطى المعنى الصحيح تمامًا للفقرة المكتوبة، وخاصة أنه هنا في لفظ "خَلَقَ" يذكر السبب أى "الأعمال". بينما أنه عندما يشير بصورة مطلقة إلى الميلاد من الآب فإنه يضيف فى الحال: "قبل كل الجبال وُلدنى"¹. فهو لم يقل لماذا وُلد مثلما حدث فى عبارة "خَلَقنى" حيث ذكر " من أجل الأعمال". بل إنه يقول بصورة مطلقة "وُلدنى"، كما جاء فى القول: " فى البدء كان الكلمة". لأنه حتى وإن لم تكن الأعمال قد خُلقت، إلا أن كلمة الله كان كائنًا، " وكان الكلمة الله". أما صيرورته إنسانًا فما كانت لتحدث لو لم تكن حاجة البشر هى السبب. فتبعًا لذلك لا يكون الابن مخلوقًا، لأنه لو كان مخلوقًا لما قال "وُلدنى". لأن المخلوقات هى أعمال الصانع من خارجه، أما المولود فليس من خارجه وليس عملاً، بل هو مولود جوهر الآب الذاتى. لذا فبينما "الأعمال" هى مخلوقات إلا أن كلمة الله هو إبن وحيد الجنس.

¹ أم 8: 25.

الفصل الحادى والعشرون

شرح نصوص: سادسًا:
 ” ... أول طرقه لأجل أعماله ”
 أمثال 8: 22

57. إن موسى عندما تكلم عن الخليقة لم يقل "فى البدء وُلِد" ولا "فى البدء كان" بل قال: " فى البدء خلق الله السماء والأرض"¹ وداود لم يتزئم بالقول "يداك ولدتانى"، بل " يداك صنعتانى وأنشأتانى"². فهو يقول فى كل مكان "صنع" عن المخلوقات. فى حين يتكلم عن الابن عكس ذلك. فهو لم يقل عن الابن "صنعتُ" بل "وُلدتُ"³. و"ولدى" و"فاض قلبى بكلمة صالحة"⁴. فبينما يقول عن الخليقة: " فى البدء خَلَق" يقول عن الابن: " فى البدء كان الكلمة". وهذا الاختلاف راجع إلى أن المخلوقات قد صُنعت ولها وجود فى مرحلة زمنية محددة. ولذا فإن ما قيل عنها " فى البدء خَلَق" مساو للقول " منذ البدء خلق" كما أن الرب إذ قد عرف ما صنع علّم الفريسيين موبخًا إياهم قائلاً: " إن الذى خلقهما منذ البدء خلقهما نكراً وأنثى"⁵. لأن المخلوقات أنتت إلى الوجود وخُلقت من بداية ما، قبل أن يكون هناك أى وجود. وهذا هو ما

¹ تك 1: 1

² مز 119: 73

³ مز 2: 7 و 101: 3

⁴ مز 45: 2 (سبعينية)

⁵ مت 19: 4

قصده الروح القدس أيضاً بقوله في المزمير: " وأنت يارب منذ البدء أسست الأرض"¹. ويقول أيضاً: " أذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم"². وواضح أن ما نشأ في زمن، فإن لحظة خلقه هي بداية وجوده، وأن الله اقتنى الجماعة في وقت معين. فإن القصد من القول "خَلَقَ" في عبارة " في البدء خَلَقَ " أنه بدأ يخلق. وموسى نفسه أوضح هذا بعد إتمام عمل كل الأشياء قائلاً: " وبارك الله اليوم السابع و قدسه لأنه في هذا اليوم استراح من أعماله التي بدأ أن يخلقها"³. إذن فإن المخلوقات قد بدأت أن تُخَلَق، أما كلمة الله فحيث إنه ليس له بداية وجود فإنه لم يبدأ أن يُوجَد ولا بدأ أن يصير، بل إنه كائن دائماً والأعمال لها بداية لصنعها، وبدايتها تسبق صيرورتها في الوجود أما الكلمة فإنه ليس من بين الأشياء التي تصير، بل بالأحرى هو خالق هذه الأشياء التي لها بداية. ووجود المخلوقات يرجع إلى صيرورتها. ومن بداية ما، يبدأ الله بصنع هذه الأشياء بواسطة الكلمة، لكي يكون معروفاً أن هذه الأشياء ليس لها وجود قبل أن تصير. أما الكلمة فإن وجوده ليس له بداية أخرى سوى في الآب الذي هو بلا بداية كما يعترفون هم، فالابن أيضاً كائن بلا بداية في الآب، إذ أنه في الواقع هو مولود الآب وليس مخلوق بواسطة الآب.

58 . هكذا فإن الكتاب الإلهي يفرق بين "المولود" وبين "المصنوعات"،

¹ مز 102: 25

² مز 74: 2

³ تك 2: 3 سبينية

ويوضح أن المولود هو ابن ليس مبتدئاً من أية بداية، بل هو أزليّ. أما الشئ المصنوع فلأنه من عمل الذى صنعه من الخارج، فلهذا يشير إلى أن له بداية خَلَق. ويوحنا عندما كان يَعْلَم عن ألوهية الابن وهو يعرف الفرق بين اللفظين لم يقل "فى البدء قد صار" أو "فى البدء قد صُنِعَ" بل قال " فى البدء كان الكلمة"، ولفظ "كان" يتضمن "المولود" لكى لا يظن أحد أن هناك فرقاً زمنياً، بل ليؤمنوا أن الابن أزليّ وكائن دائماً. ومع كل هذه البراهين، فكيف لم تستوعبوا أيها الأريوسيون الأقوال التى جاءت فى سفر التثنية وتتجاسرون أن تكفروا بالرب مرة أخرى بقولكم إنه "مصنوع" أو "مخلوق" بينما هو "مولود"؟ وأنتم تزعمون أن "المولود" و "المصنوع" لهما نفس المعنى. ومن هنا . مع ذلك . سيتضح أنكم غير عارفين كما أنكم عديمى التقوى. لأن القول الأول هو هذا: "أليس هذا هو أبوك الذى أوجدك وصنعك وخلقك"¹. ويقول بعد قليل فى نفس الأثشودة: " تركت الله الذى وَاَدَكَ ونسيت الله الذى أطعمك"². وهذه الفكرة غريبة للغاية، فهو لم يقل أولاً وَاَدَ لئلا يبدو القول غير مختلف عن "صنع"، ولو جَدَ هؤلاء مبرراً أن يقولوا إن موسى منذ البدء ذكر أن الله قد قال: " لنصنع إنساناً"³، وبعد ذلك قال " تركت الله الذى وَاَدَكَ" كما لو أن الألفاظ غير مختلفة. أى أن "المولود" و "المصنوع" هما نفس الشئ. ولكن بعد أن ذكر لفظى "أوجدَ" و"صنَع" أضاف أخيراً "وَاَدَ" لكى يظهر أن العبارة تحمل تفسيرها فيها. لأن اللفظ "صنَع" يشير فى

¹ تث 32: 6

² تث 32: 18

³ تك 1: 26

الحقيقة إلى طبيعة البشر. أى أنهم أعمال ومصنوعات. أما لفظ "وَلَدَ" فيوضح محبة الله للبشر التي صارت للناس بعد أن خلقهم. ولأن الناس أظهروا جحودًا لمحبة الله للبشر هذه، لهذا وبّخهم موسى وقال أولاً: "هل تكافئون الرب بهذه الأمور؟" ثم أضاف: "أليس هذا هو أبوك الذى أوجدك وصنعك وخلقك"¹. وقال ثانيًا: "قدموا الذبائح للشياطين وليس لله لآلهة لم يعرفوها، ودخلت آلهة جديدة وحديثة ولم يعرفها آباؤهم، تركت الله الذى وُلِدَ"².

59 . فإن الله لم يخلقهم بشرًا فقط بل دعاهم أيضًا أبناء لأنه وُلِدَهم. لأن لفظ "وَلَدَ" له معنى هام. لأنه يشير إلى ابن كما قال بواسطة النبي "وَلِدْتُ بَنِيًا وَنَشَأْتَهُمْ"³. وعمومًا فإن الكتاب عندما يريد أن يشير إلى "ابن" يُعَبِّرُ عنه ليس بواسطة اللفظ "خُلِقْتُ"، بل حتمًا بواسطة اللفظ "وُلِدْتُ". ويتضح هذا من قول يوحنا: "أَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ أَى الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ، الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ"⁴. وهذا النص واضح لأنه حين يذكر عبارة "أن يصيروا" يقول إن هؤلاء أبناؤه ليس بحسب الطبيعة بل بحسب التبني. ثم يقول "وُلِدُوا" لأن هؤلاء قد حصلوا على لقب ابن بالكامل. ولكن الشعب كما يقول النبي تمرد على الذى فعل معه

¹ تث 32: 6

² تث 32: 17 و 18

³ إش 1: 2

⁴ يو 1: 12 و 13

"الخير"¹. فهذه هي محبة الله للبشر أنه بالنسبة لأولئك الذين صنعهم فقد صار لهم أبًا أيضًا بعد ذلك بحسب النعمة. وقد صار لهم أبًا. كما قال الرسول. عندما حصل الناس المخلوقون على "روح ابنه في قلوبهم صارحًا: أبانا أيها الآب"². فهؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطانًا أن يصيروا أولاد الله. لأنه لم يكن في إمكانهم. حيث إنهم مخلوقات بالطبيعة. أن يصيروا أبناء بأية طريقة أخرى إلا بأن يتقبلوا روح الابن الحقيقي حسب الطبيعة. لذا فلكى يحدث هذا فقد "صار الكلمة جسدًا" لكي يجعل الإنسان قادرًا على تقبل الألوهية، ويمكن أن نتعلم هذه الفكرة أيضًا من ملاخي النبي الذي قال: "ألم يخلقكم إله واحد؟ أليس لكم أب واحد"³. وهنا وضع أولاً "خَلَقَ" وثانيًا لفظ "أب" لكي يثبت هو أيضًا أننا كنا منذ البدء مخلوقات بحسب طبيعتنا وأن الله هو خالقنا بواسطة الكلمة وبعد ذلك جعلنا أبناء، وهكذا صار الله الخالق هو أبونا أيضًا.

إذن فإن "الآب" هو خاص "بالابن"⁴ وليس بالخليقة، كما أن "الابن" خاص بالآب. ويتضح من هذا أننا لسنا أبنا بالطبيعة. أما الذي جاء وسطنا فهو ابن بالطبيعة. وأيضًا فإن الله ليس أبنا بالطبيعة، بل هو أب الكلمة الموجود فينا والذي به نصرخ "أبانا أيها الآب". وبنفس الطريقة فإنه يدعو الذين يرى ابنه فيهم، أبناء له ويقول: "وَلَدْتُ" حيث

¹ انظر إش 1: 3

² غل 4: 6

³ مل 2: 10 سبعينية

⁴ أي أن الآب هو أب للابن وليس للخليقة.

إن الولادة تدل على الابن حقًا، أما "الصنع" فهو لفظ يدل على "الأعمال". لهذا فإننا نحن لم "نُولد أولًا" بل "صُنعنا" كما هو مكتوب "لنصنع إنسانًا"، وبعد ذلك بواسطة قبولنا نعمة الروح قال: إننا "نُولد". لهذا فإن موسى العظيم قال بمعنى جيد في أنشودته، أولًا: "أوجد" وبعد ذلك "وَلَدَ"، لئلا عند سماع لفظ "وَلَدَ" ينسون طبيعتهم من البداية، وبهذا يعرفون أنهم من البدء مخلوقات. وعندما يقال إن الناس يولدون كأبناء بالنعمة فإنهم مع ذلك هم أيضًا مصنوعات بالطبيعة.

60. إن المخلوق ليس في الواقع هو "المولود"، بل هما يختلفان أحدهما عن الآخر في الطبيعة وفي معنى الألفاظ نفسها. والرب نفسه أوضح هذا في الأمثال. لأنه عندما قال: "الرب خلقني أول طريقه"¹، أضاف: " لكنه قبل كل الجبال وُلدني"². فإن كان الكلمة مخلوق بالطبيعة وبالجوهر، والمولود يختلف عن المخلوق فما كان له أن يضيف "وُلدني" بل لكان قد اكتفى بلفظ "خَلَقَ" مادام هذا اللفظ يعنى أيضًا "وَلَدَ". ولكنه هنا يقول "خلقني أول طريقه لأجل أعماله". وأضاف عبارة "وُلدني" ليس عن غير قصد، بل بعد ربطها بأداة الربط "لكن"، بذلك يعطى حماية كافية للفظ "خَلَقَ" قائلًا: " لكنه قبل كل الجبال وُلدني"، لأن عبارة "وُلدني" إذ تأتي مع لفظ "خلق" فإنها تضيف عليهما معنى معينًا يوضح أن لفظ "خلق" إنما قيل لغرض معين. أما عبارة "وُلدني" فهي تتخذ وضعًا قبل "خَلَقَ". لأنه لو كان قد قيل بالعكس تمامًا: "الرب وُلدني" ثم

¹ أم 8: 22

² أم 8: 25

أردف بالقول: "ولكن قبل كل الجبال خلقني"، لكان لفظ "خَلَقَ" سابقاً على لفظ "وَلَدَ". وهكذا بقوله أولاً "خَلَقَ". ويقوله: "ولدني قبل الكلّ" يشير إلى أن ذاته هي شئ آخر غير الكلّ. وقد أتضحت الحقيقة فيما سبق من أقوال إنه فيما يتعلق بالمخلوقات لم يصر أى واحد منها قبل غيره، بل إن جميع المخلوقات خُلِقَتْ معاً في نفس الوقت وبنفس الأمر الواحد. ولهذا فإن لفظ "وَلَدَنِي" لا يرتبط به ألفاظ مثل التي ترتبط بلفظ "خَلَقَ"، ولكن لفظ "خَلَقَ" يرتبط به "أول طريقه"، أما لفظ "وَلَدَنِي" فلم يقل معه "في البدء وُلِدَني"، بل "قبل الكل وُلِدَني"، فهذا الذي هو قبل الكل لا يكون أول الكلّ، بل هو شئ آخر غير الكلّ. فإن كان مختلفاً عن كل الأشياء، التي من بينها يعتبر هو أول الجميع، فيتضح من ذلك أنه مختلف عن المخلوقات، ويظهر بوضوح أنه بما أن الكلمة مختلف عن الكلّ وكائن قبل الكلّ، فإنه بعد ذلك يُخَلَقُ "أول طريقه من أجل أعماله" بسبب التجسد. كما قال الرسول: "الذي هو البداية، البكر من الأموات لكي يكون هو متقدماً في كل شئ"¹.

61. وإن كان يوجد هذا الفرق بين "خَلَقَ" و"وُلِدَني"، وبين "أول الطرق" و"قبل الكلّ"، فإن الله أولاً هو خالق البشر وقد صار فيما بعد أباً لهم بسبب كلمته الساكن فيهم. والعكس بالنسبة للكلمة، إذ أن الله هو أبوه بالطبيعة. لكنه صار فيما بعد خالقه وصانعه عندما لبس الكلمة الجسد الذ خُلِقَ وصُنِعَ، وصار إنساناً. لأنه كما أن البشر الذين حصلوا على روح الابن صاروا به أولاداً، هكذا كلمة الله عندما لبس هو أيضاً جسد

¹ كو 1: 18

البشر، فيقال حينئذ إنه خُلِقَ وصُنِعَ. إذن فلو كنا نحن أبناء بالطبيعة يكون هو أيضًا مخلوقًا ومصنوعًا بالطبيعة. ولكن إن كنا نحن أبناء بالتبني وبالنعمة فمن الواضح أن الكلمة حينما صار إنسانًا بفضل النعمة، قال: "الرب خَلَقَنِي". وبعد ذلك حينما لبس ما هو مخلوق فإنه صار مشابهًا لنا بحسب الجسد، ولهذا فمن الصواب أن يُدعى أيضًا "أخانا" و "بكرنا". لأنه بما أن البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان أول ما تم تخليصه وتحريره إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه. وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده وبهذا الجسد صار الرب هو قائدنا إلى ملكوت السموات وإلى أبيه لأنه هو يقول: "أنا هو الطريق"¹. و"أنا هو الباب"². ويجب على الجميع "أن يدخلوا بي". من أجل ذلك يُدعى "بكر من بين الأممات لا لأنه مات أولاً. إذ أننا قد متنا قبله. بل لأنه قد أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا، وقد أبطل هذا الموت، فإنه هو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسد لأجلنا. وتبعًا لذلك حيث إن الجسد قد أُقيم، هكذا نحن أيضًا ننال القيامة من بين الأممات منه وبسببه.

62. وإن سُمى أيضًا " بكر الخليفة"³، لكنه لم يلقب بكرًا كمساوٍ للمخلوقات، أو أولهم زمنيًا [لأنه كيف يكون هذا وهو نفسه الوحيد الجنس بحق؟]. لأنه بسبب تنازل الكلمة إلى المخلوقات فإنه قد صار

¹ يو 14: 6

² يو 10: 7

³ كو 1: 15

أخًا لكثيرين. وهو يعتبر "وحيد الجنس" قطعًا إذ أنه وحيد وليس له إخوة آخرون والبكر يسمى بكر بسبب وجود إخوة آخرين. لذلك فلم يُذكر في أى موضع فى الكتب "بكر الله" ولا "مخلوق الله" بل ذُكر "الوحيد الجنس" و "الابن" و "الكلمة" و "الحكمة".

وهذه تشير إلى علاقته الخاصة المتميزة بالآب. وهكذا كُتب "رأينا مجده مجدًا كما لوحد من الآب"¹ و "أرسل الله ابنه الوحيد"² و "كلمتك يارب دائم إلى الأبد"³ و "فى البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله"⁴ و "المسيح قوة الله وحكمة الله"⁵ و "هذا هو ابني الحبيب"⁶ و "أنت هو المسيح ابن الله الحى"⁷.

أما لفظ "البكر" فيشير إلى التنازل إلى الخليقة، لأنه بسببها سُمى بكرًا. ولفظ "خُلِقَ" يشير إلى النعمة "من أجل الأعمال" فإنه يُخلق من أجلها. فإن كان هو "الابن الوحيد" تمامًا مثلما هو فى الحقيقة، فإن لفظ بكر تحتاج إلى تفسير، لأنه لو كان "بكرًا" لما كان "وحيدًا" لأنه غير ممكن أن يكون هو نفسه "وحيدًا" و "بكرًا" إلا إذا كان يشير إلى أمرين مختلفين. فهو "الابن الوحيد" بسبب الولادة من الآب، ولكنه يسمى "بكرًا" لسبب التنازل إلى الخليقة وجعله الكثيرين أخوة له. فإن كان

¹ يو: 1: 14

² يو: 4: 9

³ مز: 119: 89 (سبعينية)

⁴ يو: 1: 1

⁵ 1كو: 1: 24

⁶ مت: 3: 17

⁷ مت: 6: 16

اللفظان متعارضان أحدهما مع الآخر، فإن في إمكان أى شخص أن يقول إن اصطلاح "الوحيد الجنس" متعلق **بالكلمة** وذلك بسبب عدم وجود **كلمة** آخر أو "حكمة" آخر، بل إنه هو وحده ابن الآب الحقيقى. لأنه كما قيل سابقاً فإن اصطلاح وحيد الجنس لم يذكر مرتبطاً بأى سبب، بل ذُكر بصورة مطلقة أنه: " **الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب**"¹. أما اصطلاح البكر فهو مرتبط بالخليعة التى أشار إليها بولس عندما قال: " **لأنه فيه خُلِقَ الكل**"². فإن كانت كلّ المخلوقات قد خُلِقَت بواسطته فإنه يكون مختلفاً عن المخلوقات، ولا يكون مخلوقاً بل هو خالق المخلوقات.

63. إذن فهو لم يُدعَ "بكرًا" بسبب كونه من الآب، بل بسبب أن الخليعة قد صارت به. وكما كان الابن نفسه كائنًا قبل الخليعة وهو الذى به قد صارت الخليعة، هكذا أيضًا فإنه قبل أن يُسمى "بكر كل الخليعة" كان هو **الكلمة** ذاته عند الله. ولكن حيث إن الكافرين لم يفهموا هذا صاروا يجولون قائلين: "إن كان هو بكر كل خليعة فمن الواضح أنه هو نفسه أيضًا واحد من الخليعة". يالهم من حمقى! فإن كان هو بكر كل الخليعة جمعاء فهو إذن مغاير لكل الخليعة، لأنه لم يقل إنه كان بكر بقية الخلائق لكى لا يظن أنه مثل واحد من الخلائق، بل قد كتب " بكر كل خليعة " كى يتضح أنه مختلف عن الخليعة. فرأويين مثلاً لم يُدعَ بكر جميع أولاد يعقوب، بل بكر يعقوب وبكر إخوته، لكى لا يظن

¹ يو 1: 18

² كو 1: 16

أنه شخص آخر ولا ينتمي إلى أولاد يعقوب¹. أما بخصوص الرب نفسه فلم يقل الرسول: "لكي يصير بكر الجميع"، لكي لا يُظن أنه يلبس جسداً مختلفاً عن جسدنا، بل قال: "إنه بكر بين أخوة كثيرين"² وذلك بسبب مشابهة الجسد. فلو كان الكلمة واحداً من بين الخلائق، لكان الكتاب قد قال عنه إنه بكر المخلوقات الأخرى. أما الآن حيث يقول القديسون إنه "بكر كل خليفة" فإنه يتضح العكس تماماً لأنه غير كل الخليفة، وأن ابن الله ليس بمخلوق. لأنه إن كان مخلوقاً فسيكون هو بكرًا بالنسبة لنفسه.

فكيف يكون ممكناً أيها الأريوسيون أن يكون هو الأول لذاته والثاني بالنسبة لنفسه؟ وبعد ذلك، فإن كان هو مخلوقاً، وكل الخليفة قد صارت به وتتكون فيه، فكيف يستطيع أيضاً أن يخلق الخليفة وأن يكون في نفس الوقت واحداً من أولئك الذين خُلِقوا فيه؟ فبدعتهم هذه تظهر منافية للعقل وسقيمة، فهم يحددون عن الحق، لأنه قد دُعي "بكرًا بين أخوة كثيرين" بسبب علاقة الجسد. وسُمي "البكر من بين الأموات" لأن قيامة الموتى تتبع منه وتلى قيامته. وقد دُعي "بكر كل الخليفة" من أجل محبة الآب للبشر التي بسببها، ليس أن الكل فقط قد تكون بكلمته، بل إن الخليفة نفسها. التي تحدث عنها الرسول أنها "تنتظر ظهور أبناء الله"³، هي أيضاً سوف "تعتق يوماً من عبودية الفساد إلى

¹ انظر تك35: 23

² رو8: 29

³ رو8: 19

حرية مجد /بناء الله¹. وهكذا فبعد أن تتحرر الخليقة فسيكون الرب أيضًا هو بكرها ويكر كل الأولاد المولودين، لكي بتسميته "الأول" فإن الذين يتبعونه يظلون مرتبطين به كبداية لهم.

64. واعتقد أن الكافرين أنفسهم سيخجلون من مثل هذا الرأي، لأنه لو أن الأمر لم يكن هكذا مثلما قلنا، بل هم يريدونه أن يكون . بحسب الجوهر . مخلوقًا بين الخلائق. وبهذا المعنى يفسرون "بكر كل الخليقة"، فدعهم إذن يعترفون أنهم . فى هذه الحالة . سيفهمونه أنه أخ ومشابه للكائنات الغير ناطقة والتي بلا نفس. لأنه الأشياء هى أيضًا أجزاء من كلّ الخليقة، لذلك يكون البكر بالضرورة هو الأول من الناحية الزمنية فقط، أما من ناحية النوع والتشابه فيكون هو والجميع شئ واحد. فكيف إذن لا يفوقون كل كفر عندما يقولون هذا؟ ومن سيحتلمهم عندما يتكلمون هكذا؟ وكيف يستطيع أحد ألا يشمئز منهم بسبب أنهم يتفكرون فى مثل هذه الأمور؟

لأنه واضح للجميع أنه دعى "بكر الخليقة" ليس بسبب نفسه كما لو كان مخلوقًا، ولا بسبب أن له علاقة ما من جهة الجوهر مع كل الخليقة، بل لأن الكلمة . منذ البدء . عندما خُلِقَ المخلوقات، تنازل إلى مستواها حتى يتيسر لها أن تأتى إلى الوجود. لأن المخلوقات ما كان ممكنًا لها أن تحتل طبيعته . التى هى بهاء الآب الخالص . لو لم يتنازل ويعضدها ويمسك بها ويحضرها إلى الوجود بسبب محبة الآب للبشر . ونكرر أيضًا أنه بنزول الكلمة، قد صار به تبنى الخليقة نفسها

¹ انظر رو8: 21

به، لكي يصير هو بكرها في كل شيء كما سبق أن قيل، سواء في الخلق أم في دخوله إلى العالم نفسه من أجل الكلّ لأنه مكتوب " ومتى أدخل البكر إلى العالم، يقول ولتسجد له كل ملائكة الله"¹. فليسمع أعداء المسيح وليمزقوا أنفسهم بشدة. لأن إدخاله إلى العالم ساهم في تسميته "بكر" الكلّ، حتى يكون هو ابن الآب الوحيد الجنس بسبب أنه هو الوحيد الذي من الآب، كما أنه "بكر" الخليقة من أجل تبني الجميع. ولأنه هو بكر بين الأخوة، وقد قام من بين الأموات ليكون هو باكورة الراقدين²، لذلك كان من الواجب أن يكون متقدماً في كل شيء، لهذا فقد "خُلق أول الطرق". لكي إذ نتبعه ندخل بواسطته وهو القائل "أنا هو الطريق" و "الباب" ونشترك في معرفة الآب، فإننا نسمع الكلمات: " طوباهم الذين بلا عيب في الطريق"³ وأيضاً " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله"⁴.

65. وهكذا إذ قد ظهر الحق واتضح أن الكلمة من جهة طبيعته ليس مخلوقاً بالطبيعة، فمن المناسب الآن أن نوضح كيف قيل عنه "أول الطريق". لأنه حيث إن الطريق الأول الذي كان من خلال آدم، قد ضاع وانحرفنا إلى الموت بدل الفردوس وسمعنا القول: " إنك من التراب وإلى التراب تعود"⁵، لذا فإن كلمة الله المحب للبشر ليس .

¹ عب: 1: 6

² انظر 1كو 15: 20

³ مز 119: 1

⁴ مت 5: 8

⁵ تك 3: 19

بمشيئة الآب . الجسد المخلوق لكي يُحْيى بدم نفسه هذا الجسد الذى أماته الإنسان الأول بسبب تعدّيه، كما قال الرسول: "وكرّس لنا طريقًا حَيًّا حديثًا بالحجاب أى جسده"¹. وهو ما شار إليه فى موضع آخر حينما قال: "إن كان أحد فى المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هونًا الكلّ قد صار جديدًا"². فإن كان كلّ شئ قد صار خليفة جديدة فمن الضرورى أن يكون هناك شخص هو بكر هذه الخليفة. ولا يمكن أن يكون هو الإنسان الضعيف الترابى، وهى حالتنا نحن بسبب التعدى. لأنه فى الخليفة الأولى قد صار البشر عديمى الايمان وهلكت الخليفة الأولى بسببهم، ولذا صارت هناك حاجة إلى آخر وهو الذى يقوم بتجديد الخليفة الأولى والذى يحفظ الخليفة الجديدة التى سنخلق. فليس هناك أحد غير الرب . الذى هو بداية الخليفة الجديدة . قد خُلِقَ (كما قيل سابقًا) ليكون أول الطريق، وذلك من محبته للبشر، وهكذا يكون من الصوات أن يقول: "الرب خلقنى أول طريقه لأجل أعماله" لكي لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليفة الأولى. وإذ توجد بداية خليفة جديدة والمسيح هو بدء طريقها، إذن فلنقتف أثره لأنه هو الذى قال لنا: "أنا هو الطريق". وأيضًا يعلم الرسول المغبوط فى رسالته إلى أهل كولوسى قائلاً: " هو رأس الجسد الكنيسة، الذى هو البداية، البكر من بين الأموات لكي يكون متقدمًا فى كل شئ"³.

¹ عب10: 20 انظر أيضًا كتاب تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 5/25.

² كو5: 17

³ كو1: 18

66 . لأنه إن كان المسيح . كما قيل . يعتبر بداية بسبب القيامة من الأموات، إذ قد حدثت القيامة عندما ليس جسداً وبعد ان سلّم ذاته للموت من أجلنا، فإنه يكون واضحاً أن ما قاله هو: " خلقتى أول طريقه " يشير ليس إلى جوهره بل إلى وجوده الجسدى. لأن الموت خاص بالجسد. وكما أن الموت صفة خاصة للجسد، هكذا أيضاً فإن الوجود الجسدى يكون خاصاً بالقول: " الرب خلقتى أول طريقه ". لأنه هكذا خلّق المخلّص بحسب الجسد وصاروا أول الذين صاروا من جديد وأتخذ باكورتنا التي هي الجسد البشرى الذى لبسه، وبعده يأتى الشعب الآتى الذى خلّق كما قال داود: " يكتب هذا لجيل آخر، وشعب سيخلق يسبح الرب"¹. ويقول فى المزمور الحادى والعشرين: " الجيل الآتى سيخبر عن الرب. وسيعلمون برب للشعب الذى سيولد الذى صنعه الرب"². لأننا لن نسمع بعد: " يوم تأكل منها موتاً تموت"³، بل نسمع: " حيثما أكون أنا تكونون أنتم أيضاً"⁴. وهكذا نستطيع أن نقول: " لأننا نحن عمله مخلوقين لأعمال صالحة"⁵. ومرة أخرى حيث إن عمل الله . أى الإنسان . الذى خلّق كاملاً، قد صار ناقصاً بسبب المخالفة، وصار ميئاً بالخطيئة، فلم يكن لائقاً أن يظل عمل الله ناقصاً. ولأجل هذا توسل جميع القديسين قائلين فى المزمور 137: " يارب جازهم

¹ مز 102: 18

² انظر 22: 30 و 31 (مز 21 بالسبعينية).

³ تك 2: 17

⁴ يو 14: 3

⁵ انظر أف 2: 10

بسببي.. يارب لا تتخلّ عن أعمال يدك"¹. لأجل هذا فإن كلمة الله الكامل قد ليس الجسد الناقص. ولهذا يُقال إنه " خُلِقَ من أجل الأعمال"، لكي بعد أن يوفى الدين بدلاً منا يكملّ بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان. فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس. وهذا يتضح ما قاله المخلص: " أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته"² وأيضًا " الأعمال التي أعطاني الآب إياها لأكملها. هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي"³، إن الأعمال التي يتحدث عنها هنا أن الآب قد أعطاها له ليكملها، هي تلك التي خُلِقَ من أجلها كما يقول في الأمثال: " الرب خلقني أول طريقه لأجل أعماله". وهذا كإنه يقول: " الآب أعطاني الأعمال" و" الرب خلقني لأجل الأعمال".

67. إذن يامحاربي الله، متى أخذ الأعمال لكي يكملها؟ فمن هذا أيضًا سيتضح معنى اللفظ "خَلَقَ". فإن قلتم إن هذا حدث في البدء عندما صنع الأشياء من العدم، يكون هذا كذبًا وغير حقيقي، ذلك لأن الأعمال لم تكن قد وجدت بعد. وواضح أنه يقول إنه أخذ "أعمالًا" كانت موجودة عندئذ. وليس من التقوى أن نقول إن هذا حدث قبل الزمن الذي صار فيه الكلمة جسدًا، لكي لا يبدو أن مجيئه إلى العالم كان عديم النفع، لأن مجيئه كان لأجل هذه "الأعمال". إذن علينا أن

¹ مز 138: 8 (مز 137 بالسبعينية)

² يو 4: 17

³ يو 5: 36

نداوم القول إنه عندما صار إنسانًا، فإنه عندئذ فقط أخذ "الأعمال". لأنه عندئذ أكملها أيضًا شافيًا جراحنا ومانحًا إيانا القيامة من الأموات. لأنه إن كانت "الأعمال" قد أعطيت عندئذ للكلمة أى عندما صار جسدًا، فإنه يكون واضحًا أنه عندما صار إنسانًا فإنه حينئذ أيضًا "خُلِقَ" لأجل الأعمال". إذن فلفظ "خَلَقَ" لا يشير إلى جوهره. كما قلنا مرارًا. بل إلى ولادته بالجسد. ولأن الأعمال صارت ناقصة ومشوهة بسبب التعدى، لذا يُقال عنه إنه "خُلِقَ" من جهة الجسد، لكي بعد أن يكمل هذه الأعمال ويتم صنعها يُحضر الكنيسة إلى الآب كما قال الرسول: " لا ننس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب"¹.

إذن فقد كَمَلَ فيه الجنس البشرى وأُعيد تأسيسه كما كان فى البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأول. لأننا بعد القيامة من بين الأموات لن نخاف الموت بعد، بل سنملك فى السموات مع المسيح على الدوام. وهذا لأن كلمة الله الذاتى عينه، الذى من الآب، قد لبس الجسد وصار إنسانًا. لأنه لو كان مخلوقًا ثم صار إنسانًا فإن الإنسان يبقى كما كان دون أن يتحد بالله. لأنه كيف يمكن لمخلوق أن يتحد بالخالق بواسطة مخلوق؟ لأن أى معونة يمكن أن يحصل عليها متمثلون من ممثليهم ما داموا هم أيضًا محتاجين إلى نفس المعونة²؟ وإن كان الكلمة مخلوقًا فكيف يمكن أن يبطل حكم الله ويصفح عن الخطيئة وهو أمر كتب عنه

¹ أف: 5: 27

² يعبر القدّيس أناسيوس عن نفس هذه الحقيقة بعبارة أخرى، انظر تجسد الكلمة، المرجع السابق،

فصل 7/13، فصل 5/21.

الأنبياء أنه خاص بالله؟ لأن " من هو إله مثلك غافراً للآثام ومتعاضٍ عن الخطايا"¹. فإن الله قال: " إنك تراب وإلى التراب تعود"²، والبشر قد صاروا مائتين. إذن فكيف يكون في إمكان المخلوقين أن يبطلوا الخطية؟ فإن الرب نفسه هو الذى أبطلها كما قال هو نفسه: " إن لم يحرركم الابن"³، وأوضح حقاً أن الابن الذى حرر ليس مخلوقاً وليس من بين المخلوقات، بل هو الكلمة الذاتى وصورة جوهر الآب، وهو الذى " أصدر الحكم"⁴، فى البداية، وهو الذى صفح عن الخطايا. وإذ قيل بواسطة الكلمة " أنت من التراب وإلى التراب تعود" هكذا أيضاً قد تحققت الحرية بالكلمة نفسه وفيه، وبه قد صار إبطال الدينونة.

68. ولكنهم يقولون إنه يمكن أن يكون المخلص مخلوقاً ومع ذلك يقول الله مجرد كلمة ليبطل بها اللعنة. ومن المحتمل أن يسمعوا نفس الشئ من آخر يقول: " كان فى الإمكان ألا يأتى الابن إلى العالم على الإطلاق، وأن يتكلم الله فقط ويبطل النعمة"⁵. ولكن يلزم التفكير فى تحديد ما هو ملائم للبشر وليس فى ما يكون فى استطاعة الله. لأنه كان قادراً أن يهلك البشر المخالفين قبل فلك نوح، ولكنه فعل هذا بعد

¹ ميخا: 7: 18.

² تك: 3: 19.

³ انظر يو: 8: 36.

⁴ يقصد أن الكلمة هو الذى أصدر حكم الموت " لأنك من التراب وإلى التراب تعود".

⁵ سبق أن حاجج كلوسوس المسيحيين بهذا القول. انظر أوريجينوس فى رده على كلوسوس 3/4 غير أن هذه الحجة وردت على لسان الآريوسيين، كما سبق أن أشار إليها القديس أثناسيوس من قبل وفنداها فى كتابه تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 44.

الفلك. وكان يستطيع بدون موسى أن يخرج الشعب من مصر بكلمة فقط، ولكن كان من المفيد أن يفعل هذا بواسطة موسى. وكان يستطيع الله أيضًا أن يخلص الشعب بغير القضاة ولكن كان من مصلحة الناس أن يقيم لهم قاضيًا في كل عصر. وكان من الممكن أن يقيم المخلص بيننا منذ البداية، أو بعد أن جاء كان يمكنه ألا يستسلم لبيلاطس. لكنه جاء عند إنقضاء الدهور. فعندما سألوه قال: "أنا هو"¹. لأن ما صنعه كان هو بعينه النافع للبشر. ولم يكن من المناسب أن يكون هناك شيء آخر. وبرعايته قد صنع أيضًا ما هو نافع ولازم.

إذن فهو قد " جاء لا لكي يُخدم، بل لكي يخدم وأن يصنع لنا خلاصًا"². وبالتأكيد كان يستطيع أن يملأ الشريعة من السماء غير أنه رأى أنه لصالح البشر أن يملئها من سيناء. وهذا ما قد صنعه بالفعل حتى يستطيع موسى أن يرتقى الجبل ويتمكن أولئك الذين يسمعون الكلام عن قرب أن يؤمنوا أكثر. ويمكن أيضًا أن ندرك صواب ما قد فعله من الآتى:

ولو أن الله قال كلمة واحدة . لسبب قدرته . وأبطل بها اللعنة، لظهرت قوة الذى أعطى الأمر ولكن الإنسان سيظل كما كان آدم قبل العصيان، لأنه كان سيحصل على النعمة من الخارج دون أن تكون متحدة مع الجسد (فهذه كانت الحالة عندما وضع فى الجنة) بل ربما صارت حالته الآن أسوأ مما كان فى الجنة بسبب أنه قد تعلم كيف يعصى. فلو كانت حالته هكذا وأغوى مرة أخرى بواسطة الحيّة لصارت

¹ يو 18: 5

² مت 20: 28

هناك حاجة مرة أخرى أن الله يأمر ويبطل اللعنة وهكذا تستمر الحاجة إلى ما لا نهاية، وظل البشر تحت الذنب لسبب استعبادهم للخطية . إذ هم يقترفون الأثم . وظلوا على الدوام في حاجة لمن يعفو عنهم ولما خلصوا قط. ولكونهم أجسادًا بحسب طبيعتهم فإنهم يظلون مقهورين دائمًا بواسطة الناموس لسبب ضعف الجسد¹.

69. ومرة أخرى (نقول)، لو كان الابن مخلوقًا لظل الإنسان مائتًا كما كان قبلاً، حيث إنه لم يتحد بالله. فإنه لا يستطيع مخلوق أن يوحد المخلوقات مع الله، إذ أنه هو نفسه في حاجة لمن يوحده بالله. وليس في وسع جزء من الخليقة أن يكون خلاصًا للخليقة إذ هو نفسه في حاجة إلى الخلاص. ولكي لا يحدث هذا أرسل الله ابنه وصار ابن الإنسان بأخذاه الجسد المخلوق. وحيث إن الجميع كانوا خاضعين للموت، وكان هو مختلفًا عن الجميع فقد قدّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع. إذن حيث إن الجميع ماتوا بواسطته هكذا قد تم الحكم (إذ أن الجميع ماتوا في المسيح). وهكذا فإن الجميع يصيرون بواسطته أحرارًا من الخطية ومن اللعنة الناتجة عنها، ويبقى الجميع على الدوام قائمين من الأموات ولأبسين عدم موت وعدم فساد. وكما قلنا مرارًا وتكرارًا فإن الكلمة بلبسه للجسد بدأ يبطل منه كلية كل لدغة من لدغات الحية، ويقطع منه أي شئ ينبع من حركات الجسد، ويبطل معها أيضًا

¹ سبق أن أوضح القديس أثناسيوس نفس هذا التعليم بأسلوب مشابه وذلك في إطار دفاعه عن تجسد

الكلمة، انظر كتاب تجسد الكلمة، المرجع السابق، فصل 8/44.

الموت الذى يتبع الخطية¹ كما قال الرب نفسه: " رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شئ"². وحيث إن أعمال إبليس³ قد نُقِضت من الجسد فقد تحررنا جميعًا بسبب علاقتنا بجسده، وصرنا متحدين مع الكلمة، ولأننا متحدون مع الله فلن نمكث كثيرًا بعد على الأرض، بل كما قال هو نفسه: " حيث يكون هو هناك نكون نحن أيضًا"⁴. وعندئذ لن نخاف الحيّة بعد لأنها أبطلت بواسطة الجسد بعد أن طردها المخّص عندما سمعت " اذهب عنى يا شيطان"⁵. وهكذا طُرد خارج الفردوس وألقى فى النار الأبدية. ولن نحترس بعد من المرأة التى خدعتنا لأنه فى " القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كالملائكة"⁶ وستكون خليفة جديدة فى المسيح يسوع " حيث ليس نكر وأنثى"⁷. بل سيكون المسيح الكلّ فى الكل⁸، وحيث يكون المسيح فأى خوف أو خطر يكون هناك؟

70. ولكن كل هذا لم يكن ممكنًا أن يحدث لو أن الكلمة كان مخلوقًا

¹ يُجمل القديس أناسيوس فى هذه الفقرة تعليمه ودفاعه عن ألوهية الابن المتجسد موضحًا عمله الخلاصى من أجل البشرية كلها. ويمكن مقارنة هذا الجزء بما ورد فى كتابه "تجسد الكلمة" الفصل 20، حيث لخص فيه القديس أناسيوس سبب ظهور كلمة الله فى الجسد.

² يو 14: 30

³ 1يو 3: 8

⁴ انظر يو 14: 13

⁵ مت 4: 10

⁶ مت 22: 30

⁷ انظر غلا 3: 28.

⁸ انظر 1كو 15: 28

فالشيطان إذ هو مخلوق فإنه يواصل الحرب دائماً ضد المخلوق، وحيث إن الإنسان موجود في وسط الصراع فهو خاضع للموت، إذ ليس له من بواسطته وعن طريقه يتحد بالله لكي يتحرر من كل خوف. ولذلك فإن الحق يوضح أن الكلمة لا ينتمى إلى المخلوقات، بل بالحرى هو نفسه خالقهم. ولذلك فقد لبس الجسد البشرى المخلوق، لكي بعد أن يجده كخالق فإنه يؤلهه¹ هو نفسه، وهكذا يدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته. لأنه ما كان للإنسان أن يتأله لو أنه أتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهاً حقيقياً. وما كان للإنسان أن يقف فى حضرة الآب لو لم يكن الذى لبس الجسد هو بالطبيعة كلمته الحقيقى.

وكما أن لو لم يكن الجسد الذى لبسه الكلمة جسداً بشرياً لما كنا قد تحررنا من الخطيئة واللعة (حيث إنه فى هذه الحالة لا يكون هناك شئ مشترك بيننا وبين ما هو غريب)، هكذا لم يكن للإنسان أن يؤله لو لم يكن الكلمة هو ابن طبيعى حقيقى وذاتى من الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشرى بالطبيعة بهذا الذى له طبيعة الألوهية، ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكداً. لذلك فإن الذين ينكرون أن الابن هو بالطبيعة من الآب وأنه مولوده الذاتى من جوهره، فليتكروا أيضاً أنه قد حصل على جسده البشرى الحقيقى من مريم

¹ كثيراً ما يشدد القديس أثناسيوس على هذه الحقيقة الخلاصية باستخدام هذا التعبير، وذلك فى مثالاته ضد الأريوسيين 39/1، 47/2، 59/2، 33/3، وأيضاً تجسد الكلمة 3/54، وهذا التعبير عند الآباء بصفة عامة لا يعنى أن الإنسان يصير بطبيعته إلهاً بل يعنى أنه يشترك فى الحياة الإلهية، حياة البر والقداسة، التى هى شركة حياة الثالوث.

الدائمة البتولية. لأنه لن يكون لنا نحن البشر أى ربح بعد، إن لم يكن الكلمة هو ابن الله الحقيقي بالطبيعة، وإن لم يكن الجسد الذى اتخذه هو جسد حقيقى. ولكنه بالتأكيد قد اتخذ جسداً حقيقياً برغم ما يهدى به فالنتينوس¹، ذلك لأن الكلمة هو إله حق بالطبيعة رغم هذيان مجانين الآريوسية. فهو بهذا الجسد قد صار بدء خليقتنا الجديدة لأنه قد خُلِق كإنسان لأجلنا وقد كرّس لنا ذلك الطريق كما قد كُتِب.

71. إذن فالكلمة ليس مخلوقاً، لأن ألفاظ "المخلوق" و"المصنوع" و"العمل" تعنى نفس الشئ. فلو كان "مخلوقاً" لكان أيضاً "مصنوعاً" و"عملاً" لهذا فإنه لم يقل "خلقتى عملاً" و"صنعتى مع الأعمال" لكى لا يُظن من الناحية الأخرى. حسب نية الكافرين. أنه صار أداة من أجلنا. وأيضاً لم يعلن: "خلقتى قبل الأعمال"، لئلا وهو كائن قبل الكل "مولود"، ثم يقال أنه أيضاً "مخلوق قبل الأعمال"، فإن اللفظ "مولود"، واللفظ "خَلَقَ" يظهران كأن لها نفس المعنى. ولكنه قال بتمييز دقيق: " من أجل الأعمال" كأنه يقول "الآب صنعنى جسداً لكى أصير إنساناً"، حتى يظهر من هذا أيضاً انه ليس "عملاً"، بل هو "مولود". لأنه كما أن من يدخل إلى المنزل لا يعتبر جزءاً من المنزل، بل هو مختلف عن المنزل²، هكذا من يُخلق من أجل الأعمال فإنه بالطبيعة مغاير للأعمال. لأنه لو كان كلمة الله "عملاً". وفقاً لمعتقداتكم أيها

¹ انظر المقالة الأولى ضد الآريوسيين هامش 75 صفحة 119

² يذكر القدّيس أناسيوس تشبيهاً مماثلاً عن دخول أحد الملوك العظام مدينة عظيمة وسكنه في أحد

منازلها، انظر "تجسد الكلمة" المرجع السابق، فصل 3/9.

الأريوسيون . فبأية "حكمة" إذن وبأية "يد" قد وُجد هو أيضاً؟ لأن كل الكائنات قد وُجدت بيد الله وحكمته. فإن الله نفسه يقول " كل هذه صنعتها يدي¹ ". وداود يرتل قائلاً: " منذ البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك² ". ويقول أيضاً في المزمور المئة والثاني والأربعين: " تذكرت أياماً قديمة، تأملت في جميع اعمالك، بصنائع يديك كنت أتأمل³ ". إذن فإن كانت يد الله هي التي صنعت الصنائع، وقد كُتبت: " كل الأشياء قد صارت بالكلمة وبغيره لم يكن شئ مما كان⁴، وأيضاً: " رب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء⁵، وأيضاً " فيه يقوم الكل⁶، فإنه من الواضح أن الابن لا يمكن أن يكون "عملاً" ولكنه هو يد الله وحكمته. وقد عرف هذا الذين صاروا شهوداً في بابل أى حنانيا وعزريا وميصائيل، وهم يدحضون الكفر الأريوسى لأنهم قالوا: " باركى الرب يا جميع أعمال الرب⁷ ". وقد اعتبروا كل ما فى السماء وعلى الأرض والخلقة جمعاً أنها "أعمال" أما الابن فإنهم لم يذكره بين الأعمال لأنهم لم يقولوا: "بارك أيها الكلمة وسبحى أيتها الحكمة". وهذا يوضح أن كلّ الأشياء غيرهما تسبح وهى "أعمال"، أما الكلمة فهو ليس "عملاً" ولا ينتمى إلى الأشياء التى تسبح، بل هو مُسبح مع الآب

¹ إش 66: 2

² مز 102: 25

³ مز 142: 5

⁴ انظر يو 1: 3

⁵ 1كو 8: 6

⁶ كو 1: 17

⁷ دا 3: 57 سبعمينية

ومعبود ويُعترف به إلهًا لأنه هو كلمة الآب وحكمته وهو خالق "الأعمال". وقد قال الروح هذا أيضًا في المزامير بتمييز بديع للغاية: "لأن كلمة الرب مستقيمة وكل أعماله موثوق بها"¹، كما يقول أيضًا في مزموه آخه "ما أعظم أعمالك يارب، كلها صنعته بحكمة"².

72. فإن كان الكلمة "عملاً" فإنه يكون قد وُجد بواسطة الحكمة، ولما ميّزه الكتاب عن "الأعمال"، ولما سمى الكتاب تلك "أعمالاً" بينما يُبشّر به هو أنه كلمة الله وحكمته الذاتية. أما الآن فإن الكتاب إذ يميّزه عن "الأعمال" فإنه يوضح أن الحكمة هي خالقة "الأعمال" وهي ليست "عملاً" ونفس هذا التمييز قد استخدمه بولس عندما كتب إلى العبرانيين: "لأن كلمة الله حيّ وقَعَال، وأمضى من كل سيف ذى حدين، وخارق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميز لأفكار القلب ونياته، وليست خليقة غير ظاهرة أمامه، بل كل شئ مكشوف وعريان أما عيني ذاك الذى تقدم له الحساب"³. لأنه ها هو يدعو الكائنات "خليقة" أما الابن فيعرفه أنه "كلمة الله" الذى هو مختلف عن المخلوقات. وهو يقول أيضًا: "كل شئ مكشوف وعريان أمام عيني ذاك الذى تقدم له الحساب"، وهذا يعنى أنه غير كل الكائنات.

لهذا إذن فهو الذى يدين، اما كل واحد من الكائنات فهو مسئول أن يقدم حسابًا أمامه. وهكذا فإن كل الخليقة تتن معًا من أجل أن تتحرر

¹ مز 33: 4 سبعينية

² مز 104: 24

³ عب 4: 12 و 13

من عبودية الفساد¹، وبهذا يظهر أن الابن هو غير المخلوقات لأنه لو كان مخلوقاً لكان واحداً من أولئك الذين يئنون ويحتاج إلى من يعطيه التبني ويحرره ايضاً مع الكائنات الأخرى. فإن كانت كل الخليقة تثن معاً من أجل التحرر من عبودية الفساد، إلاّ أن الابن ليس من بين الذين يئنون ولا من بين الذين يحتاجون إلى الحرية، بل هو الذى يعطى التبني والحرية للجميع كما قال لليهود فى تلك الأيام: "العبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً"². فمن ذلك يصير واضحاً أكثر من النور أن كلمة الله ليس مخلوقاً، بل هو ابن الآب الحقيقى الأصيل بالطبيعة. إذن فيما يتعلق بالعبارة "الرب خلقنى أول الطرق"، وإن كنا نتناولها بإيجاز فإن هذا يكفى كما أعتقد ليعطى مادة للمعارفين لكى يعدوا ردوداً على البدعة الأريوسية. ولكن عندما قرأ الهراطقة الآية المكتوبة بعدها: "أسسنى قبل أن يكون الدهر"³، أسأوا التفكير بخصوصها وظنوا أنه يشير بها إلى ألوهية الكلمة، وليس إلى حضوره الجسدى، لذا فمن الضرورى أن نشرح هذه الآية لكى نثبت ضلالهم.

¹ انظر رو 8: 21 و 22

² يو 8: 35 و 36

³ أم 8: 23

الفصل الثانی والعشرون

شرح نصوص: سادسًا:

”أسسنى قبل الدهر“

أمثال 8: 22-30

73. مكتوب "بالحكمة أسس الله الأرض"¹. فإن كانت الأرض إذن قد تأسست بالحكمة فكيف تأسس هذا الذى أسسها؟. ولكن هذا النص قد قيل بأسلوب الأمثال. ويجب أن نبحث عن المقصود من هذا لى نعرف أن الله خلق الأرض وأسسها بالحكمة لى تكون ثابتة وطيدة وتظل باقية. والحكمة نفسها تأسست لأجلنا لى تصير بداية وأساس خليقتنا الجديدة وتجديدنا. وهنا أيضًا لا يقول فى هذه النصوص أنه "قبل الدهر (العالم) قد صنعنى كلمة أو ابنًا لى لا يبدو أن له بداية صنع، فقبل كل شىء يجب أن نبحت إن كان هو ابنًا وأن نفتش الكتب بخصوص هذا الأمر. فهذا ما أجاب به بطرس، عندما سئل الرسل، قائلاً: "أنت هو المسيح ابن الله الحي"². فإن أب الهرطقة الآريوسية³ سأل هذا السؤال أيضًا فى البداية: "إن كنت ابن الله؟"⁴ لأنه عرف أن هذا هو الحق وأساس ايماننا، وإنه إن كان هو الابن فيكون هذا هو نهاية حكم الشيطان الاستبدادى، أما إن كان مخلوقًا فإنه يكون واحد من ذرية

¹ أم 3: 19

² مت 16: 16

³ أبو الهرطقة الآريوسية هو الشيطان.

⁴ مت 4: 6

آدم الذى خدعه الشيطان، وبذلك فلا يكون لديه داعٍ لأى اكتراث. وكان يهود ذلك الزمان ساخطين لأنه دعا نفسه ابن الله وكان يقول إن الله أبوه. لأنه لو كان قد دعا نفسه واحداً من بين المخلوقات أو لو كان قد قال: "إنى مصنوع" لما اندهشوا وهم يسمعون ولما ظنوا أن هذه الأقوال تجديد، ما داموا يعرفون أن الملائكة كانت تظهر لأبائهم أيضاً. ولكن حينما دعا نفسه ابناً بدأوا يعتبرون أن هذا اللقب لم يكن يميّز المخلوق بل يميز الألوهية وطبيعة الآب.

74. وكان ينبغى على الأريوسيين . محاكاة لأبيهم الشيطان . أن يبحثوا هذا الأمر بدقة. لو كان قد قال: "أسنى كلمة أو ابناً" وأن يفكروا كما يفكرون. ولكن إن لم يكن قد قال هكذا فلا ينبغى أن يبتدعوا لأنفسهم أموراً لا وجود لها. لأنه لم يقل: " قبل الدهر أسنى كلمة أو ابناً" بل قال ببساطة "أسنى" لكى يوضح . كما قلت . إنه يقول هذا فى أمثال ليس عن نفسه بل عن هؤلاء الذين يُبتونَ فوقه. ولأن الرسول قد عَرَفَ هذا لذا فإنه يكتب: " لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وُضع الذى هو يسوع المسيح"¹ وأيضاً " فلينظر كل واحد كيف يُبنى عليه"² ومن الضرورى أن يكون الكلام مماثلاً لتلك الأشياء التى تُبنى عليه حتى يمكنها أن تتلائم معه وتتحد به. ولكونه الكلمة، فإنه من حيث كونه كلمة حقاً فلا يوجد هناك من يماثلونه حتى يمكن أن يتحدوا معه . وذلك لأنه وحيد الجنس . ولكنه بصيرورته إنساناً فقد صار له

¹ 1كو3: 11

² 1كو3: 10

مماثلون وهم الذين إرتدى جسدهم المماثل لجسده. وتبعًا لذلك فإنه "تأسس" بحسب بشرّيته لكي يمكننا نحن أيضًا أن نبني فوقه كحجارة كريمة ونصير هيكلًا للروح القدس الساكن فينا. وكما إنه هو أساس حقًا، فنكون نحن الحجارة التي تبنى عليها، وأيضًا يكون هو الكرامة ونصير نحن أغصانه ليس بحسب جوهر اللاهوت . لأن هذا مستحيل حقًا . بل بحسب بشرّيته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة، حيث إننا نحن مشابهون له بحسب الجسد.

وأيضًا حيث إن الهراطقة يفكرون بطريقة بشرّيّة فمن الملائم أن ندحض أقوالهم بأمثال بشرّيّة. فهو لم يقل: "قد جعلني أساسًا" لكي لا يجدوا في هذا القول حجة وقحة للكفر زاعمين إنه مصنوع وأن له بداية وجود، بل قال إنه: "أسسني". فالذى يؤسس إنما يؤسس بسبب الحجارة التي توضع فوقه وهذا يحدث ليس كيفما أتفق، بل بنقل الحجارة من جبل أولاً ثم بعد ذلك توضع في عمق الأرض. وطالما كانت الحجارة موجودة في الجبل فهي لا تكون قد تأسست بعد، إلا عندما تستدعى الحاجة فيتم نقلها وتوضع في عمق الأرض، وعندئذ لو كانت تستطيع أن تتكلم ل قالت: "الآن أسسني هذا الذى نقلنى من الجبل إلى هنا". إذن فالرب عندما "أسس" لم يكن هذا هو بداية وجوده (لأنه قبل التأسيس كان كلمة)، لكن عندما لبس جسدنا الذى أخذه كقطعة من جسد مريم عندئذ يقول: "أسسني" كما لو كان قد قال: "لكونى كلمة فقد ألبسنى جسدًا ترابيًّا". لأنه هكذا تأسس من أجلنا. آخذًا ما يخصنا على عاتقه. لكي بإتحادنا معه فى الجسد، وارتباطنا به بسبب مشابهة الجسد نبقى

غير مائتين وغير قابلين للفساد وبه نصل إلى إنسان كامل¹.

75 . أما العبارات: "قبل الدهر" و"قبل أن يصنع الأرض" و"قبل أن ترسى الجبال"² فلا يتبعى لأحد أن ينزعج بسببها، لأنه ربطها بتناسق تام مع لفظ "أسس" ولفظ "خلق". لأن هذا ينسجم أيضًا مع التدبير بحسب الجسد. لأنه رغم أن النعمة التي صارت نحونا من المخلّص وقد ظهرت كما قال الرسول³ وقد حدث هذا عندما أقام بيننا، إلا أن هذه النعمة قد أُعدت قبل أن نخلقنا بل حتى من قبل أن يخلق العالم. والسبب في هذا صالح ومذهل. فلم يكن من اللائق أن يفكر الله بخصونا بعد أن خلقنا لكي لا يظهر إنه يجهل الأمور التي تتعلق بنا. فإله الجميع إذن . عندما خلقنا بكلمته الذاتى ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدمًا أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين للوصية، وأنا سنطرد من الجنة بسبب العصيان . ولأنه هو محب البشر وصالح فقد أعد من قبل تدبير خلاصنا بكلمته الذاتى الذى به أيضًا خلقنا. لأننا حتى إن كنا قد خُدعنا بواسطة الحيّة وسقطنا فلا نبقى أموات كلية بل يصير لنا بالكلمة الفداء والخلص الذى سبق إعداده لنا لكي نقوم من جديد ونظل غير مائتين، وذلك عندما "خُلِق" هو من أجلنا "بدء الطرق" وصار "بكر الخليقة" و "بكر إخوة" وقام "باكورة الأموات"

¹ انظر أف 4 : 13

² أم 8: 23 . 25

³ انظر تيطس 2: 11

إن بولس الرسول المغبوط يعلم بهذا كتفسير للنص الذي جاء في الأمثال: "قبل الدهور" و"قبل أن تكون الأرض"، وذلك عندما كتب إلى تيموثاوس قائلاً: "اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى النعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأثار الحياة"¹. بل وقال لأهل أفسس: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السمويات في المسيح يسوع. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قدامه في المحبة قديسين وبلا لوم. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه"².

76. وكيف اختارنا قبل أن نُخلَق، إن لم نكن ممثلين فيه من قبل كما قال هو نفسه؟ وعموماً، كيف سبق فعيننا للتبني قبل يخلق البشر إن لم يكن الابن نفسه قد "تأسس قبل الدهور" آخذاً على عاتقه تدبير خلاصنا؟ أو كيف يضيف الرسول قائلاً: "نلنا نصيبنا معينين سابقاً"³ لو لم يكن الرب نفسه قد تأسس قبل الدهور، حتى يكون له قصد من أجلنا أن يأخذ على عاتقه نصيب الدينونة الكامل من أجلنا عن طريق الجسد وبهذا نكون نحن متبنون فيه؟ وكيف حصلنا على النعمة "قبل الأزمنة" بينما لم يكن قد خُلقنا بعد، بل خُلقنا في الزمن، لو أن النعمة

¹ 2 تي 1: 8 . 10

² أفسس 1: 3 . 5

³ أفسس 1: 11

التي وصلت إلينا لم تكن مودعة في المسيح؟ لهذا ففي الدينونة عندما ينال كل واحد بحسب عمله، يقول: "تعالوا يامباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم"¹. كيف إذن أو بواسطة مَنْ أعد الملكوت قبل أن يخلقنا، إن لم يكن بواسطة الرب الذي "تأسس قبل الدهر" لأجل هذا الغرض، لكي ببنياننا عليه كحجارة ملتئمة، نشترك في الحياة والنعمة الممنوحتين معه؟ ولقد حدث هذا مثلما يحدث عمومًا باستقامة لمن يفكر بتقوى. وذلك لكي نستطيع أن نحيا . كما سبق أن قلت . مادمننا قد قمنا من الموت المؤقت. وهذا لم يكن في إمكاننا أصلاً حيث إننا بشر من تراب، لو لم يكن رجاء الحياة والخلص قد أُعد في المسيح من "قبل الدهور". إذن فمن الإنصاف، إذ إحدار الكلمة إلى جسدنا و"خَلق فيه أول الطرق من أجل أعماله" فإنه تأسس تمامًا حسب مشيئة الأب التي كانت فيه كما قيل: "قبل الدهر" و "قبل أن تكون الأرض" و "قبل أن ترسى الجبال" و "قبل تدفق النياييع"² لكي عندما تزول الأرض والجبال والطبيعة المنظورة فنحن لا نعتق ونبلو مثل هذه المخلوقات، بل سنتمكن أن نحيا بعدها، إذ قبل أن توجد هذه الأشياء قد أُعد لنا حياة وبركة روحية بواسطة الكلمة نفسه حسب الاختيار. لأنه هكذا سيكون لنا ليس حياة مؤقتة بل نبقى أحياء في المسيح بعد هذه الأشياء، إذ أن حياتنا كانت قد تأسست وأُعدت بالمسيح يسوع قبل هذه الأشياء.

¹ مت 25: 34

² انظر أم 8: 2522

77 . ولم يكن من اللائق إذن أن تؤسس حياتنا بأى طريقة أخرى سوى أن تؤسس فى الرب الذى هو كائن منذ الأزل، والذى به قد خُلقت العالمين، لكى نستطيع نحن أيضاً أن نرث حياة أبدية إذ أن هذه الحياة كائنة فيه ولأن الله صالح، وهو صالح على الدوام وهو يعرف طبيعتنا الضعيفة التى تحتاج إلى معونته وخلصه، لذا فقد خطط هذا. وذلك مثلما لو كان مهندس حكيمًا يريد أن يبنى منزلاً فإنه يخطط فى نفس الوقت كيفية تجديده مرة أخرى لو تدمر يوماً ما بعد أن يتم بناؤه، وهو يُعد لهذا من قبل عندما يخطط، ويعطى للقائم على العمل الاستعدادات اللازمة للتجديد، وهكذا يكون استعداد مسبق للتجديد قبل بناء المنزل. وبنفس الطريقة فإن تجديد خلاصنا قد تأسس فى المسيح قبلنا، لكى يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتخطيط قد أعدا منذ الأزل، أما العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلص إلى العالم. لأن الرب نفسه سيكون فى السماء من أجلنا أجمعين وسيأخذنا معه إلى الحياة الأبدية.

هذا إذن يكفى لكى يوضح أن كلمة الله ليس بمخلوق، بل إن العبارة لها معنى مستقيم. وبما أنه عند استقصاء معنى هذه العبارة يتضح أن لها معنى مستقيماً من جميع وجهات النظر إذن يلزم أن نتحدث بتوسع فى هذا المعنى، لعل الأغبياء يخلطون من كثرة كلامنا. فهم فى حاجة من جديد لما سبق أن قيل لأن جوهر الموضوع يدور حول نفس المثل ونفس الحكمة، فالكلمة لم يقل إنه هو نفسه مخلوق بالطبيعة بل قال فى الأمثال: "الرب خلقتى". ومن الواضح أن هذا القول له معنى غير صحيح ولكنه يشير إلى أمر مستتر يمكننا أن نكشف عنه بإزاحة

الغطاء عن المثل. لأنه من ذا الذى عندما يسمع الحكمة الخالقة تقول: "الرب خلقنى أول طريقه"، ولا يبحث فى الحال عن مغزى هذا القول، لأنه يفكر متمعناً كيف يمكن أن الخالق يُخلق؟ ومن عندما يسمع ابن الله الوحيد الجنس يقول إنه "قد خُلِقَ أول الطرق"، لا يفتش عن معنى هذا، لأنه يعجب كيف أن الابن الوحيد الجنس يمكن أن يكون الأول لآخرين؟ إنه حقاً لغز. غير أن "الرجل ذو الفهم سيفهم المثل والحديث الغامض وأقوال الحكماء والغازهم"¹.

78 . والآن فإن ابن الله الوحيد وحكمته الذاتى هو خالق وبارئ جميع الكائنات لأنه مكتوب "بحكمة صنعت كل الأشياء"، "ملائته الأرض بخلقتك"² حتى أن المخلوقات تكون موجودة فقط بل يكون هذا الوجود صالحاً. ولهذا سرّ الله أن تتنازل حكمته إلى مستوى الخليقة حتى تطبع الحكمة صورتها بشكل ما على الجميع معاً وعلى كل منها على حدة، حتى يتضح أن المخلوقات متصفة بالحكمة وأنها أعمال الله الجديرة به. لأنه كما أن الحكمة الموجودة فينا هي صورة الحكمة التى هي الابن . كما أن كلمتنا هي على صورة الكلمة الذى هو ابن الله . وبهذه الحكمة ينبغي أن يكون لنا المعرفة، والفهم ونصير مستقبلين للحكمة الخالقة وبواسطة الابن . الحكمة . نستطيع أن نعرف أباه . لأنه مكتوب: " من له الابن له الآب أيضاً"³ و " من يقبلنى يقبل الذى أرسلنى"¹ حيث إنه قد

¹ أم 1: 5 و 6

² مز 104: 24 سبعينية

³ 1 يو 2: 23

خلق فينا نموذجًا مثل هذا للحكمة، وهو موجود أيضًا في جميع "الأعمال"، فمن الطبيعي أن يأخذ الحكمة الحقيقي و الخالق (أى الابن) ما يختص بنموذجه (أى الجسد) ويقول: " الرب خلقتى لأجل أعماله". لأن ما تقوله الحكمة التى فى داخلنا، هو ما يقوله الرب نفسه كأنه خاص به. وهو يقول هذا ليس لكونه غير مخلوق . إذ أنه هو الخالق . بل سبب صورته المخلوقة من "الأعمال" فهو يقول هذا (الكلام) كما لو كان قد قيل عنه. وكما قال الرب نفسه " من يقبلنى يقبلكم" وبسبب أن صورته موجودة فينا. فبرغم أنه ليس من بين المخلوقات، إلا أنه بسبب أن صورته ونموذجه قد خُلِقَ فى "الأعمال" فإنه يقول كأنه يتكلم عن نفسه: " الرب خلقتى أول طريقه لأجل أعماله". ولهذا فقد صار نموذج الحكمة هذا فى "الأعمال"، لكى بواسطتها يعرف العالم الكلمة خالقه وبواسطته يعرف الأب كما سبق أن قلت. وهذا ما قاله بولس: " لأن معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم لأن أموره غير المنظورة تُرى بوضوح منذ خلق العالم مُدركة بالمصنوعات"². لذلك فإن الكلمة ليس مخلوقًا بالجواهر ولكن ما جاء فى الأمثال إنما يشير إلى ما هو بداخلنا نحن والذى يُسمى حكمة.

79 . وإن كانوا يرفضون الإيمان، حتى بعد هذا الكلام، فليقولوا لنا إن كانت هناك أية حكمة موجودة فى المخلوقات أم أن المخلوقات ليس فيها أية حكمة! وإن لم تكن هناك حكمة فكيف يلوم الرسول قائلاً: "

¹ مت 10: 40

² رو 19: 20

لأنه إن كان بحكمة الله لم يعرف العالم الله بالحكمة¹. وإن لم تكن هناك حكمة فكيف توجد حكومات كثيرة في الكتاب المقدس²؟ لأنه " الحكيم يخشى ويحيد عن الشر"³ و " بالحكمة يُبنى البيت"⁴ وجاء في سفر الجامعة: " حكمة الإنسان تُنير وجهه"⁵. وهو يوبخ المتهورين قائلاً: " لا تقل، ماذا حدث، لماذا كانت الأيام السابقة خير من هذه، لأنك لا تسأل بحكمة عن هذا"⁶ وإن كانت الحكمة موجودة كما قال ابن سيراخ: " وسكبها على جميع أعماله فهي مع كل ذي جسد على حسب عطيته وقد منحها للذين أحبوه"⁷، فإن مثل هذا الانسكاب لا يكون سمة خاصة لجوهر الحكمة الذاتي والوحيد الجنس بل هو سمة لتلك الحكمة التي صوّرت في العالم. فلماذا يكون غير مُصدق أن كانت الحكمة الخالقة الحقيقية . التي هي نموذج الحكمة والمعرفة المنسكبة (المخلوقة) في العالم . تتحدث عن نفسها وتقول: " الرب خلقني من أجل أعماله"؟ لأن الحكمة الموجودة في العالم ليست خالقة بل هي الحكمة المخلوقة داخل الأعمال، تلك الحكمة التي بها: " السموات تحدّث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يده"⁸. أما الناس فإن كانوا يحملون هذه الحكمة

¹ 1كو 1: 21

² سفر الحكمة 6: 24 سبعينية

³ أم 14: 16

⁴ أم 24: 3

⁵ جا 8: 1

⁶ جا 7: 10

⁷ ابن سيراخ 1: 109

⁸ مز 19: 1

بداخلهم فإنهم سيدركون حكمة الله الحقيقية، ويعرفون أنهم قد تشكلوا بحق على صورة الله.

ومثلما يحدث حيثما يريد أحد الملوك أن ينشئ مدينة لابنه، فإن الابن الذي يقوم بالإنشاء. ينقش اسمه على كل الأعمال التي يُجرى بنائها وذلك من أجل الأمن لكي تُحفظ الأعمال بسبب ظهور اسمه على كل عمل ولكي يستطيعوا أن يتذكروه هو وأبيه من الاسم. وعند الانتهاء من إنشاء المدينة فإذا سأله أحد عن المدينة وكيف أنشأت فإنه سيجيب "أنشئت لأنها هذه هي إرادة أبي بالفعل. وخطط لها بدقة في كل عمق واسمى قد خُلق في الأعمال". وعندما يقول هذا فإنه لا يعنى أن جوهره قد خُلق بل يعنى أن صورته قد انطبعت من خلال اسمه.

وعلى نفس المنوال إذ نطبق على المثال، فإن الحكمة الحقيقية تُجيب على المندهبين من الحكمة الموجودة داخل الخليقة قائلة: "الرب خلقني من أجل الأعمال" لأن "انطباع الصورة الموجودة فيها هو انطباع صورتي، ولأجل ذلك فأنا قد تنازلت إلى الخليقة".

80. ومرة أخرى لا ينبغي أن يُدهش أحد لو أن الابن تحدث عن المثال المطبوع فينا كما لو كان يتحدث عن نفسه (لأن تكرار نفس الكلام لا يجب أن يبعث على الضجر والملل)، حيث إن شاول حينما كان يضطهد الكنيسة التي يوجد فيها مثاله وصورته فإنه تحدث كما لو كان هو المُضطهد قائلاً: "شاول لماذا تضطهني"¹. لذلك (كما سبق القول)، لو كان نموذج الحكمة ذاته الموجود في الأعمال هو الذي قال:

¹ أع9: 4

"الرب خلقني لأجل الأعمال" لما اندهش أحد. وهكذا فإن كان الحكمة الحقيقية الخالق وكلمة الله الوحيد يتحدث عن صورته كما لو كان يتحدث عن ذاته بقوله: "الرب خلقني لأجل الأعمال"، فلا يجب أن يجهل أحد أن المقصود هو الحكمة المخلوقة في العالم وفي الأعمال، ويظن أن لفظ "خَلَقَ" قد قيل عن جوهر الحكمة..... كي لا يبدو بمزجه الخمر بالماء¹ إنه يسلب الحقيقة. فالحكمة نفسها جالبة وخالقة، ولكن نموذجها مخلوق بداخل الأعمال كنموذج للصورة نفسها تمامًا، وهو يقول: "أول الطريق" حيث إن مثل هذه الحكمة صارت كنوع من البداية وكمرشد إلى معرفة الله. فلو أن أحدًا سار في أول هذا الطريق حافظًا إياه بخوف الله، كما قال سليمان: "بدء الحكمة مخافة الرب"² فإنه عندما يتقدم بالفكر مدركًا عمل الحكمة الخالقة الذي في الخلق، سيدرك بها أباه أيضًا كما قال الرب نفسه: "الذي رأيته فقد رأى الآب"³ وكما كتب يوحنا: "من يعترف بالابن فله الآب أيضًا"⁴ والابن يقول: "قبل الدهر أسس"⁵، حيث إن الأعمال تبقى في نموذجها راسخة دائمًا. ولثلا عندما يسمع أحد عن الحكمة المخلوقة في الأعمال يظن أن الحكمة الحقيقية ابن الله هو مخلوق بالطبيعة، فإنه يُضيف بالضرورة "قبل أن تكون الجبال" و "قبل أن تكون الأرض" و "قبل المياه" و "قبل كل

¹ انظر إش 1: 22

² أم 1: 7

³ يو 14: 9

⁴ 1يو 2: 23

⁵ أم 8 : 23 سبعينية

الجبّال ولدني¹ وإذ يشير بهذه إلى كل الخليقة فإنه يوضح بقوله: قبل كل الخليقة² فإن لم يُخلَق بحسب الجوهر مع الأعمال. لأنه لو كان قد خُلِقَ من أجل الأعمال وهو الموجود قبل الأعمال، فواضح أنه كائن قبل أن يُخلَق، فهو إذن ليس مخلوقًا بحسب الطبيعة والجوهر، بل كما أضاف هو نفسه أنه موجود. أما فيما يختلف "المخلوق" عن "المولود" وكيف يتميز عنه بحسب الطبيعة فهذا قد سبق بيانه من قبل.

81 . وحيث إنه أضاف قائلاً: " عندما أعدّ السموات كنت أنا في نفس الوقت معه² ينبغي أن نعرف أنه لم يقل هذا كما لو أن الآب أعد السماء أو السحب العليا بدون الحكمة، لأنه لا ريب أن جميع الأشياء قد خُلقت بالحكمة، وبغيرها لم يكن شيء ما. وما قاله يعنى هذا أن " كل الأشياء قد صارت بي وبواسطتي، وعندما صار هناك احتياج أن تُخلَق الحكمة لأجل الأعمال، فإنني أنا كائن مع الآب حسب الجوهر، لكن بالتنازل إلى المخلوقات قد طبعت صورتي على الأعمال، حتى يكون العالم كأنه في جسد واحد غير متمرد بل يكون متوافقًا مع نفسه. فكل الذين يتأملون المخلوقات بفكر مستقيم بحسب الحكمة المعطاة لهم يستطيعوا أن يقولوا: " كل الأشياء تثبت بتدبيرك³. أما الذين يستهينون بهذا الأمر فيلزم أن يسمعوا: " وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا

¹ انظر أم 8 : 1 . 22

² أم 8 : 27 سبعينية

³ مز 119 : 91 سبعينية

جهلاء¹ لأن: " معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم. لأن أموره غير المنظورة تُرى بوضوح منذ خَلَقَ العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر لأنهم لما عرفوا الله لم يجدوه كإله² بل " عبدوا المخلوق دون خالق الكلّ الذى هو مبارك إلى الأبد. آمين³. وهم بالتأكيد سيخجلون عندما يسمعون: "لأنه إذا كان (العالم) فى حكمة الله (وفقًا لما شرحناه سابقًا) لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة⁴ لأن الله لا يريد بعد . مثلما حدث فى العصور السابقة . أن يُعرف عن طريق صورة وظل الحكمة الموجودة فى المخلوقات بل جعل الحكمة الحقيقية ذاتها تتخذ جسدًا وتصير إنسانًا وتعانى موت الصليب، لكى يتمكن جميع الذين يؤمنون أن يخلصوا بالإيمان به. وطبعًا إن الحكمة ذاتها هى التى أظهرت نفسها من قبل فى صورتها الموجودة فى المخلوقات، والتى يُقال عنها إنها قد خُلقت، وهكذا فقد أظهرت أباهًا أيضًا بواسطة ذاتها. وفيما بعد فإن نفس الحكمة التى هى الكلمة " قد صار جسدًا " كما قال يوحنا. وبعد إبطال الموت وتخليص جنسنا فإنه أكثر من ذلك أظهر أباه أيضًا من خلال نفسه بقوله: " إعط هؤلاء لكى يعرفونك أنت الإله الحقيقى

¹ رو 1 : 22

² رو 1 : 19 . 21

³ رو 1 : 25

⁴ 1 كو 1 : 21

وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته"¹.

82 . إذن فكل الأرض امتلأت بمعرفته، لأن معرفة الآب من خلال الابن ومعرفة الابن من خلال الآب هي معرفة واحدة. والآب يفرح بالابن وبهذا الفرح عينه يبتهج الابن بالآب قائلاً: "كنت أنا موضع فرح، وكنت أفرح كل يوم قدامه"². وهذا يبرهن مرة أخرى أن الابن من ذات جوهر الآب وليس غريباً عنه. فهو إذن لم يوجد من أجلنا كما يدعى الكافرون، وهو ليس من العدم لأن الله لم يتخذ لنفسه موضوعاً للفرح من خارجه، بل من الواضح أن هذه الكلمات هي عن ذلك الذى هو خاص به ومماثل له. فمتى إذن لم يكن الآب يفرح؟ لأنه إن كان يفرح دائماً فلا بد أن ذلك الذى كان يفرح به كان كائناً دائماً. فيماذا يفرح الآب إلا بأن يرى نفسه فى صورته التى هي كلمته؟ وحتى إن كان يبتهج ببني البشر عندما أكمل خلق المسكونة كما كتب فى الأمثال³ نفسها، ولكن هذا أيضاً له معنى مناسب، لأنه ابتهج ليس لأن الفرح أضيف إليه، بل أيضاً لأنه رأى الأعمال صائرة حسب صورته، ولهذا يكون فرح الله هو بسبب صورته. وأيضاً كيف يبتهج الابن إلا وهو يرى نفسه فى الآب؟ فهذا مماثل لقوله: "من رآنى فقد رأى الآب"⁴، "أنا فى

¹ انظر يو 17: 3. راجع أيضاً فصل 3 من كتاب "تجسد الكلمة"، المرجع السابق، وأيضاً فصل 2/4 حيث يشير القدّيس أناسيوس إلى الفرق بين الإعلان الإلهي عن طريق الخليقة كظل للإعلان الإلهي الحقيقي في شخص يسوع المسيح عندما اتخذ جسداً.

² أم 8: 30 سبينية

³ أم 8: 31

⁴ يو 14: 6

الآب والآب في¹

إذن يا أعداء المسيح، لقد ظهر أن مجادلنكم باطلة من جميع النواحي، وعبثاً عرضتم في تباهاً أراء غير مستقيمة وأدعتموها في كل مكان عن القول "الرب خلقني أول طريقه" وأسأتم فهم معناه، وبدلاً من التمسك بفكر سليمان أعلنتم بدعتكم. وها هو رأيكم يتضح أنه خيال فقط، أما قول سفر الأمثال وكما سبق أن أشرنا إليه من أقوال، فهو يبرهن أن الابن ليس مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر، بل هو مولود الآب الذاتى وهو حكمته وكلمته الحقيقى، و"كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان"².

¹ يو 14: 10

² يو 1: 3

أعمال, 26, 46, 61, 79,	(أ)
ابن, 10, 12, 14, 15, 19,	
101, 105, 108, 112,	
124, 129, 133, 143,	21, 25, 27, 28, 29,
أقام, 21, 36, 102, 116,	30, 33, 36, 38, 39,
139	40, 42, 45, 58, 70,
الابن, 11, 12, 14, 16,	73, 75, 77, 87, 98, 100,
18, 19, 20, 28, 32,	105, 108, 110, 112,
35, 39, 40, 42, 44,	113, 117, 118, 119,
45, 46, 49, 50, 52,	121, 128, 131, 134,
53, 54, 55, 56, 58,	136, 137, 143, 145,
59, 60, 61, 62, 64,	148
66, 68, 69, 71, 72,	أبناء, 15, 17, 18, 44, 63,
75, 77, 78, 79, 81,	71, 78, 80, 81, 96,
82, 83, 85, 93, 96,	98, 112, 113, 116,
98, 99, 102, 104,	120
108, 109, 111, 113,	إرادة, 42
116, 117, 118, 126,	أسس, 82, 96, 136, 138,
128, 129, 130, 131,	139, 147
132, 134, 136, 140,	إشعاع, 67, 69, 72, 73
143, 146, 150, 151,	أعد, 139, 141, 148
البارى, 12	أعظم, 12, 42, 50, 125,
	133

الرب, 10, 11, 14, 16, 17,	الجسد, 21, 23, 27, 30,
18, 19, 20, 22, 23,	34, 36, 38, 93, 97,
26, 27, 31, 32, 34,	102, 104, 105, 107,
36, 38, 42, 44, 51,	115, 119, 122, 123,
53, 55, 57, 59, 61,	125, 128, 129, 130,
64, 65, 67, 77, 82,	138, 139, 140, 144,
85, 87, 88, 89, 90,	الجوهر, 13, 14, 28, 40,
91, 92, 94, 96, 97,	51, 67, 69, 70, 83,
98, 99, 100, 101,	89, 90, 91, 96, 120,
103, 104, 105, 106,	148
107, 109, 112, 114,	الخالق, 46, 48, 81, 88,
116, 119, 120, 122,	93, 113, 143, 144,
123, 126, 129, 133,	147
134, 140, 142, 144,	الخليقة, 12, 13, 21, 28,
145, 146, 147, 151,	40, 44, 54, 68, 81,
الروح, 34, 40, 72, 98,	89, 94, 102, 109,
101, 105, 109, 114,	116, 117, 118, 119,
133	120, 122, 128, 134,
الصائرة, 12, 89, 92, 99,	140, 143, 146, 148,
الصانع, 13, 17, 108,	150
الطبيعة, 13, 18, 25, 40,	الدهر, 135, 136, 137,
56, 60, 61, 68, 75,	139, 141, 147,

,149 ,144 ,143 ,141	,98 ,94 ,93 ,91 ,89
150	151 ,148 ,114 ,112
المجد , 95 ,94 ,50 ,45	الفساد , 134 ,120 ,33
المختص , 25 ,22 ,16 ,10	الكائن , 84 ,80 ,79 ,42
,78 ,69 ,67 ,36 ,32	الكلمة , 14 ,13 ,11 ,10
,123 ,105 ,84 ,81	,22 ,21 ,20 ,19 ,16
142 ,139 ,129 ,126	,27 ,26 ,25 ,24 ,23
المخلوق , 56 ,51 ,35 ,18	,33 ,32 ,30 ,29 ,28
,90 ,89 ,86 ,84 ,81	,42 ,40 ,39 ,38 ,36
,122 ,114 ,97 ,93	,50 ,49 ,48 ,47 ,45
,137 ,131 ,130 ,128	,58 ,57 ,56 ,54 ,53
149 ,148	,67 ,65 ,64 ,62 ,59
المخلوقات , 20 ,19 ,12	,72 ,71 ,70 ,69 ,68
,45 ,44 ,43 ,30 ,27	,80 ,79 ,78 ,77 ,73
,52 ,50 ,49 ,47 ,46	,94 ,93 ,92 ,88 ,84
,59 ,58 ,56 ,55 ,53	,99 ,98 ,97 ,96 ,95
,69 ,68 ,65 ,64 ,61	,108 ,107 ,102 ,100
,93 ,91 ,89 ,88 ,81	,114 ,113 ,111 ,109
,99 ,97 ,96 ,95 ,94	,120 ,118 ,117 ,115
,117 ,115 ,109 ,108	,126 ,125 ,122 ,121
,126 ,120 ,119 ,118	,130 ,129 ,128 ,127
,137 ,134 ,130 ,128	,137 ,135 ,133 ,132

,103 ,38 ,25 ,24 ,الموت	,145 ,144 ,143 ,141
,122 ,116 ,106 ,105	148
,129 ,126 ,125 ,123	المخلوقة, 11 ,14 ,19 ,40
149 ,141 ,140	,70 ,61 ,60 ,56 ,48
,113 ,79 ,72 ,42 ,الموجود	,145 ,144 ,77 ,76
147	147
,48 ,47 ,33 ,13 ,الموجودة	,31 ,27 ,25 ,17 ,المسيح
,145 ,143 ,77 ,75 ,69	,38 ,36 ,35 ,33 ,32
149 ,146	,71 ,67 ,66 ,40 ,39
,82 ,71 ,52 ,45 ,المولود	,83 ,81 ,78 ,77 ,75
,114 ,110 ,108 ,93	,117 ,107 ,92 ,91 ,85
148	,125 ,123 ,122 ,121
,59 ,58 ,44 ,29 ,النور	,137 ,136 ,132 ,129
,83 ,82 ,72 ,69 ,64	,150 ,142 ,141 ,140
134	151
,26 ,25 ,21 ,20 ,أمين	,45 ,28 ,22 ,18 ,المصنوع
149	131 ,111
,21 ,20 ,16 ,12 ,10 ,أميئًا	,45 ,44 ,43 ,المصنوعات
,28 ,27 ,26 ,25 ,23	110 ,95 ,50
43	,45 ,42 ,24 ,12 ,الملائكة
(ب)	,76 ,60 ,57 ,50 ,47
	137

,69 ,68 ,67 ,64 ,56	,117 ,116 ,90 ,22 , بكر ,
,96 ,91 ,88 ,80 ,70	,122 ,120 ,119 ,118
,126 ,108 ,107 ,99	140
150 ,147 ,142 ,138	
(ح)	(ت)
,38 ,18 ,16 ,12 ,حكمة ,	,25 ,24 ,22 ,10 , تجسد ,
,77 ,76 ,75 ,67 ,60	,48 ,47 ,38 ,36 ,26
,118 ,96 ,89 ,88 ,79	,122 ,95 ,84 ,54 ,50
149 ,145 ,144 ,132	,129 ,128 ,127 ,126
	150 ,132 ,130
(خ)	(ج)
,35 ,33 ,23 ,13 ,خالق ,	,105 ,92 ,85 ,59 , جسد ,
,71 ,68 ,65 ,59 ,46	,138 ,131 ,116 ,112
,102 ,94 ,93 ,84 ,73	148 ,145
,118 ,115 ,110 ,107	,جسدًا , 11 , 21 , 23 , 25 ,
149 ,143 ,133	,85 ,78 ,39 ,34 ,28
,43 ,29 ,28 ,27 ,14 ,خلق ,	,113 ,103 ,94 ,92
,62 ,54 ,53 ,45 ,44	,132 ,130 ,125 ,119
,90 ,89 ,88 ,75 ,64	150 ,149 ,138
,97 ,95 ,93 ,92 ,91	,جواهر , 13 , 22 , 25 , 28 ,
,106 ,102 ,100 ,99	,49 ,40 ,39 ,32 ,30
,110 ,109 ,108 ,107	

	,115 ,114 ,113 ,111
	,120 ,118 ,117 ,116
(ص)	,124 ,123 ,122 ,121
صائر, 54	,139 ,136 ,131 ,125
صائر, 92 ,42	,146 ,144 ,143 ,141
صائرة, 150 ,45	150 ,149 ,148 ,147
صائرون, 18	,91 ,88 ,87 ,42 ,خلقى
صار, 18 ,16 ,14 ,11	,101 ,99 ,98 ,97 ,92
,27 ,26 ,25 ,23 ,21	,114 ,108 ,107 ,106
,38 ,34 ,32 ,29 ,28	,131 ,123 ,122 ,116
,62 ,60 ,59 ,54 ,47	,145 ,144 ,142 ,134
,93 ,92 ,91 ,88 ,78	151 ,147 ,146
,104 ,102 ,99 ,98 ,97	,89 ,72 ,46 ,45 ,خليقة
,111 ,108 ,107 ,106	,122 ,118 ,96 ,95 ,94
,121 ,117 ,115 ,113	134 ,130
,131 ,125 ,124 ,122	
148 ,144 ,138	(د)
صانع, 84	32 ,دهر
صانعا, 106 ,94	رب, 36 ,33 ,32 ,31 ,28
صنع, 23 ,21 ,18 ,14	,66 ,52 ,41 ,39 ,38
,32 ,30 ,29 ,28 ,25	132 ,98 ,97 ,94 ,81
,61 ,54 ,44 ,42 ,41	روح, 116 ,113 ,98

قناني, 16, 28, 42, 53,	70, 75, 98, 109, 111,
99, 88, 87, 64	112, 124, 127, 136
قنى, 43, 88	صورة, 12, 32, 34, 60,
	62, 71, 72, 90, 95,
(ك)	97, 103, 143, 146,
كائن, 13, 46, 51, 62, 69,	149
70, 72, 80, 87, 102,	
107, 110, 131, 142,	(ط)
148	طبيعة, 14, 40, 45, 48,
كلمة, 12, 15, 16, 18, 19,	54, 56, 60, 71, 73,
20, 21, 25, 28, 29,	81, 94, 98, 112, 131,
30, 36, 38, 40, 41,	(ع)
48, 53, 57, 58, 59,	عبد, 10, 12, 15, 28, 34,
62, 64, 65, 66, 67,	51, 97, 98, 101, 103,
70, 71, 72, 73, 74,	عبيد, 98
75, 76, 77, 78, 79,	عبيدًا, 15, 52
80, 81, 82, 94, 96,	
97, 99, 101, 104, 108,	(ف)
110, 116, 118, 122,	فساد, 129
124, 125, 126, 128,	فسادًا, 37
129, 132, 133, 134,	
136, 137, 138, 142,	(ق)

موجود, 13, 37, 42, 48,	
,68, 77, 82, 130, 144,	(م)
148	مجد, 62, 120
مولود, 19, 28, 43, 44,	مخلوق, 10, 14, 16, 21,
,45, 49, 50, 69, 72,	,27, 29, 30, 33, 40,
,92, 93, 96, 104, 108,	,42, 43, 44, 47, 50,
,110, 111, 131, 151	,53, 58, 59, 60, 71,
مولودًا, 15, 44, 93	,80, 81, 84, 87, 88,
	,90, 91, 92, 93, 96,
(ن)	,102, 106, 107, 110,
ناسوت, 99	,111, 114, 116, 117,
نور, 64, 103	,125, 128, 130, 131,
(و)	,142, 144, 147,
وُلِدَ, 15	مسيحًا, 34
	مصنوع, 10, 15, 17, 19,
(ي)	,21, 25, 28, 29, 31,
يخلق, 13, 46, 48, 53,	,33, 39, 42, 43, 45,
,54, 55, 56, 57, 61,	,50, 111, 137, 138,
,62, 63, 64, 81, 89,	ملك, 32, 101
,90, 94, 96, 99, 106,	ملكًا, 31, 32, 101
,107, 110, 115, 117,	موت, 32, 85, 103, 105,
	129, 149

يُخَلَقُ, 56, 94, 106, 115,	119, 132, 139, 140,
148	143, 148
يُولَدُ, 22, 23, 50	